
AYASOFYA KÜTÜPHANESİ
239





المجلد التاسع من تفسير الكبير للرازي

٥١٣

لتفسير الإمام محمد

التاسع

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ولأمره تعالى
بالرفق والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش
بأوقاف الحرمين الشريفين
عفي عنهما



[illegible]

الحمد لله وبه أكتفي

من عواري الدهر [illegible]

محمد [illegible]

[illegible]

الجزء السابع عشر

من تفسير الامام فخر الدين

ابن الخطيب قدس

الله روحه



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد واله وصحبه

قوله تعالى لاجناح عليهن في اباىهن ولا ابناىهن
ولا اخوانهن وفي الايه **مسايل الاولى** في الحجاب
اوجب السوال من وراء الحجاب على الرجال فلم يستثن
الرجال عن الجناح ولم يقل لاجناح على اباىهن فقول قوله تعالى
فسلوهن من وراء حجاب امر بترك الستر عليهن وذلك
لايكون الا بكونهن مستورات محجوبات وكان الحجاب
وجب عليهن ثم امر الرجال بتركهن كذلك نهوا عن
هتك استارهن فاستبعد عند الاباء والابناء وفيه لطيفة
وهي ان عند الحجاب امر الله الرجل بالسوال من وراء
الحجاب وفيهم يكون المراة محجوبة عن الرجل بالطريق
الاولى وعند الاستثنا قال تعالى لاجناح عليهن رفع
الجناح عنهن فالرجال اولى بذلك **المسئلة الثانيه**
قدم الابا لان اطلاعهم على بناتهم اكثر فكيف وهم
قد راوا جميع بدن البنات في حالة صغرهن ثم الابنا
ثم الاخوه وذلك ظاهر انما الكلام في بني الاخوة
حيث قدمهم الله على بني الاخوات لان بني الاخوات
اباهم ليسوا بمحارم خالات ابنايهم وبني الاخوة اباهم
محارم ايضا ففي بني الاخوات مفسدة ما وهي ان الابن
لها الحكي خالته عند ابيه وهو ليس بمحرم ولا كذلك
في بني الاخوه **المسئلة الثالثه** لم يذكر الله من

المحارم

المحارم والاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن
ولا اخوالهن لوجهين احدهما ان ذلك علم من بني
الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعمات
محارم علم ان بنات الاخ الاعمام محارم وكذلك الخال
في امر الخال وثانيهما ان الاعمام ربما يذكر بنات
الاخ عند ابنايهن وهو غير محارم وكذلك الحال في
ابن الخال **المسئلة الرابعة** ولا نسايهن مضافه
الى المومنات حتى لا يجوز التكليف للكافرات في
وجه **المسئلة الخامسة** ولا ماملكت ايمانهن
هذا ابعد من الكل فان المفسدة في التكشف لهم
ظاهرة ومن الايمة من قال ان المراد من كان دون
البلوغ **ثم قوله تعالى** واتقين الله عند المماليك
دليل على ان التكشف لهم مشروط بشرط السلامة
والعلم بعدم المحذور وقوله ان الله على كل شي شهيد
في غاية الحسن في هذا الموضع وذلك لان ما سبق اشارة
الى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم فقال ان الله شاهد
عند اختلاط بعضكم ببعض فخلوتكم مثل ملاتكم بشهادة
الله تعالى فاتقوا **قوله تعالى** ان الله وملايكته
يصلون على النبي لما امر الله المومنين بالاستيذان
وعدم النظر الى وجوه نسايه احتراما كمل بيان حرمته
وذلك لان حالاته محصورة وذكر ما يدل على احترامه

فى تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وحاله يكون
فى ملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى فكذلك واجب
الاحترام بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما ه وفى الاية مسايل الاولى الصلوة الدعا
يقال فى اللغة صلى عليه اي دعا له وهذا المعنى غير
معقول فى حق الله تعالى ذاته لان الدعا للغير طلب
نفعه من ثالث فقال الشافعي استعمل اللفظ بمعان
وتقدم فى تفسير قوله عز وجل هو الذى يصلي عليكم ه
وملايكته والذي نريده ههنا هو ان الله تعالى قال
هناك هو الذي يصلي عليكم وملايكته جعل
الصلاة لله وعطف الملايكه على الله وها هنا جمع نفسه
وملايكته واسند الصلاة اليهم فقال يصلون ومنه
تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لان افراد الواحدانية
بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفصيلا للمذكور
على المعطوف كما ان الملك اذا قال يدخل فلان وفلان
ايضا يفهم منه تقديم لا يفهم لو قال فلان وفلان يدخلان
اذا علمت هذا فقال فى حق النبي صلى الله عليه وسلم الكل كالاصل
وفى الصلاة على المومنين رحمهم الله ثم الملايكه تقويه فهم فى
الصلاة على النبي عليه السلم يصلون بالاصالة كانها واجبه
عليهم او مندوبه سوا صلى الله عليه وسلم اولم يصل وفي
المومنين ليس كذلك المسلة الثانيه هذا
دليل

دليل على مذهب الشافعي لان الامر للوجوب فيجب الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فى التشهد الثالثه سيل النبي
صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد المسألة
الرابعه اذا صلى الله وملايكته عليه فاية حاجة الى صلاتنا
فنقول الصلوة عليه ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة
الى صلاة الملايكة مع صلاة الله عليه وانما هو لاظهار
تعظيمه منا شفقه علينا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرة المسألة الخامسة لم يترك الله للنبي صلى الله عليه
وسلم لحب منه امته بالصلاة حتى عوضهم منه بامرهم بالصلاة
على الامة حيث قال وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم وقوله
وسلموا تسليما فيجب فيها وهو قولنا سلام عليك ايها النبي
فى التشهد وهو حجة على من قال بعدم وجوبه وذكر المصدر
للتاكيد ليكمل السلام عليه ولم يوكد الصلاة هذا التاكيد
لانها كانت موكدة بقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي
يا ايها الذين ثم قال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله قصد الاشيا مبين بنقض اضدادها فبين حال
موذي ليبين فضيلة المسلم عليه واللعن اسد المحذورات
النبي

لان البعد من الله لا يرجى معه خير بخلاف التعذيب بالنار
وغيره الا ترى ان الملك اذا تغير على مملوك ان كان باذيه
غير موذ يزجره ولا يطرده ولو خير المجرم ان يضرب
او يطرد عندما يكون الملك في غاية العظمة والكرم يختار
الضرب على الطرد ولا سيما اذا لم يكن في الدنيا ملك غير
سيده وقوله في الدنيا والاخرة اشارة الى بعد لا رجا
للقرب معه لان البعد في الدنيا يرجى القربه في الاخرة
فاذا خاب في الاخرة فقد خاب وخسر ثم انه تعالى لم يحصر
جزاه في الابعاد بل اوعده بالعذاب بقوله واعد لهم عذابا
مهينا وفيه مسايل الاولى ذكر ايذا الله وايذا الرسول
وذكر عقيبه الامرين اللعن والتعذيب واللعن جزا
ايذا الله لان من اذى الملك يبعده عن بابه ان كان لا يامر
بعذابه والتعذيب جزا ايذا الرسول لان الملك اذا اذى
بعض عبيده كثر السوء منه فقصاصه لا يقال فعل هذا
من يوذي الله ولا يوذي الرسول لا يعذب لانا نقول
انفكاك احدهما على هذا الوجه عن الاخر من اذى
الله فقد اذى الرسول واما على الوجه الاخر وهو ان يوذي
النبي صلى الله عليه وسلم كمن عصى من غير اشراك كمن فسق او
فجر من غير ان ارتد او كفر فقد اذى النبي صلى الله عليه وسلم
غير ان الله تعالى صبور عفور فيجزيه بالعذاب ولا يلعنه
ولا يبعده عن الباب المسئلة الثانية اكد العذاب

بكونه

بكونه مهينا لان من يؤذي من عنده وامر بحبسه او ضربه
فان امر بحبسه في موضع مهين او امر بضربه رجلا
كبيرا يدل على ان الامر هين وان امر بضربه على
ملا وحبسه بين المفسدين ينبي على شدة الامر فمن
اذى الله ورسوله من المخلدين في النار يعذب عذابا
مهينا وقوله اعد لهم للتاكيد لان السيد اذا عذب
عبده حالة الغضب من غير اعداد يكون دون
ما اذا اعد له قيدا وغلا فان الاول ان يقال
هذا اثر الغضب فاذا سكت الغضب يزول ولا
كذلك الثاني ثم قال عز وجل والذين
يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
لما كان الله مصليا على نبيه لم ينفك ايذا الله عن
ايذايه فان من اذى الله فقد اذى الرسول فبين
الله للمومنين انكم ان اتيتم بما امرتكم به وصليتم على النبي
كما صليت عليه لا ينفك ايذاكم عن ايذاء الرسول
كما ان ايذائي ايذاوه وبالجملة لما حصلت الصلاة من
الله والملايكة والرسول والمومنين صار يكاد ينفك
ايذا احد منهم عن ايذاء الاخر كما يكون حال الاصدقا
الصادقين في الصداقة وقوله بغير ما اكتسبوا احتراز
عن الامر بالمعروف عنف بايد فان من جلد مائة على
من شرب الخمر او جلد اربعين على لعب النرد بغير ما اكتسب

ايضًا ويمكن ان يقال لم يود أصْلاً لان ذلك اصلاح حال
المضروب وقوله فقد احتملوا بهتانًا البهتان هو
الزور وهو لا يكون الا في القلوب والايذا قد يكون
بغير القول فمن اذى مومنًا بالضرب او اخذ ماله لا يكون
فقد احتمل بهتانا فيقول المراد والذين يودون المومنين
بالقول وهذا لان الله تعالى اراد اظهار شرف المومن
فلما ذكر ان من اذي الله ورسوله لعن وايذا الله بان ينكر
وجود الله بعد معرفة دلايل وجوده او يشرك
به من لا يبصر ولا يسمع او من لا يقدر ولا يعلم او من
هو محتاج في وجوده الى موجد وهو قول ذكر
ايذا المومنين من بالقول وعلى هذا خص الايذا القول
بالذكر لانه اعم واتم وذلك لان الانسان لا يقدر
يوذي الله بما يولمه من ضرب واخذ ما يحتاج اليه ٥
وان يوذيه بالقول بان يقول فيه ما يصل اليه فيتادى
والوجه الثاني في الجواب هو ان يقول قوله بعد
ذلك واثما مبينا يستدرك مكانه قال احتمل بهتانا ان كان
بالقول واثما مبينا كيف ما كان الايذا وكيف ما كان فان الله
خص الايذا القول بالذكر لما بينا انه اعم لانه يصل الى القلب
كان الكلام يخرج من القلب واللسان دليله ويدخل في القلب
والاول سبيله ثم قال تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ٥
وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن لما ذكر ان من يوذي المومنين
يحتمل

يحتمل بهتانا وكان فيه منع المكلف عن ايذاء المومن امر المومن
باجتناب الموانع التي فيها التهم الموجبة للتادي ليلا يحصل الايذا
الممنوع منه ولما كان الايذا القول مختصًا بالذكر ما سبب
الايذا القولي وهو النسا فان ذكرهن بالسوء يوذي الرجال
والنسا بخلاف ذكر الرجال فان من ذكر امراة بالسوء تادت
وتادي اقاربها اكثر مما تادت بها ومن ذكر رجلًا بالسوء تادي
وقد لا يتادين نساه وكان في الجاهلية تخرج الحرة والامة ٥
مكشوفات يتبعهن الزناة ويقع التهم فامر الله الحراير بالتجليب
وقوله ذلك ادنى ان يعرفن ولا يوذين قيل يعرفن انهن
حراير ولا يتبعن ويمكن ان يقال المراد يعرفن انهن لا يزنين لان
من يستر وجهها يعرفن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن
وقوله وكان الله غفورًا رحيمًا يغفر لكم ما قد سلف برحمته
ويثيبكم على ما تاتون به راحمًا عليكم وقوله تعالى لئن لم ينته المنا فقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم
لما ذكر حال المشرك الذي يوذي الله ورسوله والمجاهر الذي
يوذي المومنين ذكر حال المشرك الذي يظهر الحق ويضمر الباطل
وهو المنافق ولما كان المذكور من قبل اقواما ثلثة نظرا الى اعتبار
امور ثلثة وهم الموذون لله والموذون للرسول والموذون
للمومنين ذكر من المسرين ثلاثة نظرا الى اعتبار امور ثلثة احدها
المنافق الذي يوذي الله سرًّا والثاني الذي في قلبه مرض الذي
يوذي المومن باتباع نسايه والثالث المرجف الذي يوذي النبي صلى

الله عليه وسلم بالارجاف بقوله غلبت محمد وسيخرج من المدينة
وسيوخذ وهلم لا وان كانوا قوما واحدا الا ان لهم ثلاث
اعتبارات في مقابلة قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين
والمومنات حيث ذكر اصنافا عشرة كلهم يوجد في واحد بالشخص
كثير الاعتبار وقوله لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم لتخرجهم
من المدينة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا وتخلوا المدينة
منهم بالموت والاخراج ويحتمل ان يكون المراد لنغرينك بهم واذا
اغريناك لا يجاورونك والاول كقول القايل يخرج فلان
ويقرا اشارة الى امرين والثاني كقوله يخرج فلان ويدخل السوق
وفي الاول يقرا وان لم يخرج وفي الثاني لا يدخل الا اذا خرج
والاستثنا فيه لطيفة وهي ان الله تعالى وعد النبي صلى الله
عليه وسلم انه يخرج اعداه من المدينة وينفيهم على مدة
اظهارا لشوكته ولو كان النفي بارادة الله من غير واسطة للنبي
صلى الله عليه وسلم لاخلى المدينة عنهم في لطف ان لكن فيكون
ولكن لما اراد الله ان يكون على يد النبي لا يقع ذلك الا بزمان
وان لطف فقال ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا بينما يتهيوا
ويتاهبوا للخروج ثم قال تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا
اي ذلك القليل الذي يجاورونك ملعونين مطرودين من باب
الله وبابك واذا اخرجوا لا ينفكون عن الذلة ولا يجدون ملجا
بل اينما يكونون يطلبون فيوخذون ويغلبون ثم قال
تعالى سنة الله في خلق يعني هذا ليس بدعا بل هو سنة جارية

وعادة مستمرة تفعل بالمكذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ فان
النسخ يكون في الاحكام اما الافعال والاخبار لا تنسخ ثم قال
تعالى يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله لما بين
حالهم في الدنيا انهم يلعنون ويهانون ويقتلون اراد ان
يبين حالهم في الاخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم
فيها فقال يسالك الناس عن الساعة اي عن وقت القيامة
قل انما علمها عند الله لا يبين لهم فان الله اخفاها لحكمة
هي امتناع المكلف عن الاحتراز وخوفهم منها في كل وقت
ثم قال تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
اشارة الى التخويف وذلك لان قول القايل الله يعلم متى
يكون الامر الفلاني ينبي عن ابطا الامر الا ترى ان من يطالب
مديونا بحقه فان امهله شهرا او شهرين ربما يضر ذلك وان
قال له اصبر الى ان يقدم فلان من سفره يقول الله يعلم متى
يجي فلان ويمكن ان يكون مجي فلان قبل انقضا تلك المدة فقال
هاهنا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا هي في علم الله لا
تستبطوه فربما تكون عن قريب والقريب فعيل يستوي فيه
المذكر والمونث قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
فلهذا لم يقل لعل الساعة تكون قريبة ثم قال عز وجل
ان الله لعن الكافرين يعني كما انهم ملعونين في الدنيا عندكم فكذلك
هم ملعونون عند الله واعد لهم سعيرا كما قال الله تعالى لعنهم الله

فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا خالدين فيها ابدا
مطيلين المكث فيها مستمرين لا امد لخروجهم وقوله لا
يجدون وليا ولا نصيرا لما ذكر خلودهم بين حقيقته وذلك
لان المعذب لا خلاصه من العذاب الا طريق بشفيع او ناصر
يدفع عنه والاول ولا ولى لهم ينفع ولا نصير يدفع ثم قال
عز وجل يوم تقلب وجوههم فى النار لما بين انه لا ينفع لهم
يدفع العذاب عنهم بفضل اعضايه ايضا لا يدفع العذاب
عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فان الانسان يدفع عن وجهه
الضربة اتقا بيده فان من يقصد راسه ووجهه تجده يجعل يد
حه او يطاطا راسه كيلا يصيب وجهه وفى الاخرة تقلب
وجوههم فى النار فما ظنك بساير اعضايهم التى يجعل جه الو
ووقايه له يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يتحسرون
ويندمون حيث لا ينفعهم الندامة والحسرة لطول علمهم بان
الخلاص ليس الا للمطيع ثم يقولون انا اطعنا سادتنا يعنى
بدل طاعة الله اطعنا السادة وبدل طاعة الرسول اطعنا
الكبرا وتركنا طاعة سيد السادات واكبر الاكابر فبدلنا
الخير بالشر لا جرم فاتنا خير الجنان واوتينا شر النيران ثم انهم
يطلبون بعض التشفى بتعذيب المضلين ويقولون ربنا اتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كثيرا اى بسبب ضلالتهم واضلالهم
وفى قوله تعالى ضعفين ولعنا كثيرا معنى لطيف وهو ان الدعا
لا يكون الا عند عدم حصول الامر المدعو به والعذاب

كان حاصلا لهم واللعن كذلك يطلبوا ما ليس بحاصل
وهو زيادة العذاب بقولهم ضعفين وزيادة اللعن بقولهم
لعنا كثيرا ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى لما بين تعالى ان من يوذى الله ورسوله
يلعن ويعذب وكان ذلك اشارة الى ايذا هو كفر ارشد
المومنين الى الامتناع من ايذا هو دونه وهو لا يورث
كفرا وذلك مثل من لم يرض بقسمة النبى صلى الله عليه وسلم
وبحكمه لبنى لسعد وغير ذلك فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى وحديث ايذا مختلف فيه بعضهم قال
هو ايذاهم اياه بنسبته الى عيب فى بدنه وقال بعضهم قارون
مر مع واحده حتى يقول عند بنى اسرايل ان موسى عليه السلام
زنا فلما جمع قارون القوم والمراة حاضرة القى الله فى قلبها
انها صدقت ولم تقل ما لقيت وفى الجملة الايذا المذكور
فى القران كاف وهو انهم قالوا اذهب انت وربك فقاتلا
وقولهم لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وقولهم لن نصبر
على طعام واحد الى غير ذلك فقال للمومنين لا تكونوا امثالهم
اذا طلبكم الرسول الى القتال لا تقولوا اذهب انت وربك
فقاتلا ولا تسلوا ما لم يوذن لكم فيه واذا امركم الرسول
بشى فاتوا منه ما استطعتم وقوله فبراه الله مما قالوا وكان
على الاول ظاهر لانه ابرز جسمه لقومه فراوه وعلموا فساد
اعتقادهم ونطقت المراة بالحق وامر ملايكته حتى عبروا بهرون

عليهم فراوه غير مجروح فراو براة موسى عليه السلم عن قتله الذي
رموه به وعلى ما ذكرناه براة الله مما قالوا اي اخرجه عن عهده
ما طلبوا باعطايه النقض اياهم واظهاره عدم جواز البعض
وبالجملة قطع الله حججهم ثم ضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب
وقوله وكان عند الله وجيهًا اي ذا وجاهة ومعرفة والوجه
هو الرجل الذى يكون له وجه اي يكون معروفًا بالخير وكل احد
وان كان عند الله معروفًا لكن المعرفة المجردة لا تكفي في الوجاهة
فان من عرف غيره لكونه خادمًا واجيرًا عنده لا يقال هو وجيهًا
عند فلان وانما الوجيه من يكون فيه خصال حميده تجعل من
شانه ان يعرف ولا ينكر وكان كذلك ثم قال عز وجل
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ارشدهم الى ما ينبغي ان يصدر
منهم من الافعال والاقوال اما الافعال فالخير واما الاقوال
فالحق لان من اتى بالخير وترك الشر فقد اتقى ومن قال الصدق
قال قولًا سديدًا ثم وعدهم على الامرين بامرين على الخيرات
باصلاح الدين فان بتقوي الله يصلح العمل والعمل الصالح يرفع
ويبقى فيبقى فاعله خالدًا في الجنة وعلى القول السديد بمغفرة
الذنوب ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
فوزًا عظيمًا طاعة الله تعالى هي طاعة الرسول ولكن
جمع بينهما لبيان شرف فعل المطيع فانه بفعله الواحد اخذ عند
الله عهدًا وعند الرسول يدًا وقوله فقد فاز فوزًا عظيمًا
جعله عظيمًا من وجهين احدهما انه من عذاب عظيم والنجاة

من العذاب العظيم بعظم العذاب حتى ان من اراد ان يضرب
غيره سوطًا ثم نجا منه لا يقال فاز فوزًا عظيمًا لان العذاب
الذي نجا منه لو وقع ما كان يتفاوت الامر تفاوتًا كثيرًا والثاني
انه وصل الى ثواب كثير وهو الثواب الدايم الابدي ثم
ثم قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات لما ارشد
الله المومنين الى مكارم الاخلاق وادب النبي عليه السلم
باحسن الاداب بين ان التكليف الذى وجهه الله الى
الانسان امر عظيم فقال انا عرضنا الامانة اي التكليف
وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة واعلم ان هذا النوع من
التكليف ليس في السموات ولا في الارض لان الارض والجبل
والسما كلها على ما خلقت عليه الجبل لا يطلب منه السير والارض
لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا في الملايكة
لان الملايكة وان كانوا مامورين منتهيين عن اشيا لكن
ذلك لهم كالاكل والشرب لنا فيسبحون الليل والنهار لا
يفترون كمن يشغل الانسان بامر موافق لطبعه وفي
الايه مسايل الاولى في الامانه وجوه كثيره منهم من
قال هو التكليف فسمي امانه لان من قصر فيه فعليه الغرامه
ومن وفر فله الكرامه ومنهم من قال هو قول لا اله الا الله وهو
بعيد لان السموات والارض والجبال بالسنتها ناطقه بان الله
واحد لا اله الا الله ومنهم من قال هو قول لا اله الا الله وهو
بعيد الاعضا فالعين امانه ينبغي ان تحفظها والاذن كذلك

والیدین کذلك والرجل والفرج واللسان ومنهم من قال
معرفة الله بما فیها والله اعلم المسلة الثانیه فی العرض
وجوه ومنهم من قال التخییر ومنهم من قال المقابله ای قابل
الامانه سبع السموات فرجحت الامانه وهی الدین المسلة
الثالثه فی السموات والارض وجهان احدهما ان المراد
هی باعیانها والثانی المراد اهلوها ففیه اضمار تقدیره انا
عرضنا الامانه علی اهل السموات والارض المسلة الرابعه
قوله فابین ان تحملنها لم تکن اباهن کابا ابلیس فی قوله تعالی فابی
ان یکون مع الساجدین من وجهین احدهما ان هناك السجود
کان فرضا وهاهنا الامانه کانت عرضا وثانیهما ان الابا کان
هناك استدبارا وهنا استصغارا استصغرن انفسهن بدلیل
قوله تعالی واشفقن منها المسئلة الخامسة ما سبب
الاشفاق یقول الامانة لا تقبل لوجوه احدها ان یکون عزیزا
صعب الحفظ کالاوانی من الجواهر التی یکون عزیزة سریعة
الانکسار فان العاقل یمتنع عن قبولها ولو کانت من الذهب او
الفضة تقبلها فی الاول لامانه من هلاکه وفی الثانی لکونها
غیر عزیزة الوجود والتکلیف کذلك والثانی ان یکون الوقت
زمان نهب وغارة فلا تقبل العاقل فی ذلك الوقت الودایع ۞
والامر کان کذلك لان الشیطان وجنوده کانوا فی قصد
المکلفین اذا العرض کان بعد خروج ادم من الجنه الثالث
مراعاة الامانه والاتیان بما یجب کایداع الحیوانات التی

تحتاج الی العلف والسقی وموضع مخصوص یکون بن بسهاه
فان العاقل یمتنع من قبولها بخلاف متاع یوضع فی صندوق
او فی زاویة بیت والتکلیف کذلك فانه تحتاج الی تربیه
وتنمیه المسلة السادسه کیف حملها الانسان ولم تحملها
هذه الاشیا فیه جوابات احدهما بسبب جهله بما فیه
وعلمهن فلهذا قال الله تعالی انه کان ظلوما جهولا والثانی
هو ان الاشیا نظرن الی انفسهن فراین ضعفهن فامتنعن ۞
والانسان نظر الی جانب المکلف وقال المودع عالم
قاهر قادر ولا تعرض الامانه الا علی اهلها واذا اودع لا یترکها
بل یحفظها بعینه وعونه فقبلنا وقال ایاك نعبد
وایاك نستعین المسلة السابعة قوله عز وجل
انه کان ظلوما جهولا فیه وجوه احدها ان المراد منه ادم
ظلم نفسه بالمخالفة ولم یعلم ما یعاقب علیه من الاخراج من
الجنة ثانیها الانسان یظلم بالعصیان ویجهل ما علیه من العقا
الثالث انه کان ظلوما جهولا ای کان من شانه الظلم ۞
والجهل یقال فرس شموس ودابه جموح والما طهور ای من
شانه ذلك فکذلك الانسان ان کان من شانه الظلم والجهل
فلما اودع الامانة بقی بعضهم علی ما کان علیه وبعضهم ترك الظلم
کما قال تعالی الذین امنوا ولم یلبسوا ایمانهم بظلم وترك الجهل
کما قال تعالی فی حق ادم وعلم ادم الاسما کلها وقال فی حق المومنین
عامة والراسخون فی العلم یقولون امنا به وقال تعالی انما یخشی

الله من عباده العلماء الرابع كان ظلوماً جهولاً في ظن
الملايكة حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وبين علمه
عندهم حيث قال تعالى انبئوني باسماء هولاء قال بعضهم
في تفسير الاية ان المخلوق على قسمين مدرك وغير مدرك
والمدرك منه من يدرك الكلي والجزي مثل الادمي ومنه
من يدرك الجزي كالبهايم تدرك الشعير الذي تاكله ولا
تتفكر في عواقب الامور لا ينظر في الدلايل والبراهين
ومنه من يدرك الكلي ولا يدرك الجزي كالملك يدرك
الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل قالوا والى هذا
اشار الله تعالى بقوله فعرضهم على الملايكه فقال انبئوني
باسماء هولاء فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف
لم يكن الا على مدرك الامرين ادله لذات مامور جربه فمنع
منه لتحصيل الذات حقيقيه هي مثل لذة الملايكة بعبادة الله
ومعرفته واما غيره فان كان مكلفاً يكون مكلفاً لا بمعنى الامر
بما فيه كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفاً
لما ان مخاطب فيسمى المخاطب مكلفاً وفي الاية لطايف اللطيفة
الاول الامانه كان عرضها على ادم فقبلها فكان امينا
عليها والقول قول الامين فهو فايز وفي اولاده احدوا
الامانة منه والاخذ من الامين ليس بمومن ولهذا وارث
الامين المودع لا يكون القول قوله فلم يكن له بد من تجديد عهد
وايمان فالمومن اتخذ عند الله عهداً فصار امينا من الله فصار
القول

القول قوله وكان له ما كان لادم من الفوز ولهذا قال تعالى
ويتوب الله على المومنين والمومنات اي كما تاب على ادم
في قوله فتاب عليه والاخذ صار اخذ الامانة من المومن
فبقي في ضمانه ثم ان المومن اذا اصاب الامانة في يده شي بقضاء
الله وقدره كان ذلك من غير تقصير منه فالامين لا يضمن
ما فات بغير تقصير والكافر اذا اصاب الامانة في يده
شي بقضاء الله وقدره كان ذلك من غير تقصير منه ٥
والامين لا يضمن ما فات وان لم يكن تقصيراً اللطيفة
الثانيه خص الاشيا الثلاثه بالذكر لانها اشد الامور
واحملها للاثقال اما السموات فلقوله تعالى وجعلنا فوقكم
سبعاً شداداً والارض والجبال لا يخفى شدتها وصلابتها ثم ان
هذه الاشيا لما كانت لها شدة وصلابة عرض الله الامانة
عليها واتقى بشدتهن وقوتهن فامتنعن لانهن وان كن اقويا
الا ان امانة الله فوق قوتهن وحملها الانسان مع ضعفه
الذي قال الله تعالى فيه وخلق الانسان ضعيفا ولكن وعده
بالاعانة على حفظ الامانه بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه
فان قيل فالذي يعينه الله كيف يعذب فلم يعذب الكافر
نقول قال الله انا اعين من يستعين ويتوكل والكافر لم
يرجع الى الله فتركه مع نفسه فبقي في عهدة الامانة اللطيفة
الثالثه قوله فابين ان يحملنها وقوله وحملها الانسان
اشاره الى ان فيه مشقة بخلاف ما لو قال فابين ان يقبلنها ٥

وقبلها الانسان ومن قال لغيره انقل هذا الفعل فان
لم يكن في الفعل تعب يقابل باجره فاذا فعله لا يستحق اجره
فقال الله تعالى وحملها اشارة الى انه مما يستحق الاجرة عليه
اي على مجرد حمل الامانة واما على رعايتها حق الرعاية فيستحق
الزيادة فان قيل فالكل حملوها غاية ما في الباب ان
الكافر لم يات بشيء زايد على الحمل فينبغي ان لا يستحق
الاجرة على الحمل فنقول الفعل اذا كان على وفق الاذن
من المالك للامر يستحق الفاعل الاجرة الا ترى انه لو قال
احمل هذا الى الصيعة التي على الشمال فحملها ونقلها الى الصقع
على الجنوب لا يستحق الاجرة ويلزمه ردها الى الموضع الذي
كان فيه كذلك الكافر حملها على غير وجه الاذن وعرم
وزالت حسناته التي عملها سيئة **ثم قال** تعالى ليعذب
الله المنافقين والمنافقات اي حملها الانسان ليقع تعذيب
المنافق والمشرك ثم قدم التعذيب على التوبه فنقول لما سمي التكليف
امانه والامانه من حكمها اللازم الخاين يضمن وليس من حكمها ان ع
اللازم ان الامين الباذل جهده يستفيد اجره فكانت التعدي
على الجناية كاللازم والاجر على الحفظ احسان والعدل قبل
الاحسان **مسئلة اخرى** عطف المشرك على المنافق
ولم يعد اسمه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين وعند التوبه
اعاد اسمه فقال ويتوب الله على المومنين كان المعنى حاصلا فنقول
اراد تفضيل المومنين على المنافق فجعله كالكلام المستانف وبحب
هنا

هناك ذكر الفاعل فقال ويتوب الله ويحقق هذا قراءة من قرا
بالرفع **المسئلة الثالثة** ذكر الله في الانسان وصفين
الظلوم والجهول وذكر من اوصافه وصفين فقال وكان
الله غفورا رحيما اي كان غفورا للظلوم رحيما على الجهول
وذلك لان الله تعالى وعد عباده بانه يغفر الظلم جميعا الا
الظلم العظيم الذي هو الشرك كما قال تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا واما الرحمة على
الجهل فلان الجهل محل الرحمة ولذلك يعتذر المسي بقوله ما علمت
وهاهنا لطيفة وهي ان الله تعالى اعلم عبده بانه غفور رحيم
وبصره بنفسه يراها ظلوما جهولا ثم عرض عليه الامانه فقبلها
مع ظلمه وجهله لعلمه في ما حرها من الغفران والرحمه والله اعلم

سورة سبا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما
في السموات السور المفتتحة بالحمد خمس سور سورتان منها
في النصف الاول وهي الانعام والكهف وسورتان في الاخير
وهما هذه السورة وسورة الملايكة والخامسة هي فاتحة
الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع النصف الاخير والحكمة
فيها ان نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها منحصرة
في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فان الله تعالى خلقنا برحمته
وخلق لنا ما نقوم به وهذه النعمه توجد مرة اخرى بالاعادة
فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا ما يدوم فلنا حالتان الابدا

والاعاده وفى كل حالة تعالى علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة
الابقا فقال فى النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر على نعمة
الايجاد ويدل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين اشارة الى
الايجاد الاول وقال فى السورة الثانية وهى الكهف
والحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
لينذر اشارة الى الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها
البقا ولولا شرع ينقاد له الخلق لاتبع كل واحد هواه ووقع
المنازعات فى المشتهيات وادت الى التقاتل والتفانى
ثم قال فى هذه السورة الحمد لله اشارة الى نعمة الابقا ويدل
عليه قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا والملايكة باجمعهم لا يكونون
رسلا الا يوم القيامة يرسلهم الله تعالى مسلمين على مسلمين كما قال
تعالى وتتلقاهم الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب لما
اشتملت على ذكر النعمتين بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين
اشارة الى النعمة العاجلة وقوله مالك يوم الدين الى النعمة
الاجلة قريت فى الافتتاح وفى الاختتام ثم فى التفسير مسايل
الاولى الحمد شكر والشكر على النعمة والله تعالى جعل ما فى السموات
والارض لنفسه بقوله له ما فى السموات ولم يبين انه لنا حتى
يجب الشكر نقول جوابا عنه الحمد يفارق الشكر فى معنى وهو
ان الحمد اعم يحمل من فيه صفات حميدة وان لم ينعم على الحامد اصلا
فان

فان الانسان يحسن منه ان يقول فى حق عالم لم يجتمع به اصلا انه
عالم عامل بارع كامل فيقال له انه يحمد فلانا فلا يقال انه يشكره
الا اذا ذكر نعمه او ذكره على نعمه فالله تعالى محمود فى الازل لاتصا فه
باوصاف الكمال ونعوت الجلال مشكور لا يزال بما ابدى
من الكرم واسدى من النعم فلا يلزم ذكر النعمة الحمد بل يكفى ذكر العظمة
وفى كونه مالك ما فى السموات وما فى الارض فله الحمد على انا نقول
قوله له ما فى السموات وما فى الارض عظمة كاملة فوجب شكرا
ثم منا يوجبه قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا وذلك لان
ما فى السموات والارض اذا كان لله ونحن المنتفعون به لا هو
يوجب ذلك شكرا لا يوجب كون ذلك لنا المسلة الثانية
قد ذكر ان الحمد هاهنا اشارة الى النعمة التى فى الاخرة فلماذا
ذكر الله السموات والارض فنقول نعم الاخرة غير مرئية فذكر
الله النعم المرئية وهى ما فى السموات وما فى الارض ثم قال وله
الحمد فى الاخرة ليقاس نعم الاخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوا مها
وفنا العاجلة ولهذا قال وهو الحكيم الخبير اشارة الى ان
خلق هذه الاشيا بالحكمة والخبر والحكمة صفة ثابتة لله لا يمكن
زوالها فيمكن منه ايجاد امثال هذه مرة اخرى فى الاخرة
المسئلة الثالثة الحكمة هى العلم الذى يتصل به الفعل
فان من يعلم امرا ولا ياتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فالفا عل
الذى فعله على وفق العلم هو الحكيم والخبير هو الذى يعلم
عواقب الامور وبواطنها فقوله حكيم اى فى الابتداء يخلق كما

ينبغي وخبيرا في الانتها يعلم ما يصدر من المخلوق وماذا لا يصدر
والى ماذا يكون مصير كل احد فهو حكيم في الابتداء خبير في الانتهاء
ثم بين تعالى كمال حكمته بقوله يعلم ما يلج في الارض من الحبه والاموات
ويخرج منها من السنابل والاحيا وينزل من السماء من انواع رحمته
منها المطر ومنها الملائكه ومنها القران وما يعرج فيها منها الكلم
الطيب كقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ومنها الارواح
ومنها العمل الصالح من قوله والعمل الصالح يرفعه وفيه مسايل
الاولى قدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة
تبدا ولا ثم تسقى ثانيا الثانية قال وما يعرج فيها اشارة الى قبول
الاعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية وهذا لان كلمة
الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها يفهم الوقوف عند السموات
فقال وما يعرج منها ليفهم نفوذها فيها وصعودها فيها ولهذا
قال في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله
هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه واما السما فهي دنيا
وفوقها المنتهى الثالثه قال وهو الغفور الرحيم رحيم بالانزال
حيث نزل الرزق من السماء غفور عند ما تعرج اليه الارواح
والاعمال فرحم اولا بالانزال وغفر ثانيا عند العروج ثم بين
ان هذه النعمه التي يستحق الله بها الحمد وهي نعمة الاخرة انكرها
قوم وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ثم رد عليهم وقال
بلى وربي لتاتينكم اخبرنا باتيانها واكد باليمين قال الزمخشري
رحمه الله كيف يصح التاكيد باليمين مع انهم يقولون لا رب وان كانوا
يقولون

يقولون به لكن المسلة الاصولية لا تثبت باليمين واجاب
عنه بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله عز
وجل ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات وبيان كونه
دليلا هو ان المسي قد يبقى في الدنيا مده مديده في اللذات
العاجلة ويموت عليها والمحسن قد يدوم في دار الدنيا في
الالام الشديده مدة ويموت فيها فلولا دار يكون للاخرة
فيها لكان الامر على خلاف الحكمة والذي اقوله انا ان الدليل هو
المذكور في قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة اظهر
وذلك انه اذا كان عالما بجميع الاشيا يعلم اجزا الاحيا ويقدر
على جمعها فالساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق
فتكون واقعة وعلى هذا فقوله تعالى في السما ولا في الارض
فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام
اجزاوها في الارض والارواح في السماء فقوله ذرة في
السموات اشارة الى علمه بالارواح وقوله ولا في الارض
اشارة الى علمه بالاجسام وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد
في المعاد وقوله ولا اصغر من ذلك اشارة الى ذكر مثقال
الذرة ليس للتحديد بل الاصغر منه لا يعزب وعلى هذا فلو
قال قايل فانه لا حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من
الذرة لا بد من ان يعلم الاكبر فنقول لما كان الله اراد بيان
اثبات الامور في الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم
انه يثبت الصغاير لكونه محل النسيان اما الاكبر فلا ينسى

ولاحاجة الى اثباته فقال الاثبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر
ايضا فيه مكتوب ثم لما بين علمه بالصغاير والكباير ذكر ان جميع
ذلك واثباته للجزاء فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة وذكر فيه امرين المغفرة والرزق الكريم ٥
المغفرة جزا الايمان فكل مومن مغفور له ويدل عليه قوله
تعالي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما اخبرنا تاج الدين عيسى بن احمد بن
الحاكم السدمى بها انا والدي عن جدي عن يحيى الشبيبه عن
عبد الواحد المحي عن احمد بن عبد الله العمى عن محمد بن يوسف
الفروى عن محمد بن اسمعيل البخاري عن كذا في الاصل
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي
قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهو
مناسب فان من عمل لسيد كريم عملا يفيد فراغه من العمل لا بد
من ان ينعم عليه انعاما ويطعمه طعاما ووصف الرزق بالكرم
قد ذكرنا انه بمعنى ذا كرم او يلزم اولانه ياتي من غير طالب بخلاف
رزق الدنيا فانه ما لم يطلب ويتسبب اليه لا ياتي وفي التفسير
مسايل الاول قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم يحتمل وجهين
احدهما ان يكون لهم جزا فيوصله اليهم بقوله ليجزي الذين جملة
فعلية مستقبلة وهذا ابلغ في البشارة من قول القايل ليجزي
الذين امنوا رزقا الثانية اللام في ليجزي للتعليل معناه الاخرة
للجزا فان قال قايل فما وجه المناسبة فيقول الله تعالى اراد ان
ينقطع

ينقطع ثوابه فجعل للمكلف دارا باقية ليكون ثوابه اصلا اليه
دايما ابدا وجعل فيها دارا فيها الالام والانتقام وفيها الموت
ليعلم المكلف مقدار ما يكون فيه في الاخرة اذا النسبة الى ما قبله
واذا نظر اليه في نفسه المسئلة الثالثة بين الرزق مخي
بالوصف بقوله كريم ولم يصف المغفرة لان المغفرة واحدة هي
للمومنين والرزق منه شجرة الزقوم والحميم ومنه الفواكه
والشراب الطهور فميز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز
المغفرة لعدم الانقسام فيها ثم قال تعالي والذين سعوا
في اياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم لما بين حال
المومنين يوم القيامة بين حال الكافرين وقوله والذين سعوا
في اياتنا اي بالابطال ويكون معناه والذين كذبوا باياتنا ٥
وحينيذ يكون هذا في مقابلة ما تقدم لان قوله تعالى امنوا
معناه صدقوا وهذا معناه كذبوا فان قيل من اين علم كون سعيهم
في الابطال مع ان المذكور مطلق السعي ويقول فهم من قوله
تعالى معاجزين وذلك لانه حال معناه سعوا فيها وهم يريدون وبالسعي
التعجيز في التقرير والتبليغ لا يكون الساعي معجزا لان القران وايات
الله معجزة في نفسها لاحاجة لها الى احد واما المكذب فهو اتيتم
باخفا ايات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجد البليغ ليروج
كذبه لعله يعجز المتمسك به وقيل بان المراد من قوله معجزين اي
ظانون انهم يفوتون الله وعلى هذا يكون كون الساعي ساعيا
بالباطل في غاية الظهور لهم عذاب في مقابلة لهم رزق وفي

الاية لطايف الاولى قال هاهنا لهم عذاب ولم يقل يجزيهم
الله وقد تقدم القول فيها ان قوله تعالى ليجزي الذين امنوا ان
يحتمل ان يكون الله يجزيهم شي اخر واوليك لهم مغفرة اخبار عن
مستحقهم المعد لهم وعلى الجملة فاحتمال الزيادة هناك قايم نظر
الى قوله ليجزيهم وهاهنا لما لم يقل ليجازيهم لم يوجد ذلك الثانية
زادهم مغفرة هناك ثم قال ورزق كريم وهاهنا لم يقل الا
لهم عذاب الثالثة قال هناك لهم رزق كريم وقال هاهنا
لهم عذاب من رجز اليم بعلطه صالحة للتبعيض كل ذلك
اشارة الى سعة الرحمة وقلة الغضب بالنسبة اليها والرجز
قيل اسوا العذاب وعلى هذا من لبيان الجنس كقول القايل
خاتم من فضة وفي اليم قراتان الرفع والجر فالرفع على ان الاليم
صفة العذاب كانه قال عذاب اليم من اسواء العذاب
والجر على انه وصف الرجز والرفع اقرب نظرا الى المعنى والجر
نظرا الى اللفظ فان قيل قد تحصر الاقسام في المومن الصالح عمله
والمكذب الساعي المعجز لجواز ان يكون احد ينا ليس له عمل
صالح او كافر متوقف فنقول اذا علم حال الفريقين المذكورين
يعلم ان المومن قريب الدرجة ممن سبق ذكره وللمومن مغفرة
ورزق وان لم يكن في الكرامة مثل رزق الذي عمل صالحا ان
وللكافر غير المعاند عذاب وان لم يكن من اسوا الانواع
التي للمكذبين المعاندين ثم قال عز وجل ويرى الذين
اوتوا العلم لما بين حال من يسعى في التكذيب في الاخرة بين حاله
في

في الدنيا وهو ان سعيه باطل فان من اوتي علما لا يغتر بتكذيبه
ويعلم ان ما انزل الى محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وقوله
هو الحق يفيد الحصر اي ليس الحق الا ذلك واما قول المكذب
فباطل بخلاف ما اذا تنازع خصمان والنزاع لفظي فيكون كل
واحد خصما في المعنى وقوله تعالى ويهدي الى صراط العزيز
الحميد يحتمل ان يكون بيانا لكونه هو الحق فانه هادي الى صراط
مستقيم وقول من يضل عنه فهو باطل ويحتمل ان يكون لفايدة
اخرى وهي انه مع كونه حقا هاد والحق واجب القبول فكيف
اذا كان فيه فايدة في الاستقبال وهي الوصول الى الله وقوله
العزيز الحميد يفيد رغبة ورهبة فانه اذا كان عزيزا يكون
ذا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب واذا كان حميد الشكر
سعي من يصدق ويعمل صالحا فان قيل كيف قدم الصفة التي
للهيبة على الصفة التي للرحمة مع ابدا السعي في بيان تقديم
جانب الرحمة نقول كونه عزيزا تام الهيبة شديد الانتقام
يقوي جانب الرغبة لان رضا الجبار العزيز اعز واكرم من
رضا من لا يكون كذلك فالعزة كما تخاف ترجى ايضا وكما يرغب عن
التكذيب يرغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز
ثم قال تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل وجه
للترتيب هو ان الله لما بين انهم انكروا الساعة ورد عليه
بقوله عز وجل قل بلى وربي لتاتينكم وبين ما يكون بعد
اتيانها من جزاء المومن على عمله الصالح وجزا الساعي في

تكذيب الايات بالتعذيب على السيات بين حال المومن والكافر
بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم بلى وربى لتاتينكم فقال المومن
الذي انزل اليك الحق وهو يهدي وقال الكافر هذا الذي
تقوله باطل ومن غاية اعتقادهم او عنادهم فى ابطال ذلك قالوا
على سبيل التعجيب هل ندلكم على رجل ينبيكم اذا مزقتم كل ممزق انكم
لفي خلق جديد هذا كقول القايل في الاستبعاد رجل يقول ان
الشمس تطلع من المغرب الى غير ذلك من المحالات ثم قال بعد
افترى على الله كذبا هذا يحتمل وجهين ان يكون تمام قول الذين
كفروا اولا اعني هو من كلام من قال هل ندلكم ويحتمل ان يكون
من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم على رجل قال له هو
يفترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه او به جنة مجنون
ان كان لا يعتقد خلافه وفى هذه الطبقه وهي ان الكافر لا
يرضى بان يظهر كذبه فلهذا اقسم ولم يجزم بانه مفتر بل قال
مفتري او مجنون احترازا من ان يقول قايل كيف يقول بانه مفتر
مع انه جاز ان يظن ان الحق ذلك وظن الصدق ممتنع تسميه
القايل مفتريا وكاذبا فى بعض المواضع الا ترى ان من يقول
جاء زيد فاذا تبين انه لم يجى وقيل له لم كذبت يقول ما كذبت وانما
سمعت من فلان انه جا فظننت انه صادق فيدفع الكذب
عن نفسه بالظن فهم احترزوا عن تبيين كذبهم وكل عاقل ينبغي
ان يحترز عن ظهور كذبه عند الناس ولا يكون العاقل ادني
درجة من الكافر ثم انه تعالى اجابهم مرة اخري وقال

بل الذين كفروا في العذاب فى مقابلة قولهم افترى على الله كذبا
وقوله فى الضلال البعيد فى مقابلة قوله به جنة وكلاهما
مناسب اما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق
مؤذ لانه شهادة عليه بان يستحق العذاب فجعل العذاب
عليهم بحيث نسبوا العذاب ونسبه الى البرى واما الجنون فلان
نسبة الجنون الى العاقل دونه فى الايذاء فانه لا يشهد عليه
بانه يعذب ولكن ينسبه الى عدم الهداية فتبين انهم هم الضا لون
ثم وصف ضلالهم بالبعد لا من سمى المهتدي ضالا يكون
هو الضال فمن سمى الهادي ضالا لا يكون اضل والنبى عليه
السلم كان هادي كل مهتد ثم قال تعالى افلم يروا الى ما
بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لما ذكر الدليل بكونه
عالم الغيب وبكونه جازيا على الكتاب والحساب ذكر دليلا
اخر وذكر فيه تهديدا اما الدليل بقوله السما والارض فانهما
يدلان على الوحدانية كما بينا مرارا وكما قال تعالى ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله ويدلان على الحشر لانهما
يدلان على كمال قدرته ومنها الاعاده وقد ذكرنا مرارا ه
وقال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم واما التهديد فبقوله ان نشا نخسف بهم الارض يعني
نجعل عين نافعهم ضارهم باللبس والخسف ثم قال تعالى ان فى
ذلك لاية لكل عبد منيب اى لكل من يرجع الى ويترك التعصب
ثم انه تعالي لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من اناب واصاب

ومن جملتهم داود كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعاً واناب
وبين ما اتاه الله على انابته فقال ولقد اتينا داود منا فضلاً وفي
الاية مسايل المسئله الاولى قوله تعالى منا اشارة الى
بيان فضل داود عليه السلم وتقريره هو ان قوله تعالى ولقد
اتينا داود منا فضلاً مستقل بالمفهوم وتام كما يقول القايل
اتى الملك زيداً خلعة فاذا قال القايل اتاه منه خلعة يفيد
انه كان من خاص ما يكون له فكذلك ايتا الله الفضل عام لكن
النبوة من عنده خاص بالبعض ومثل هذا قوله تعالى يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله واسعة تصل الى كل احد
في الدنيا لكن رحمته في الاخرة على المومنين رحمة من عنده بخواصه
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ؛؛ ۞ المسـئله الثانيه
في قوله يا جبال اوبي معه قال الزمخشري يا جبال بدل
من قوله فضلاً معناه اتيناه فضلاً قوله يا جبال او من اسامعه
اسا قلنا يا جبال المسئله الثالثه قرى اوبي بتشديد الواو
من التاويب وبسكونها وضم الهمزة اوبي من الاوب وهو الرجوع
والاول الترجيع وقيل ان معناه سيري معه وفي قوله سيحي قالوا
هو السباحه وهي الحركة المخصوصه المسئله الرابعه
قرى والطير حملاً على محل المنادي والطير بالرفع حملاً على
لفظه المسئله الخامسه لم يكن الموافقين له في التاويب
منحصراً في الجبال والطير ولكن ذكر الجبال لان الصخور
الجمود والطيور النفور يستبعد منها الموافقه فاذا وقعت

هذه الاشيا فغيرها اولى ثم ان من الناس من لم يوافقه وهم
القاسية قلوبهم التي هي اشد من المسئله السادسه
والنا له الحديد عطف والمعطوف عليه يحتمل ان يكون قلنا
المقدر في قوله يا جبال تقديره قلنا يا جبال اوبي والواو يحتمل
ان يكون عطفاً على اتيناه تقديره اتيناه والنا له المسئله
السابعة الان الله له الحديد حتى كان في يده كالشمع وهو
في قدرة الله يسير فانه يلين بالنار ويحل بصير كالمداد الذي
يكتب فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله قيل انه طلب
من الله ان يغنيه عن اكل مال بيت المال فالان له الحديد
وعلمه صنعة اللبوس وهو الدرع وانما اختار الله له ذلك
لانه وقاية للروح التي هي من امره وسعي في حفظ الادمي
المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من النولس والساق
وغيرهما ثم قال تعالى ان اعمل سابغات قيل بان ان هاهنا
للتفسير فهي مفسرة بمعنى اي اعمل سابغات بتفسير النا وتحقيقه
بان يعمل النا له الحديد ليعمل سابغات ويمكن ان يقال
الهمناه ان عمل وان مع الفعل المستقبل للمصدر فيكون
معناه النا له الحديد والهمناه عمل سابغات وهي الدرع
الواسعه ذكر الصفه ويعلم منها الموصوف وقدر في السرد قال
المفسرون اي لا تغلظ المسامير فيفسد الثقب ولا توسع الثقب
فيقلقل المسامير فيها ويحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد
وقوله وقدر في السرد اشارة الى انك غير مامور بها امر ايجاب

انما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقى الايام
والليالى للعباده فقدر فى ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك
بالكسب بل حصل ما تقوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى واعملوا
صالحا اى لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا ذلك واكثروا
منه والكسب فقدروا منه ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله اي
بما تعملون بصير وقد ذكرنا مرارا ان من يعمل للملك شغلا ويعلم انه
بمراى من الملك يحسن العمل ويتقنه ويجتهد فيه ثم لما ذكرنا المنيب
الواحد ذكر منيبا اخر وهو سليمان كما قال تعالى والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب وذكر ما استفاد هو بالانابة فقال ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر وفيه مسايل الاولى قرى ولسليمان
الريح بالرفع والنصب وجه الرفع ولسليمان الريح مسخرة او سخرت
لسليمان ووجه النصب ولسليمان سخرنا الريح وللرفع وجه اخر
وهو ان يقال معناه ولسليمان كما يقال لزيد الدار وذلك لان
الريح كان له كالمملوك المختص به يامرها بما يريد حيث يريد
المسلة الثانيه الواو للعطف فعلى قراة الرفع يصير
عطفا لجملة اسمية على جملة فعلية وهو لا يجوز او لا يحسن فكيف
هذا فنقول لما بين حال داود كانه قال تعالى ما ذكرنا لداود
ولسليمان الريح واما على النصب فعلى قولنا والنا له الحديد
كانه قال والنا لداود الحديد وسخرنا لسليمان الريح
المسلة الثالثه المسخر لسليمان كانت ريحا مخصوصة لا
هذه الرياح فانها لمنافع عامة فى اوقات الحاجات ويدل عليه انه

لم يقرا الا على التوحيد فما قرا احد الرياح المسلة الرابعه
قال بعض الناس المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود
انها كانت يسبح كما يسبح كل شى بحمده وكان هو صلى الله عليه وسلم يفقه
تسبيحهم ويسبح ومن تسخير الريح انه راض الخيل وهو كالريح وقوله
غدوها شهر بالتون فرسخا لان من يخرج للتفرج فى اكثر الامر لا يسير
اكثر من فرسخ ويرجع كذلك وقوله عز وجل والنا له الحديد
وفى حق سليمان واسلنا له عين القطر انهم استخرجوا تذويب
الحديد والنحاس بالنار واستعمال الالات فيها والشياطين اي
ناسا اقويا وهذا كله فاسد حمله على هذا ضعف اعتقاده وعدم
اعتماده على قدرة الله والله قادر على كل ممكن وهذه اشيا ممكنه
المسلة الخامسه قال فخر الدين الرازي فى تفسير قوله
تعالى وسخرنا مع داود الجبال وقوله تعالى ولسليمان الريح
عاصفة لو قال قايل ما الحكمة فى ان الله تعالى قال فى الجبال
مع داود وفى الانبيا وفى هذه السوره حيث قال يا جبال اوبي
معه وقال فى الريح هناك ها هنا ولسليمان نقول الجبال لما
سبحت شرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلنا
معه كالمضاف والريح لم يذكر فيها انها سبحت فجعلها كالمملوكة
له وهذا حسن وفيه احر اخر معقول فظهر لي وهو على قولنا
او فى معناه يسرى كالخيل فى السير ليس اصلا بل هو متحرك معه
تبعا والريح لا يتحرك مع سليمان بل يحرك سليمان مع نفسها فلم
يقل الريح مع سليمان بل سليمان كان مع الريح واسلنا له عين

القطر اي النحاس ومن الشياطين اي سخرنا له من الشياطين
وهذا ينبني على ان جميعهم ما كانوا تحت امره وهو الظاهر واعلم
ان الله تعالى ذكر ثلاثة اشيا في حق داود وثلاثة في حق سليمان
عليهما السلم والجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان
وذلك لان الثقيل مع ما هو اخف منه اذا تحركا التحق الخفيف
الثقيل وسعى الثقيل بمكانه لكن الجبال كانت اثقل من الادمي
والادمي اثقل من الريح فقدر ان سار الثقل مع الخفيف الجبل
مع داود على قولنا اوبي اي سيري وسليمان وجنوده مع الريح
الثقيل مع الخفيف ايضا والطير من جنس تسخير الجن لانهما لا
يجتمعان مع الانسان الطير لنفوره من الانس والانس لنفوره
من الجن فان الان مواقع الجن والجن ابدا يطلب اصطياد الطير
فقدر الله ان صار الطير لا ينفر من داود بل يستانس به ويطلبه
وسليمان لا ينفر من الجن بل يسخره ويستخدمه واما القطر والحديد
فتجانسهما غير خفي وهاهنا لطيفه وهي ان الادمي ينبغي ان
ينفي الجن وطيفته والاجتماع به يفضي الى المفسدة ولهذا قال
تعالى اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
وكيف طلب سليمان الاجتماع بهم فنقول قوله تعالى يعمل بين يديه
باذن ربه الى ان ذلك الحضور لم يكن فيه مفسدة ولطيفة اخرى
وهي ان الله تعالى قال هاهنا باذن ربه تسليط الرب قال ومن
يزغ منهم عن امرنا ولم يقل عن امر ربه وذلك لان الرب لفظ ينبي
عن الرحمة فعندما كانت الاشارة الى تعذيبهم قال عن امرنا بلفظ

التعظيم الموجب لزيادة الخوف وقوله تعالى نذقه من عذاب
السعير فيه وجهان احدهما ان الملائكه كانوا موكلين بهم بايديهم مقارع
من نار والاشاره وثانيهما ان التسعير هي ما يكون في الاخره فاوعدهم
بما في الاخرة من العذاب ثم قال تعالى يعملون له ما يشاء من
محاريب وتماثيل المحاريب اشارة الى الابنية الرفيعة ولهذا
قال تعالى اذ تسوروا المحراب وتماثيل ما يكون فيها من النقوش
ثم لما ذكر البنا الذي هو المسكن بين ما يكون في المسكن عن ماعون
الاكل فقال وجفان كالجوابي جمع جابية وهو الحوض الكبير الذي
يجبى الما اي يجمعه وقيل كان يجمع على جفنة واحده الف نفس وقدور
راسيات ثابتات لا تنقل لكبرها وانما يعرف منها في تلك الجفان
وفيه مسايل المسلة الاولى قدم المحاريب على التماثيل
لان النقوش تكون في الابنيه فقدم وقدم الجفان في الذكر
على القدور مع ان القدور مع ان القدور اله للطبخ والجفان
الة الاكل والطبخ قبل الاكل فنقول لما بين الابنيه الملكيه
اراد ان يبين عظمة السماط التي تمد في تلك الدور واشارة الى الجفان
لانها تكون فيه واما القدور فلا تكون فيه ولا تحضر هناك ولهذا قال
راسيات اي غير منقولات ثم لما بين حال الجفان العظيمة كان يقع
في النفس ان الطعام الذي فيها في اي شي يطبخ فاشار الى القدور
المناسبة للجفان المسلة الثانيه ذكر في حق داود اشتغاله
بالة الحرب وعن سليمان عليه السلم وهي المساكن والماكل وذلك
لان سليمان كان ولد داود وداود قتل جالوت والملوك الجبابرة ٥

واستوى الملك على داود فكان سليمان كولد ملك يكون ابوه قد
سوى على ابنه الملك وجمع له المال فهو يفرقه على جنوده ولان سليمان
لم يقدر احد عليه في ظنه فتركوا الخيرات معه وان حارب احد
كان زمان الحرب لىس الا ادراكه اياه بالريح فكان في زمانه
العظمه بالاطعام والانعام المسئله الثالثه كما قال
عقيب قوله تعالى ان اعمل سابغات اعملوا صالحا فان عقيب
ما تعمله الجن له اعملوا آل داود شكرا اشارة الى ما ذكرنا
ان هذه الاشيا خاليه لا ينبغي ان يجعل الانسان نفسه مستغرقه
فيها وانما الواجب الذي يسعى ان يكثر منه العمل الصالح الذي
يكون شكرا وفيه اشارة الى عدم الالتفات الى هذه الاشيا
وقلة الاشتغال به كما في قوله وقدر في السرد اي اجعله بقدر
الحاجه المسله الرابعة هي انتصاب شكر الحمل بلاثه اوجه
احدها ان يكون مفعولا له كقول القايل جيتك طمعا وعبدت
الله رجاء غفرانه ثانيها ان يكون مصدرا كقول القايل
شكرت الله شكرا ويكون المصدر من غير الفعل كقول القايل جلست
قعودا وذلك لان العمل شكر فقوله اعملوا يقوم مقام قوله اشكروا لفظ
وثالثها ان يكون مفعولا به كقولنا ضربت زيدا كما قال تعالى
واعملوا صالحا لان الشكر صالح المسله الخامسه قوله عز
وجل وقليل من عبادي الشكور اشارة الى ان الله تعالى خفف
الامر على عباده وذلك لانه لما قال اعملوا آل داود شكرا فهم
منه الشكر واجب لكن شكر نعمة كما ينبغي لا يمكن ان الشكر بالتوفيق
ان
وهو

وهو نعمة تحتاج الى شكر اخر هو بتوفيق اخر فدايما يكون نعمة الله
وهو بعد الشكر خاليا عن الشكر فقال تعالى ان كنتم لا تقدروا
على الشكر التام فليس عليكم في ذلك حرج وان عبادي قليل
منهم الشكور ويقوى من قولنا انه تعالى ادخل الكل في قوله
عبادي مع الاضافة الى نفسه وعبادي بلفظ الاضافة الى نفس
المتكلم لم يرد في القران الا في حق الناجين كقوله تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا وقوله ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فان قيل على ما ذكرتم شكر الله بتمامه لا يمكن وقوله
قليل يدل على ان في عباده من هو شاكر لانعمه نقول الشكر بقدر
الطاقة البشريه هو الواقع وقليل فاعله والشكر الذي ناسب
نعم الله ولا قدرة عليه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها او نقول
الشاكر التام ليس الا من رضي الله عنه وقال له يا عبدي ما
اتيت به من الشكر القليل قبلته منك وكتبت لك انه شاكر
لانعمي باسرها وهذا القبول نعمة عظيمة ولا اكلفك شكرها
ثم قال تعالى فلما قضينا عليه الموت تنبيها للخلق من ان
الموت لا بد منه ولو نجا منه احد لكان سليمان اولى بالنجاة منه
وفيه مسايل الاولى كان سليمان يقف في عبادة الله ليلة
كاملة ويوما تاما وفي بعض الاوقات يزيد عليه وكان له عصا
يتكى عليها واقفا بين يدي ربه ثم في بعض الاوقات كان واقفا على
عادته في عبادته وتوفي وظن جنوده انه في العبادة وبقي كذلك
اياما وتمادى شهورا ثم اراد الله اظهارا لامر لهم فقدر ان اكلت

دابة الارض عصاه فوقع وعلم حاله وقوله تعالى فلما خر تبينت الجن
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين كانت
الجن تعلم ما لا يعلمه الانسان فظن ان ذلك لقدر علم الغيب وليس
كذلك بل الانسان لم يوت من العلم الا قليل فهو اكثر الاشياء
الحاضرة لا يعلمه فالجن لم تعلم الا الاشيا الظاهرة وان كانت
خفية بالنسبة الى الانسان وتبين لهم الامر بانهم لا يعلمون الغيب
اذ لو كانوا يعلمونه ما لبثوا في العذاب المهين دليل على ان
المومنين من الجن لم يكونوا في التسخير لان المومن لا يكون
في زمان النبي في العذاب المهين ثم قال تعالى لقد كان
لسبا في مساكنهم ايه جنتان عن يمين وشمال لما بين الله حال الشاكرين
لنعمه تذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بانعمه بحكاية
اهل سبا وفي سبا قراتان بالفتح على انه اسم بقعة وبالجر
والتنوين على انه اسم قبيلة وهو الاظهر لان الله جعل الايه
لسبا والقائم على العاقل لا المكان ولا يحتاج الى اضمار الاهل
وقوله ايه اي من فضل ربهم ثم بينها بذكر بدله بقوله جنتان عن
يمين وشمال قال الزمخشري ايه ايه في جنتين مع ان بعض
بلاد العراق فيها الالاف من الجنان واجاب بان المراد ان لكل
واحد جنتين او عن يمين بلدهم وشمالها جماعتان من الجنة ولايصال
بعضها ببعض جعلها جنة واحدة وقوله تعالى كلوا من رزق ربكم
اشارة الى تكميل النعمة عليهم حيث لم يمنعهم من اكل ثمارها خوف
ولا مرض وقوله واشكروا له بيان ايضا لكمال النعمة فان الشكر لا يطلب
الا

الا على النعمة المعتبرة ثم لما بين حالهم في مساكنهم وبساتينهم واكلهم
ابم بان كمال النعمه فان الشكر لا يطلب الا على النعمة بان يزاد لا
عايلة عليه ولا سعة في المال في الدنيا فقال عز وجل بلدة طيبه
اي عن الموديات طاهرة لا حية فيها ولا عقرب ولا وبا ولا وخم
وقال تعالى ورب غفور اي لا عقاب عليه ولا عذاب في
الاخرة فعند هذا بان كمال النعمه حيث كانت لذة خاليه عن المفاسد
الماليه ثم انه تعالى لما بين لما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم
في مقابلته فقال فاعرضوا بين كمال ظلمهم بالاعراض بعد
اياته الايه كما قال تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض
عنها ثم بين كيفية الانتقام منها كما قال تعالى انا من المجرمين منتقمون
وكيفيته انه تعالى ارسل عليهم سيلا غرق اموالهم وخرب دورهم
وفي العرم وجوه احدها انه الجرذ الذي سبب خراب السكر
وذلك من حيث ان بلقيس قد عمدت الى جبال بينها وبين شعب
حتى كانت مياه الامطار والعيون تجتمع فيها وتصير كالبحر
وجعل لها ابوابا ثلثه مرتبه بعضها فوق بعض وكانت الابواب
تفتح بعضها بعد بعض فنقب السكر وخرب السكر بسببه وانقلب
البحر عليهم وثانيها ان العرم اسم السكر وهو جمع العرمة وهي
الحجارة وثالثها اسم للوادي الذي خرج فيه الما وقوله عز
وجل وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط بين به دوام
الخيرات وذلك لان البساتين التي فيها الناس يكون فيها
الفواكه الطيبة لسبب العمارة فاذا تركت سنتين تصير كالغيطه

والاجمة ركبت الاشجار بعضها بعض ونبتت المفسدات فيها فتقل
الثمار وتكثر الاشجار والخمط كل شجرة لها شوك اوكل شجرة
ثمرتها مرة اوكل شجرة ثمرتها لا تؤكل والاثل نوع من الطرفا
ولا يكون عليها ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليها شي كالعفص
اصغر منه في طعمه وطبعه والسدر معروف وقال فيه قليل
لانه كان احسن اشجاره فقلله الله ثم بين الله ان ذلك كان مجزاة
لهم على كفرانهم فقال ذلك جزيناهم بما كفروا ولا نجازي الا
الجزا الا الكفور قال بعضهم المجازاة تقال في النقمة والجزا
في النعمة ولعل من قال ذلك اخذه من ان المجازاه مفاعله
وهي في اكثر الامر تكون من اثنين يوجد من كل احد جزا
في الاخر وفي حق النعمة لا تكون مجازاه لان الله مبتدى بالنعم
ثم قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى
ظاهره اي بينهم وبين الشام فانها هي البقعة المباركه وقرى
ظاهره اى تظهر بعضها لبعض يرى سوادا القريه من القرية
الاخرى فان قال قايل بعدا من النعم والله تعالى قد شرع في بيان
تبديل نعمهم بقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين فكيف مرة اخرى
احري الى بيان النعمة بعد النقمه فنقول ذلك حال نفس بلدهم
وبين تبديله ذلك بالخمط والاثل ثم ذكر حال خارج بلدهم وذكر
عماراتها بكثرة القرى ثم ذكر تبديله ذلك بالمعارف والبوادي
والبراري بقوله ربنا باعد بين اسفارنا وقد نقل ذلك ويدل
عليه قراة من قراء ربنا بعد على المبتدا والخبر وقوله وقدرنا
فيها

فيها السير الاماكن المعمورة تكون منازل معموره مقدره بحاوز
فلما كان بين كل قريه مسيرة نصف نهار وكانوا يغدون الى
قريه ويروحون الى اخرى وما امكن في العرف تجاوزها فهو
المراد بالتقدير والمفاوز لا يتقدر السير فيها بل يسير السائر
فيها بقدر الطاقه جادا من يقطعها وقوله سيروا فيها ليالي
واياما امنين اي كان بينهم ليال واياما معلومة وقوله امنين
اشارة الى كثرة العماره فان خوف قطاع الطريق والانقطا ع
عن الرفيق لا تكون في مثل هذه الاماكن وقيل بل معنى قوله
ليالي واياما انهم يسيرون فيه ان شيتم ليالي وان شيتم اياما
لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها يسلك ليلا لئلا
يعلم العدو بسيرهم وبعضهم يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو
واذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوه وقوله تعالى
وقالوا ربنا باعد بين اسفارنا قيل بانهم طلبوا ذلك وهو يحتمل
وجهين احدهما ان يكون ذلك لفساد اعتقادهم على ان ذلك
لا يعدهم كما يقول القايل القايل لغيره اضربني اشارة الى انه
لا يقدر عليه ويمكن ان يقال ربنا باعد بلسان الحال اى لما
كفروا فقد طلبوا ان يبعد بين اسفارهم وقوله وظلموا انفسهم
يكون بيانا لذلك فجعلناهم احاديث اى جعلنا لهم ما جعلناهم
به مثلا فقال تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم
احاديث وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
اي فيما ذكرنا من حال الشاكرين ووبال الكافرين ثم

قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى ظن انه
يغويهم كما قال عز وجل فبعزتك لاغوينهم اجمعين فاتبعوه بيانا
لذلك اغواهم فاتبعوه الا فريقا من المومنين وهم الذين قال
تعالى في حقهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ويمكن ان
يقال صدق عليهم ظنه في انه خير منه كما قال تعالى عنه انا
خير منه وتحقق ذلك في قوله فاتبعوه لان المتبوع خير من
التابع والا غير الله لكن لما كان امتناعه ترك عبادة الله وعنادا
كفر والمشرك يعبد غير الله فهو كفر بامر اقرب الى التوحيد وهم
كفروا بامر هو الاشراك ويويد هذا الذى اخترناه الاستثنا
وبيانه هو انه لم يظن انه يغوى الكل بدليل انه تعالى قال
عنه الا عبادك منهم المخلصين فما ظن انه يغوى المومنين فما
ظنه صدقه ولا حاجة الى الاستثنا واما قوله انا خير منه
اعتقد الخيرية بالنسبة الى جميع الناس بدليل تعليله بقوله
خلقتني من نار وخلقته من طين وقد كذب هو في ظنه في
حق المومنين ويمكن الجواب عن هذا الوجه الاول هو
انه وان لم يظن ذلك الفزع قالوا ماذا قال الله قال جبريل
بل الحق اي الوحي والثالث هو ان الله تعالى يزيل الفزع وقت
الموت عن القلوب فيعترف كل احد بان ما قال تعالى هو الحق
فينفع ذلك القول من وفق ذلك فيه ثم تقبض روحه على الايمان
المتفق عليه بينه وبين الله تعالى ثم يضير ذلك القول من سبق
منه خلافه فيقبض روحه على الكفر المتفق بينه وبين الله تعالى
اذا

اذا علمت هذا فنقول على القولين الاولين قوله حتى غاية متعلقة
بقوله تعالى قل لانه بينه بالوحي لان قول القايل قل لفلان
الانذار حتى يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بعد هذا الكلام
ما يجب قوله فلما قال قل فزع من في السموات ثم ازيل منهم
الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم اي زعمتم
الكفر الى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق
وعلى القولين الاولين قوله فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو
الملايكة السايلون من جبريل وعلى الثالث الملايكة السايلون
الكفار والفاعل في قالوا الحق على القولين الاولين هم
الملايكة وفي الثالث هم المشركون واعلم ان الحق هو الموجود
ثم ان الله لما كان وجوده لا يرد عليه عدم كان حقا مطلقا
لا يرتفع بالباطل الذي هو العدم والكلام الذي يكون صدقا
يسمى حقا لان الكلام له تعلق في الخارج بواسطة انه متعلق
بما في الذهن والذي في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قال
القايل جا زيد يكون هذا اللفظ تعلقه بما في ذهن القايل وذهن
القايل تعلقه بما في الخارج لكن الصدق متعلقه في الخارج
يكون فيصير له وجود مستمر والكذب متعلقه لا يكون
في الخارج وحينيذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون
كالمعدوم من الاول وهو الالفاظ التي تكون صادرة عن
معاند كاذب واما ان يكون اغوا الكل وعلم ان البعض
ناج لكن ظن في كل واحد انه ليس هو ذلك الناجي الى ان يزيله

فظن انهُ يغويه وكذبَ في ظنهِ في حق البعض فصدق في البعض
ثم قال تعالى وَمَاكان له عليهم من سُلطان الا ليعلم من قد
ذكرنا تفسير قوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
ان الله من الاول علم الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وَهو
في كونهِ عالماً لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفه كاشفه
يظهر فيها كل مَا في نفس الامر فعلم الله في الازل ان العالم سيُوجد
فاذا وجد علمه موجُوداً بذلك العلم واذا عدم فعلمهُ معدُوماً
بذلك مثاله المراة المصقولة فيها الصفا ويظهر فيها صور زيد ان
قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صُورته والمراة لم تتغير في ذاتها ثم
اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمراة لم تتغير في ذاتها ولا تبدلت
في صفاتها انما التغير في الخارجات فكذلك هاهنا قوله الا
لنعلم اي ليقع في العلم صُدُور الكفر من الكافر والايمان من المومن
وكان قبله فيه ان سيكفر زيد ويومن عمرو وقوله مَاكان له عليهم
من سلطان اشارة الى انه ليس بملجي وانما هو اية وعلامة خلقها الله
ليتميز مَا هو في علمه السابق وقوله وربك على كل شيء حفيظ تحقيق
ذلك ان الله تعالى قادر على منع ابليس منهم عالم بما يقع في الحفظ
يدخل في مفهومه العلم والقدره والجاهل بالشي لا يمكنه حفظه ولا
العاجز ثم قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لما بين
الله حال المشركين وحال الكافرين ذكرهم من مضى عاد الى خطابهم وقال
لرسُوله صلى الله عليه وَسلم قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله
ليكشف عنكم الضر على سبيل الهتكم ثم بين لهم لا يملكون شيئا بقوله لا
يملكون

لا يملكُون مثقال ذرة في السَّموات ولا في الارض اعلم ان
المذاهب المقتضية الى الشرك اربعة احداها قول من يقول
الله تعالى خلق السموات وجعل الارض والارضيات في حكمهم
ونحن من جملة الارضيات فعبد الكواكب والملايكة التي
في السماء فهم الهتنا والله الههم فقال الله في ابطال قولهم انهم
لا يملكون في السموات شيئا كما اعترفتم ثم قال ولا في الارض
على خلاف مازعمتم وثانيها قول من يقول منه ولكن بواسطة
الكواكب فان الله خلق العناصر والتركيبات التي فيها باتصالات
وحركات وطوالع فجعلوا الغيره مع الله شركا في الارض
والاولون جعلُوا الارض لغيره فقال في ابطال قولهم وما
لهم فيهما من شرك اي الارض كالسما لله لا لغيره ولا لغيره فيها
نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله
تعالى لكن فوض ذلك الى الكواكب وجعل المادون فنسب الى
الاذن ويسلب الى الاذن فيه مثاله اذا قال ملك لمملوكه اضرب
فلانا يقال في العرف الملك ضربه ويصح عرفا قول القايل ما ضرب
فلان فلانا انما الملك امر بضربه فضرب فهولاء جعلوا السماوات
معينات لله فقال تعالى في قولهم وما له منهم من ظهير ما فوض الى شي
شيئا بل هو على كل شيء قدير حفيظ رقيب ورابعها قول من
يقول انا نعبد الاصنام التي هي صور الملايكة ليشفعوا لنا فقال
تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فلا فايدة
لعبادتكم غير الله فان الله لا ياذن في الشفاعة لمن يعبد غيره مطلكم

الشفاعة وقوله حتى اذا فزع من قلوبهم اي ازيل الفزع
منهم يقال قرد البعير اذا اخذ منه القراد ويقال لهذا التشديد
السلب وفي قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم وجوه احدها الفزع
الذي عند الوحي فان الله عند ما يوحي يفزع من في السموات
ثم يزيل عنهم الفزع فيقولون لجبريل عليه السلم ماذا قال الله
قال الحق اي الوحي وثانيها الفزع الذي من الساعة وذلك
لان الله تعالى لما اوحي الي محمد صلى الله عليه وسلم فزع من في
السموات من القيامة لان ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من
اشراط الساعة فلما زال عنهم الفزع قالوا ماذا قال الله قال
جبريل الحق اي الوحي والثالث هو ان الله تعالى يزيل الفزع
وقت الموت عن القلوب فيعترف كل احد بان ما قال الله
تعالى هو الحق فينفع ذلك القول من سبق ذلك منه ثم
تقبض روحه على الايمان المتفق عليه بينه وبين الله تعالى
ويضر ذلك القول من سبق منه خلافه فتقبض روحه على الكفر
المتفق بينه وبين الله تعالى اذا علمت هذا فنقول على القولين الاولين
قوله حتى غاية متعلقة بقوله تعالى قل لانه نسبه بالوحي لان قول
القايل قل لفلان الانذار حتى يسمع المخاطب ما يقوله ثم يقول بعد
هذا الكلام ما يجب قوله فلما قال فزع من في السموات ثم ازيل
منهم الفزع وعلى الثالث متعلقة بقوله تعالى زعمتم اي زعمتم
الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق وعلى القولين
الاولين

الاولين فاعل قوله تعالى قالوا ماذا هو الملايكة السايلون
من جبريل وعلى الثالث الملائكة السائلون الكفار والفاعل
في قالوا الحق على القولين الاولين هم الملائكة وفي الثالث هم
المشركون واعلم ان الحق هو الموجود ثم ان الله تعالى لما كان
وجوده لا يرد عليه عدم كان حقا مطلقا لا يرتفع بالباطل الذي
هو العدم والكلام الذي يكون صدقا يسمى حقا لان الكلام
له متعلق في الخارج بواسطة انه متعلق بما في الذهن والذي
في الذهن متعلق بما في الخارج فاذا قال القايل جاء زيد يكون
هذا اللفظ تعلقه بما في ذهن القايل وتعلق القايل تعلقه بما في
الخارج يكون نظيرا له وجود مستمر والكذب متعلقه لا يكون
في الخارج وحينيذ اما ان لا يكون له متعلق في الذهن فيكون
كالمعدوم من الاول وهو الالفاظ التي تكون صادرة عن
معاند كاذب واما ان يكون له متعلق في الذهن على خلاف
ما في الخارج فيكون اعتقادا باطلا جهلا او ظنا لكن لما لم يكن
لمتعلقه متعلق يزول ذلك فيزول ذلك الكلام ويبطل
وكلام الله لا بطلان له في اول الامر كما يكون لكلام الكاذب
المعاند ولا يأتيه الباطل كما يكون كلام الظان وقوله تعالى
وهو العلي الكبير قد ذكرنا تفسير قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق
وانما تدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير ان الحق

اشارة الى انه كامل فوق الكاملين في ذاته وصفاته وهذا
يبطل القول بكونه جسما وفي جهة لان كل من كان في جهة لان
كل من كان فان العقل يحكم بانه اشار اليه وهو منقطع الاشارة
لولم ينته اليه لما كان المشار واذا وقعت الاشارة اليه فقد تناهت
الاشارة عنده في موقع ينقف الاشاره يقدر العقل على ان
يعرض البعد اكثر من ذلك فيقول لوكان ماخذ الاشاره
وا المشار اليه اكثر من هذا البعد لكان هذا المشار اليه اعلى
فيصير عليا بالاضافة لا مطلقا وهو علي مطلقا ولو كان جسما لكان
له مقدار وكل مقدار يمكن ان يفرض اكثر منه فيكون
هو كبيرا بالنسبة الى غيره لا مطلقا ولو كان جسما لكان
له مقدار وكل يمكن ان يفرض هو اكبر منه يكون هو كبيرا
بالنسبة الى غيره لا مطلقا وهو كبير مطلق ثم قال
تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قد ذكرنا مرارا
ان العامة يعبدون الله لا لكونه الها وانما يطلبون به سببا
وذلك اما دفع ضرر او جر نفع نبه الله تعالى العامة بقوله
قل ادعوا الذين زعمتم على انه لا يدفع الضر احد الا هو كما قال
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقال بعد
اتمام بيان ذلك قل من يرزقكم من السموات والارض اشارة الى
ان جر النفع ليس الا به ومنه فاذا ان كنتم من الخواص فاعبدوه

لعلوه وكبريائه سواء دفع عنكم ضرا اولم يدفع وسواء نفعكم
خيرا ولم ينفع فان لم تكونوا كذلك فاعبدوه لدفع الضرر
وجر النفع ثم قال قل الله يعني ان لم يقولوا هم فقل انت الله
يرزق وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى عند الضر ذكر
انهم يقولون ويعترفون بالحق حيث قال قالوا الحق وعند
النفع لم يقل انهم يقولون وذلك لان لهم حالة يعترفون بان
كاشف الضر هو الله حيث يقعون في الضر كما قال تعالى
واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه واما عند الراحة
فلا شعور لهم لذلك ولذلك قال قل الله اي هم حالة الراحة غافلو
قال وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وفيه مسايل
الاولى هذا ارشاد من الله ورسوله الى المناظرات
الجارية في العلوم وغيرها وذلك لان احد المناظرين اذا
قال للاخر هذا الذي تقوله خطا وانت فيه مخطي يغضبه
وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في
الفهم فيفوت الغرض واما اذا قال له بان احدنا لا يشك
بانه مخطي والتمادي في الباطل قبيح والرجوع الى الحق احسن
من الاخلاف فنجتهد ونبصر اينا على الخطا ليحترز ويجتهد
ذلك الخصم في النظر وترك التعصب وذلك لا يوجب نقصا
في المنزلة او وهم بانه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى
لنبيه قل انا واياكم مع انه لا يشك هو انه هو الهادي وهو المهتدي
وهم الضالون ويضلون الثانية في قوله تعالى لعلى هدى

او في ضلال ذكر في الهدى كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي
كانه مرتفع مطلع فذكره بكلمة التعلي والضال منغمس في الظلمة
غريق فيها فذكره بكلمة في الثالثة وصف الضلال
بالمبين ولم يصف الهدى لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل
الى الحق والضلال خلافه لكن المستقيم واحد وما هو غيره كله
ضلال وبعضها احسن من بعض فميز البعض عن البعض بالوصف
الرابعة قدم الهدى على الضلال لانه كان وصف المومنين
بقوله انا وهو مقدم في الذكر ثم قال تعالى قل لا تسئلون
عما اجرمنا اضاف الاجرام الى النفس وقال في حقهم ولا نسئل
عما يعملون ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الاغضاب المانع من
الفهم وقوله لا تسئلون ولا نسئل زيادة حث في النظر وذلك لان
كل احد اذا كان مواخذ بجرمه فاذا احترز نجا ولو كان البري
يواخذ بالمجرم لما كفى النظر ثم قال تعالى قل يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا اكثر ما يوجب النظر والتفكر فان مجرد الخطاء
والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب
وثواب وعقاب وقوله يفتح معناه يحكم ويمكن ان يقال بان
الفتح ههنا مجاز وذلك لان الباب المغلق والمنفذ المسدود
يقال فيه فتحه على طريق الحقيقة ثم ان الامر اذا كان فيه انغلاق
وعدم وصول اليه فاذا بينه احد يكون قد فتحه وقوله وهو
الفتاح العليم اشارة الى ان حكمه يكون مع العلم لا مثل حكم من
يحكم بما سبق بمجرد هواه ثم قال تعالى قل اروني الذين الحقتم

به شركا كلا بل هو الله قد ذكرنا ان المعبود يعبده قوم لدفع
الضرر وجمع لتوقع المنفعة وقليل من الاشراف الاعزة
يعبدونه لانه يستحق العبادة لذاته فلما بين انه لا يعبد
غير الله لنفع الضرر لا دافع للضرر غيره بقوله قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله وبين انه لا يعبد غير الله
لتوقع المنفعة لغيره قل من يرزقكم من السموات والارض
بين ههنا انه لا يعبد احد لاستحقاقه العبادة غير الله
فقال قل اروني الذين الحقتم به شركا كلا بل هو الله
العزيز الحكيم اي هو المعبود لذاته واتصافه بالعزة وهي
القدرة الكاملة والحكمة وهي العلم التام الذي علمه
موافق له ثم قال عز وجل وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا لما بين مسئلة التوحيد شرع في الرسالة
وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة وفيها وجهان احدهما
كافة اي عامة لجميع الناس وبمنعهم من الخروج عن الانقياد
لها والثاني كافة اي ارسلناك كافة تكف الناس انت
من الكفر والهاء للمبالغة على هذا الوجه بشيرا اي تحثهم
بالوعد ونذيرا تزجرهم بالوعيد ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ذلك لحقايقه ولكن لغفلتهم ثم قال تعالى
ويقولون متى هذا الوعد لما ذكر الرسالة بين الحشر وقال
قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون ساعة ولا تستقدمون قد
ذكرنا في سورة الاعراف ان قوله لا تستاخرون يوجب

الانذار لان معناه عدم المهلكة عن الاجل ولكن الاستقدام
ما وجهه وذكرنا هناك وجهه ونذكرها هنا انهم لما طلبوا الاستعجال
بين انه لا استعجال فيه كما لا امهال وهذا يفيد عظم الامر
وخطر الخطب وذلك لان الامر الخطير اذا طالبه طالب
من غيره لا يوخره ولا يوقته على وقت بخلاف الامر الحقير
وفي قوله لكم ميعاد يوم فيه قراات احدها رفعهما من التنوين
وعلى هذا يوم بدل وثانيها نصب يوم مع رفع ميعاد والتنوين
فيهما ميعاد يوما قال الزمخشري رحمه الله ووجهه انه
منصوب بفعل محذوف كانه قال ميعاد اعني يوما وذلك
يفيد التهويل ويحتمل ان يقال نصب على الظرف تقديره لكم
ميعاد يوما كما يقول القايل لكم ميعاد تعلمونه يوما وقوله
معلوم يدل عليه كقول القايل انه مفعول يوما الثالثه
الاضافة لكم ميعاد يوم كما في قول القايل سحق ثوب للبس
واسناد الفعل اليه بقوله لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
بدلا عن قوله لا يوخركم عنه بزيادة تاكيد لوقوع اليوم
ثم قال تعالي وقال الذين كفروا لن نومن بهذا القران
لما بين الامور الثلاثه من التوحيد والرساله والحشر
وكانوا بالكل كافرين بين كفرهم العام بقوله وقال
الذين كفروا لن نومن بهذا القران لان القران يشتمل على
الكل وقوله ولا بالذي بين يديه انه التوراة والانجيل وعلى
هذا فالذين كفروا المراد منهم المشركون المنكرون للنبوات

والحشر ويحتمل ان يقال ان المعنى هو انا لا نومن بالقران
انه من الله ولا بالذي بين يديه اي ولا بما فيه من الاخبار
والمسايل والايات والدلايل وعلى هذا فالذين كفروا
يكون المراد العموم لان اهل الكتاب لم يومنوا بالقران انه
من الله ولا بالذي فيه من الرسالة وتفاصيل الحشر فان
قيل اليس هم مومنين بالوحدانيه والحشر فنقول اذا لم
يصدق واحد مما في كتاب الله من الامور المختصة به
يقال فيه انه لم يومن بشي منه وان امن ببعض ما فيه
لكونه في غيره فيكون ايمانه لا بما فيه مثاله ان من يكذب
رجلا فيما يقوله فاذا اخبر بان النار حاره لا يكذبه فيه
ولكن لا يقال بانه صدقه لانه انما صدق نفسه
فانه كان عالما به من قبل وعلى هذا فقوله بين يديه اي
الذي هو مشتمل عليه من حيث انه وارد فيه وقوله
تعالي ولو تري اذ الظالمون موقوفون عند ربهم لما وقع
للناس من ايمانهم في هذه الدار بقولهم لن نومن فانه
لتابيد النفي وعند نبيه عليه السلم فانه يراهم على ارذل
حال موقوفين للسوال يرجع بعضهم الي بعض القول
كما يكون عليه حال جماعه اخطاوا في امر يقول بعضهم
لبعض كان ذلك بسببك ويرد عليه الاخر مثل ذلك وجواب
لو محذوف تقديره ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
لترى عجبا ثم بدا بالاتباع لان المضل اولي بالتوبيخ فقال

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا
مومنين اشاره الى ان كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضي
لانه لا يمكنهم ان يقولوا ما جانا رسول ولا ان يقولوا
قصر الرسول وهذا اشاره الى اتيان الرسول بما عليه
لان الرسول لو اهمل شيا لما كانوا يومنون لولا المستكبرون
ثم قال تعالى وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا
ردا لما قالوا ان كفرهم كان لمانع انحن صددناكم عن
الهدي بعد اذ جاكم يعني المانع ينبغي ان يكون راجحا
على المقتضي حتى يعمل عمله والذي جاء به هو الهدي والذي
صدر من المستكبرين لم يكن شيا يوجب الامتناع من
قبول ما جاء به فلم يصح تعليلكم بالمانع ثم بين ان كفرهم كان
اجراما من حيث ان المعدوم لا يكون معدورا الا لعدم
المقتضي او لقيام المانع ولم يوجد شي منهما ثم قال
تعالى وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل
مكر الليل والنهار اذ تامروننا لما ذكر المستكبرون
انا ما صددناكم وما صدر منا ما يصلح مانعا وصارفا
اعترف المستضعفون به وقالوا ان مكر الليل والنهار
منعنا ثم قالوا لهم وان كنتم ما اتيتم بالصارف القطعي
والمانع القوي ولكن انضم امركم ايانا بالكفر الى طول
الامد وامتداد الامد لكفرنا وكان قولكم جز السبب
ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد بل مكركم بالليل والنهار

محذوف المضاف اليه وقوله اذ تامروننا ان نكفر
بالله اي نتكره ونجعل له اندادا هذا يبين ان المشرك
بالله مع انه في الصوره مثبت لكنه في الحقيقة منكر
لوجود الله لان من ساويه المخلوق المنحوت لا يكون
الها وقوله في الاول يرجع بعضهم الى بعض القول يقول
الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله في الايتين
المتاخرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين
استضعفوا بصيغة الماضي مع ان السوال الراجع
في القول لم يقع اشارة الى ان ذلك لا بد يقع فان الامر
الواجب الوقوع يوجد كانه وقع الا ترى الى قوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم قال تعالى
واسروا الندامة لما راوا العذاب ومعناه انهم
يتراجعون القول في الاول ثم اذا جاءهم العذاب
الشاغل يسرون ذلك التراجع الدال على الندامة
وقيل معنى الاسرار الاظهار اي اظهروا الندامة
ويحتمل ان يقال انهم لما تراجعوا في القول رجعوا
الى الله بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
ثم احسوا واخبروا بان الامر لا مرد لكم فاسروا ذلك القول
وقولنا وجعلنا الاغلال في اعناقهم اشارة الى كيفية العذاب
قطعوا بانهم واقعون فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل
الاغلال في اعناقهم وقوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون

اشاره الى ان ذلك حقهم عدلًا ثم قال تعالى وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها تسليه لقلب النبي صلى الله
عليه وسلم وبيانا لنا لان انذار الكفار الانبيا الاخيار
ليس بدعا بل ذلك عادة جرت من قبل وانما نسب القول
الى المترفين مع ان غيرهم ايضا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
لان الاغنيا المترفين هم الاصل وفي ذلك القول الا ترى
ان الله تعالى قال عن الذين استضعفوا انهم قالوا ٥
للمستكبرين لولا انتم لكنا مومنين ثم استدلوا على كونهم
مصيبين في ذلك بكثرة الاموال والاولاد اي بسبب لزوم ما
الدنيا وقوله وما نحن بمعذبين اي في الاخرة كانهم قالوا حالنا
عاجلا خير من حالكم واما اجلا فلا نعذب اما انكارا منهم
العذاب راسا او اعتقادا لحسن حالهم في الاخرة ايضا ٥
قياسا ثم ان الله تعالى بين خطاهم بقوله قل ان ربي يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر يعني ان الرزق في الدنيا لا يدل
سعته وضيقه على حال المحق والمبطل فكم من موسر شقي وكم
من معسر تقي ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان قلة الرزق
وضيق العيش بالنسبة من غير اختصاص بالفاسق والصالح
ثم بين فساد استدلالهم بقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى يعني قولكم نحن اكثر اموالا فنحن احسن عند الله
حالا ليس استدلالا صحيحا فان المال لا يقرب الى الله والاعمال
بالقربة وانما المقرب العمل الصالح بعد الايمان والذي يدل
عليه

عليه هو ان المال والولد يشغل عن الله فيبعد عنه فكيف يقرب
منه والعمل الصالح اقبال على الله واشتغال به ومن توجه الى
الله وصل ومن طلب من الله شيا حصل وقوله فلهم جزا الضعف
اي الحسنه فان الضعف لا يكون الا في الحسنة وفي السيه لا
يكون الا المثل بموارد وقال وهم في الغرفات امنون اشارة
الى دوام النعم وتابيده فان من ينقطع منه النعمة لا يكون
امنا ثم من حال المسي بقوله والذين يسعون في اياتنا معجزين
وقد ذكرنا تفسيره اوليك في العذاب محضرون اشارة الى
الدوام ايضا كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها وكما قال تعالى وما هم عنها بغايبين ثم قال تعالى مرة اخرى
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له اشارة الى
ان نعيم الاخرة لا ينافي نعمة الدنيا بل الصالحون قد تحصل لهم
في الدنيا الغنم مع القطع بحصول النعيم لهم في المعنى بنا على الوعد
قطعا لقول من يقول اذا كانت العاجلة لنا والاجلة لهم فالنقد
اولى فقال هذا النقد غير مختص بكم فان كثيرا من الاشقيا
يد نعوز وكثير من الاغنيا ممعون وفيه مسايل الاولى ذكر
هذا المعنى مرتين لبيان ان كثرة اموالهم غير دالة على حسن احوالهم
واعتقادهم لبيان انه غير مختص بهم كانه قال وجود الترب
لا يدل على الترب ثم ان سلمنا انه كذلك لكن المومنين سيحصل لهم ذلك

فان الله يملكم ديارکم واموالكم والذي يدل عليه هو ان الله تعالى
اولى لمن يشا من عباده والعباد والعادة المصافه يراد بها المومن
خلاف ما للكافر فان الكافر دابره مقطوع وماله الى الزوال
ومآله الى الوبال واما المومن فما ينفقه يخلفه الله ويخلفه الله خير
فان ما في يد الانسان في معرض الهوى والتلف وهما لا ينتظران
الى ما عند الله من الخلف ثم اكد ذلك بقوله والله خير الرازقين
وخيرية الرازق في امور احدها ان لا يوخر عن وقت الحاجه
والثاني ان لا ينقص من قدر الحاجة والثالث ان لا ينكده
بالحساب والرابع ان لا يكدره بطلب الثواب والله تعالى كذلك
اما الاول فلانه عالم وقادر والثاني فلانه غني واسع والثالث
فلانه كريم وقد ذكر ذلك بقوله يرزق من يشا بغير حساب وما
ذكرنا هو المراد اى رزقه حلال لا يحاسبه الله عليه والرابع فلانه
على كثير والثواب يطلبه الادنى من الاعلى لا يقتضي ثوابا
المسلة الثانية قوله تعالى وما انفقتم من شي فهو يخلفه تحقق
معنى قوله عليه السلم ما من يوم يصبح العباد الا وملكان نزلان
يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط كل
ممسك تلفا وذلك لان الله تعالى مالك على وهو غني ملي فاذا قال
انفق وعلى بدله بحكم الوعد يلزمه كما اذا قال قايل الق متاعك
في البحر وعلى ضمانه فمن انفق فقد اتى بما هو شرط حصول البدل
فيحصل البدل ومن لم ينفق فالزوال لازم للمالك ولم يات بما يستحق
عليه من البدل فيفوت من غير خلف وهو التلف ثم ان من العجب ان
التاخير

التاخير اذا علم ان ما لا من امواله في معرض الهلاك يبيعه بسمه
وان كان من الفقرا او يقول بان ذلك اولى من الاهمال الى
الهلاك فان لم يبع حتى يهلك وينسب الى الخطاء ثم ان حصل به
كفيل ملي ولا يبيع ينسب الى قلة العقل فان حصل به رهن وكتب
به وثيقه ولا يبيعه ينسب الى الجنون ثم ان كل واحد يفعل هذا
ولا يعلم ان ذلك قريب من الجنون فان اموالنا كلها في معرض
الزوال المحقق والانفاق على الاهل والولد اقراض وقد حصل
الضامن من الملي وهو الله العلي وقال وما انفقتم من شي فهو
يخلفه ثم رهن عند كل احد اما ارضا او بستانا او طاحونه او
حماما او منفعة فان الانسان لا بد وان يكون له صنيعه او جهه
يحصل له منها مال وكل ذلك ملك الله وفي يد الانسان
بحكم العارية وكانه مرهون بما تكفل الله من رزقه ليحصل له
الوثوق التام ومع هذا لا ينفق ويترك ماله ليتلف لا ماجورا
ولا مشكورا المسلة الثالثة قوله عز وجل خير الرازقين
ينبي عن كثرة في الرازقين ولا رازق الا الله فما الجواب فنقول
عنه جوابان احدهما ان يقال الله خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين
وكذلك في قوله تعالى وهو احسن الخالقين وثانيهما هو ان الصفات
منها ما حصل لله وللعبد حقيقة ومنها ما يقال لله بطريق الحقيقه ولا
يقال للعبد لا بطريق الحقيقه ولا بطريق المجاز لعدم حصوله للعبد
حقيقة ولا صورة مثال الاول بان الله يعلم انه واحد والعبد يعلم انه
واحد بطريق الحقيقه وكذلك العلم بكون النار حارة غاية ما في

الباب ان علمه قديم وعلمنا حادث مثال الثاني الرازق والخالق
فان العبد اذا اعطى غيره شيا فالله هو المعطي ولكن لاجل صورة العطا
منه سمي معطيا كما يقال للصورة المنقوشة على الحايط فرس وانسان
مثال الثالث الازلي والله وغيرهما وقد يقال في اشيا في الاطلاق
عن القيد حقيقة وعلى الله مجازا كالاستواء والنزول والمعيه
ويد الله وحب الله ثم قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول
للملايكة اهاولا ايايكم كانوا يعبدون لما بين ان حال النبي صلى الله عليه
وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه كحال من تقدم
من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة اولادهم واموالهم بين
ما يكون عاقبة حالهم فقال ويوم يحشرهم جميعا يعني المكذبين بك ومن
تقدمك ثم نقول لمن يدعون انهم يعبدونهم وهم الملايكة فان غاية
ما ترتقي اليه منزلتهم انهم يقولون نحن نعبد الملايكة والكواكب فسال
الملايكة انهم كانوا يعبدونكم اهانة لهم فيقول كل منهم سبحانك ننزهك عن
ان يكون غيرك معبودا انت معبودنا ومعبود كل خلق وقولهم انت ولينا
من دونهم اشارة الى معنى لطيف وهو ان مذاهب الناس مختلفة بعضهم
لا يسكن المواضع المعمورة الذي يكون فيها سواد عظيم لانه لا مراس هناك
فرضي بالضياع والبلاد الصغيرة لعدم اجتماعه فيها بالناس وقلة
وصوله فيها الى الاكابر ثم ان الفريقين جميعا اذا عرض عليهم خدمة
السلطان على استخدام من لا يوبه به ولو ان رجلا سكن جبلا ومنع
بين يديه شيا من القاذورات واجتمع عليه الذباب والديدان وهو
يقول هولاء اتباعي واشياعي ولا ادخل المدينة مخافة ان احتاج الى
خدمة

خدمة السلطان العظيم والتردد اليه ينسب الى الجنون فكذلك من
رضي بان ترك خدمة الله وعبادته ورضي باستتباع الهمج الذين
اضل من البهايم واقل من الهوام يكون مجنونا فقالوا انت ولينا من
دونهم يعني كونك ولينا بالعبودية اولى وواجب الينا من كونهم اولياءنا
بالعبادة لنا وقالوا بل كانوا يعبدون الجن اي كانوا ينقادون
لامر الجن فهم في الحقيقة كانوا يعبدون الجن ونحن كنا كالقبلة لهم
لان العبادة هي الطاعة وقوله تعالى اكثرهم بهم مومنون لو
قال قايل جميعهم كانوا تابعين للشيطان فما وجه قوله اكثرهم
بهم فانه ينبي ان بعضهم لم يومن بهم ولم يطع لهم نقول الجواب عنه
من وجهين احدهما ان الملايكة احترزوا عن دعوى الاحاطة
بهم فقالوا اكثرهم لان الذين راوهم واطلعوا على احوالهم كانوا يعبدون
الجن ويومنون بهم لعل في الوجود من لم يطلع الله الملايكة عليهم من
الكفار الثاني هو ان العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن فقالوا بل
كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على اعمالهم وقالوا اكثرهم بهم يومنون
عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب فان
القلب لله عليه الاطلاع كما قال عز وجل انه عليم بذات الصدور ثم
بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا وفيه مسايل الاولى الخطاب مع من بقوله بعضكم
نقول يحتمل ان يكون مع الملايكة لسبق قوله اهاولا ايايكم كانوا
يعبدون وعلى هذا يكون ذلك تنكيلا للكافرين حيث بين لهم
ان معبودهم لا ينفع ولا يضر ويصح هذا قوله تعالى لا يملكون الشفاعة

الا لمن ارتضى ولانه قال بعده ونقول للذين ظلموا ذوقوا فردهم
ولو كان المخاطب هم الكفار لقال فذوقوا ان على هذا يكون الكفار
داخلين في الخطاب حتى معنى قوله بعضكم لبعض اي الملايكة للكفار
والخاص الواحد يجوز ان يجعل من يسايله في امر يسسه مخاطبا كما يقول
القايل لواحد خاص له شركا في كلام انتم قلتم على معنى انت قلت وهم
قالوا ويحتمل ان يكون معهم الجن اي لا يملك بعضكم لبعض ايها الملايكة
والجن فاذا لم تملكوها لانفسكم ولا تملكوها لغيركم ويحتمل ان يكون
المخاطب هم الكفار لان ذكر اليوم يدل على حضورهم وعلى هذا فقوله
ونقول للذين ظلموا انما ذكره تاكيدا لبيان حالهم في الظلم وسبب نكالهم
من الاثم ولو قال فذوقوا عذاب النار لكان كافيا لكنه لا
يحصل ما ذكرنا من الفايدة وانهم كلما كانوا يسمعون ما كانوا عليه من
الظلم والعناد والاثم والفساد يتحسرون ويندمون الثانية قوله
نفعا مفسده للحشر واما الضر فما الفايدة فيه مع انهم لو كانوا يملكون
الضر لما نفع الكافرين ذلك فنقول لو كانت العباده تقع لدفع
ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخدم مخافه شره من انهم ليس فيهم
ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم المسئلة الثالثة
قال هاهنا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وقال في السجدة
عذاب النار الذي كنتم به جعل المكذب هناك العذاب وجعل
المكذب هاهنا النار وهم كانوا يكذبون بالكل والفايدة فيها
ان هناك لم يكن اول ما راوا النار بل كانوا هم فيها من زمان بدليل
قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب

النار

النار التي كنتم به تكذبون اي المؤبد الذي انكرتموه بقولكم لن
تمسنا النار الا اياما معدوده اي قلتم ان العذاب ان وقع فلا يدوم
فذوقوا الدايم وهاهنا اول ما راوا النار لانه مذكور عقيب الحشر
والسؤال فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ثم قال
تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد
ان يصدكم اظهارا لفساد اعتقادهم واشتداد عنادهم حيث بين
انا على من يعبدونه وهم الملايكه لا باهل للعبادة لا لذواتهم
كما قالوا سبحانك انت ولينا اي لا اهلية لنا لعبادتك من دونهم
اي لا اهلية لنا لان يكون معبودين لهم ولا للنفع او ضر كما قال
تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ثم مع هذا كله اذا
قال لهم النبي عليه السلم كلاما من التوحيد وتلا عليهم ايات الله
الداله عليه فان لله في كل شي ايات داله على وحدانيته انكروها
وقالوا ما هذا الا افك مفترى وهو يحتمل وجوها احدها ان يكون
المراد ان القول بالوحدانية افك مفتري ويدل عليه هو ان الموحد
كان يقول في حق المشرك انه مافك كما قال تعالى في حقهم ائفكا
الهة دون الله تريدون وكما قالوا هم للرسول اجيتنا لتافكنا عما
وجدنا عليه اباءنا وثانيها ان المراد ما هذا الا افك اي القران
افك وعلى الاول يكون قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
ان هذا الا سحر مبين اشارة الى القران وعلى الثاني يكون

اشارة الى ما اتوبه من المعجزات ورد على الوجهين في قوله تعالى وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران بقول وقالوا للحق هو ان انكار التوحيد
كان مختصا بالمشركين واما انكار القران والمعجزة كان متفقا عليه
بين المشركين واهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا
للحق على وجه العموم ثم قال تعالى وما اتيناهم من كتب
يدرسونها وما ارسلنا قبلك من نذير تاكيد لبيان تقليدهم اليهم
يعني يقولون عند ما يتلى عليهم الايات البينات هذا رجل كاذب
وقوله انك مفتري من غير برهان ولا كتاب انزل عليهم ولا
رسول ارسل اليهم فالايات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية
ولم ياتوا بالعقليات وما عندهم كتاب ولا رسول غيرك والنقل
المعتبر ايات كتاب الله او من خبر رسول الله ثم بين انهم كالذين
من قبلهم كذبوا مثل عاد وثمود وقوله تعالى وما بلغوا معشار
ما اتيناهم قال المفسرون رحمهم الله معناه وما بلغ هولا المشركون
معشار ما اتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان
الله تعالى اخذهم وما نفعهم قوتهم فكيف هولاء الضعفا وعندي
يحتمل ذلك وجها اخر وهو ان يقال المراد وكذب من قبلهم وما بلغوا
معشار ما اتيناهم اي الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما اتينا قوم محمد
صلى الله عليه وسلم اكمل من ساير الكتب واوضح ومحمد صلى الله عليه
وسلم افضل من جميع الرسل وافصح وبرهانه اوفى وبيانه اشفى
ثم ان المتقدمين لما كذبوا بما جاءهم من الكتب ومن اتاهم الرسل
انكر

انكر عليهم وكيف لا ينكر عليهم وقد كذبوا بافصح الرسل واوضح
السبل ويؤيد ما مر من المعنى قوله تعالى وما اتيناهم من
كتب يدرسونها يعني غير القران ما اتيناهم كتابا وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير فلما كان المونى في الاية الكبرى الاولى
هو الكتاب حمل الاتا في الاية الثانية على اتا الكتاب اولى ثم
قال تعالى قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله ذكر الاصول
الثلثة في هذه الاية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلايل بقوله ان
تقوموا لله اشارة الى التوحيد وقوله ما بصاحبكم من جنة ان
هو الا نذير لكم اشارة الى الرسالة وقوله بين يدي عذاب
شديد اشارة الى اليوم الاخر وفي الاية مسايل الاولى قوله
عز وجل انما اعظكم بواحدة تقتضي ان لا تكون الا بالتوحيد
والايمان لا يتم الا بالاعتراف بالرسالة والحشر فكيف يصح
الحصر المذكور بقوله انما اعظكم بواحدة فنقول التوحيد هو
المقصود ومن وحد الله حق التوحيد يشرح الله صدره
ويرفع في الاخرة قدره فالنبي صلى الله عليه وسلم امرهم بما يفتح
عليهم ابواب العبادة وهي اسباب السعادات وجواب
اخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال باني لا امركم في جميع
عمري الا بشي واحد وانما قال اعظكم اولا بالتوحيد ولا امركم في
اول الامر بغيره لانه سابق على الكل ويدل عليه قوله تعالى
ثم تتفكروا فان التفكر ايضا صار مامورا به وموعوظا والله اعلم

المسئلة الثانيه قوله بواحدة قال المفسرون رحمهم الله انها
على انها صفه خصله اى اعظكم بخصله واحدة ويحتمل ان يقال
المراد حسنة واحدة لان التوحيد حسنة واحسان وقد ذكر في
قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان ان العدل نفي
الالهيه عن غير الله والاحسان اثبات الالهيه وقيل في تفسير
قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان ان المراد هل جزا
الايمان الا الجنات وكذلك يدل عليه قوله قوله تعالى ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله المسئلة الثالثه قوله مثنى وفرادى
اشارة الى جميع الاحوال فان الانسان اما ان يكون مع غيره
او يكون وحده فاذا كان مع غيره دخل في قوله مثنى واذا كان
وحده دخل في قوله فرادى وكانه قال يقوموا لله مجتمعين
ومنفردين لا يمنعكم الجمعية من ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى
معين يعينكم على ذكر الله المسله الرابعة قوله ثم تتفكروا يعني
ان اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر
ونظر بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما اقول بعده من رسالتي
والحشر فانه يحتاج الى تفكر وكله ثم تفيد ما ذكره فانه قال
وقوموا لله قانتين ثم تتفكروا ثم بين ما تتفكرون فيه وهو امر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما بصاحبكم من جنة المسله الخامسه
قوله ما بصاحبكم من جنة يفيد كونه رسولا وذلك لان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يظهر منه اشيا لا يكون مقدورا للبشر وغير البشر
من

من يظهر منه العجايب اما الجن او الملك فاذا لم يكن الصادر
من النبي عليه السلم بواسطة الملك وبقدرة الله من غير واسطة
وعلى التقديرين فهو رسول وهذا من احسن الطرق وهو
ان يثبت الصفة التي هي احسن الصفات في البشر فيبقى احسن
الصفات فانه لو قال اولا هو رسول كانوا يقولون فيه النزاع
فاذا قال ما هو مجنون لم يسعهم انكار ذلك لعلمهم بعلو شانه
وحاله في قوة لسانه وماله فاذا تباعدوا على ذلك لزمتهم
المسله ولهذا قال بعده ان هو الا نذير يعني اما هو به جنة
او رسول لكن تبين انه ليس به جنة فهو نذير المساله السا دسه
قوله بين يدي عذاب شديد اشارة الى قرب العذاب
كانه قال ينذركم بعذاب حاضر يمسكم عن قريب بين يدي
العذاب بعده ثم قال تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم
لما ذكر انه ما به من جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها اخر يلزم منه
انه نبي اذا لم يكن مجنونا لان من يرتكب العنا الشديد لا لعرض عاجل
اذا لم يكن ذلك فيه ثواب اخروي يكون مجنونا فالنبي عليه السلم بدعواه
النبوه يجعل نفسه عرضه للهلاك عاجلا فان كل احد يقصده ويعاديه
لا يطلب جزا في الدنيا فهو يفعله في الاخرة والكاذب في الاخرة
معذب لا مثاب فلو كان كاذبا لكان مجنونا لكنه ليس بمجنون فليس
بكاذب فهو نبي صادق وقوله وهو على كل شي شهيد تقرير اخر

للرسالة وذلك لان الرسالة لا تثبت الا بالدعوى والبينه مدعي
شخص النبوة ويظهر المعجزة فهي يكون بينه شاهدة والتصديق بالفعل الله؛
يقوم مقام التصديق بالقول في افادة النظم بدليل ان من قال لقوم
اني مرسل من هذا الملك اليكم الزمكم قبول قولي والملك حاضر
ناظر ثم قال للملك ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فقل لهم
انا رسولك فاذا قال انه رسول اليكم لا يبقى فيه شك كذلك
اذا قال يا ايها الملك ان كنت انا رسولك اليهم فالبسني قباءك
فلو البسه قباه في عقيب كلامه يجزم الناس بانه رسوله كذلك
حال الرسل قال الانبيا لقومهم نحن رسل الله ثم قالوا يا الهنا
ان كنا رسلك فانطق هذه الحجاره او انشر هذا الميت ففعله
يحصل الجزم بانه صدقه ثم قال تعالى قل ان ربي يقذف
بالحق علام الغيوب وفيه وجهان احدها يقذف بالحق في
قلوب المحقين وعلى هذا الوجه للاية بما قلنا تعلق وذلك
من حيث ان الله تعالى لما بين رسالة للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ان هو الا نذير لكم بين يدي واكده بقوله قل ما سالتكم عليه من
اجر فهو لكم وكان من عادة المشركين استبعاد تخصص واحد
من بينهم بانزال الذكر عليه كما قال تعالى عنهم اونزل عليه
الذكر من بيننا ذكر ما يصلح جوابا لهم فقال قل ان ربي يقذف
بالحق في القلوب اشارة الى ان الامر بيده يفعل ما يريد ويعطي
ابي

ما يشا لمن يشا ثم قال علام الغيوب اشارة الى جواب
سوال فاسد يذكر عليه وهو ان من يفعل شيا كما يريد من
غير اختصاص محل الفعل بشي لا يوجد لغيره لا يكون عالما
وانما ذلك يفعل اتفاق كما اذا اصاب السهم موضعا دون
غيره مع تسوية المواضع في المحاذاة فقال يقذف بالحق
كيف يشا وهو عالم بما يفعله وعالم بعواقب ما يفعله فهو
يفعل ما يريد لا كما يفعله الهاجم الغافل عن العواقب وهو علام
الغيوب الوجه الثاني هو ان المراد منه هو انه يقذف بالحق
على الباطل كما قال في سورة الانبيا بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه وعلى هذا تعلق الايه بما قلنا ايضا ظاهر وذلك
من حيث ان براهين التوحيد لما ظهرت وشبههم دحضت قال
ان ربي يقذف بالحق اى على باطلكم وقوله علام الغيوب
على هذا الوجه معنى لطيف وهو ان البرهان الباهر المعقول
الظاهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة واما الحشر فعلى وقوعه
لا برهان عن اخبار الله تعالى عنه وعن احواله واهواله ولولا
بيان الله بالقول لما بان لاحد بخلاف التوحيد والرسالة
فلما قال يقذف بالحق اى على الباطل اشارة الى ظهور البراهين
على التوحيد والنبوة قال علام الغيوب الى ما يخبره عن الغيب
وهو قيام الساعة واحوالها فهو لا خلف فيه فان الله علام الغيوب
والايه يحتمل تفسيرا اخر وهو انه تعالى ربي يقذف بالحق اي
ما يقذفه يقذفه بالحق لا بالباطل والبا على الوجهين الاولين

وعلى هذا الباقيه كالباقى قوله تعالى وقضى بينهم بالحق وفى قوله
فاحكم بين الناس بالحق والمعنى على هذا الوجه هو ان الله قذف
ما قذف فى قلب الرسل بالحق وهو علام الغيوب يعلم ما فى قلوبهم
وما فى قلوبكم ثم قال تعالى جا الحق وما يبدي الباطل وما قلـ
يعيد لما ذكر الله تعالى انه يقذف بالحق وذلك انه بصيغة
الاستقبال ذكر ان ذلك الحق قد جاء وفيه وجوه احدها انه
القران الثاني انه بيان التوحيد والحشر وكل ما ظهر على لسان
النبى صلى الله عليه وسلم الثالث المعجزات الداله على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون من جاء الحق ظهر الحق لان كل
ما جاء فقد ظهر والباطل خلاف الحق وقد بينا ان الحق هو الموجود
ولما كان ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم لم يمكن انتفاوه كالتوحيد
والرسالة والحشر كان حقا لا ينبغي ولما كان ما يأتون به من
الاشراك والتكذيب لا يمكن وجوده كان باطلا لا يثبت
وهذا المعنى يفهم من قوله وما يبدئ الباطل لا يفيد شيا فى الاولى
ولا فى الاخرة ولا امكان لوجوده اصلا فالحق الماتى به لا عدم
له اصلا وقيل المراد لا يبدى الشيطان ولا يعيد وفيه معنى
لطيف وهو ان قوله تعالى قل ان ربى يقذف بالحق لما كان
فيه معنى قوله تعالى نقذف بالحق على الباطل فيدمغه كان
يقع لمتوهم ان الباطل كان مورد عليه الحق فابطله ودفعه
فقال هاهنا ليس للباطل تحقق اولا واخرا وانما المراد من قوله
فيدمغه اى فيظهر بطلانه الذى لم يزل كذلك واليه الاشارة بقوله

تعالى وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يعنى ليس امرا
متجددا زهوق الباطل بقوله وما يبدي الباطل اى لا يثبت
فى الاول شيا خلاف الحق ولا يعيد اى لا يعيد فى الاخر
شيا خلاف الحق ثم قال تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى هذا فيه تقدير
للرسالة ايضا وذلك لان الله تعالى قال على سبيل العموم
من اهتدي فلنفسه وقال فى حق النبى عليه السلم وان
اهتديت فبما يوحى يعنى ضلالى على نفسى كضلالكم واما
اهتداى فليس بالنظر والاستدلال كاهتدايكم وانما هو بالوحى
المبين قوله انه سميع اي يسمع اذا ناديته واسعد
به عليكم قريب ياتيكم من غير تاخير ليس كمن يسمع عن بعيد
ولا يلحق الداعي ثم قال تعالى ولو تري اذ فزعوا لما قال
سميع قريب قال هو قريب فان لم يسعد عاجلا ولا يعين صاحب
الحق فى الحال فيوم الفزعات لا يموت وانما يستعجل من يخاف
الفوت وقوله ولو تري جوابه محذوف اى ترى عجبا واخذوا
من مكان قريب لا يهربون وانما الاخذ قبل تمكنهم من الهرب
ثم قال تعالى وقالوا امنا به وان بعد ظهور الامور حيث
لا ينفع ايمان وقالوا امنا به اي كيف تقدرون على الظفر بالمطلوب
ولا يكون الا فى الدنيا وهم فى الاخرة والدنيا من الاخرة بعيدة
فان قيل فكيف قال فى كثير من المواضع ان الاخرة من
الدنيا قريبه ولهذا سماه الله الساعة وقال لعل الساعة قريب

نقول الماضي كالامس الدابر ابعد ما يكون اذ لا يوصل اليه
والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر سنين فانه ان يقوم القيامة
الدنيا بعيدة بمضيها وفي الدنيا يوم القيامة قريب لاتيانه والتناوش
هو التناول عن قريب وقيل عن بعيد ولما جعل الله الفعل ماخوذا
كالجسم جعل ظرفا للفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان
فقال من مكان بعيد والمراد ما مضى من الدنيا ثم بين الله تعالى
ان ايمانهم لا ينفع فيه انهم كفروا به من قبل والاشارة في قوله امنا
وقوله كفروا به الى شيء واحد اما محمد عليه السلم واما القران
واما الحق الذي اتى به محمد عليه السلم وهو اقرب واقوى
وقوله ويقذفون بالغيب ضد يؤمنون بالغيب لان الغيب
نزل من الله على لسان الرسول فيقذف الله في القلوب ويقبله
المؤمن واما الكافر فهو يقذف بالغيب اي يقول ما لا يعلمه
وقوله من مكان بعيد يحتمل ان يكون المراد ان ماخذهم بعيد
احدوا الشريك من انهم لا يقدرون على اعمال كثيرة الا اذا
كانوا اشخاصا كثيرة وكذلك المخلوقات الكثيرة واخذوا بعد
الاعادة من حالهم وعجزهم عن الاحيا فان المريض يداوى فاذا
مات لا يمكنهم اعادة الروح اليه وقياس الله على المخلوق بعيد
الماخذ ويحتمل ان يقال انهم كانوا يقولون بان الساعة ان كانت
قايمة فالثواب والنعيم لنا كقول قايلهم ولين رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وكانوا يقولون ذلك لا من قول الرسول وما كان ذلك
عندهم حتى يقولوا عن احساس فان ما لا يجب عقلا لا يعلم الا بالاحساس او

او بقول الصادق فانهم كانوا يقولون عن الغيب من مكان بعيد
فان قيل قد ذكرنا ان الاخرة قريبة فكيف قال من مكان بعيد
نقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان ذلك قريب اذا امنا بمحمد
عليه السلم ومن لم يؤمن لا يمكنه التصديق به فيكون بعيدا عنه
الثاني ان الحكاية يوم القيامة فكانه قال يقذفون من مكان
بعيد وهو الدنيا ويحتمل وجها اخر وهو انهم كانوا في الاخرة
يقولون ربنا ارجعنا نعمل صالحا وكانوا يحكمون في الاخرة
بانهم ان ردوا الى الدنيا يعملوا صالحا وهو قذف بالغيب من
مكان بعيد وهو الدنيا ثم قال عز وجل وحيل بينهم وبين ما
يشتهون من العود الى الدنيا وبين لذات الدنيا فان قيل كيف
يصح قولك ما يشتهون من العود مع انه تعالى قال كما فعل باشيا عهم
من قبل وما حيل بينهم وبين العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم وبين
العود قلنا لم قلتم انه ما حيل بينهم بل كل ما جاءه الملك طلب
التاخير ولم يعط وارادوا ان يؤمنوا عند ظهور الباس ولم يقبل وقوله
قريب يحتمل وجهين احدهما ذي ريب والثاني موقع الريب
وسنذكره في موضع اخر ان شا الله تعالى والله اعلم بالصواب
واليه المرجع والماب

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر
السموات والارض قد ذكرنا فيما تقدم ان الحمد يكون على النعمة
في اكثر الامر ونعم الله قسمان عاجلة واجلة والعاجلة وجود

وبقآ والاجلة كذلك الجاد مرة اخرى وقوله تعالى الحمد لله الذي
خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى
النعمة العاجلة التي هي للبقا فان البقا والصلاح بالشرع والكتاب
ولولاه لوقعت المنازعة والمخاصمة بين ولا يفصل بينهم فكان
يفضي ذلك الى التعاسل والتعالى فانزل الكتاب نعمه يتعلق
بها البقا العاجل وفي قوله في سورة سبا الحمد لله الذي له ما
في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة اشارة الى نعمة
الايجاد الثاني بالحشر واسند للفاعلية بقوله يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء من الارواح وما يعرج فيها
منها وقوله عن الكافرين وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعه
قل بلى وربي وها هنا الحمد اشارة الى نعمة البقا في الاخرة ويدل
عليه قوله تعالى وتتلقاهم الملايكة وعلى هذا فقوله تعالى فاطر
السموات يحتمل وجهين الاول معناه مبدعها كما نقل عن ابن
عباس والثاني فاطر السموات والارض اى شاقهما لنزول
الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض ويدل عليه
قوله تعالى جاعل الملايكه رسلا وعلى هذا فاول هذه السورة
متصل باخرها مضى لان قوله كما فعل باشياعهم بيان انقطاع رجا
من كان في شك مريب وتنفيه بان لا قبول لتوبته ولا فايدة
لقوله امنت كما قال تعالى عنهم وقالوا امنا به وانى لهم التناوش فلما
ذكر حالهم بين حال المومن وبشره بارسال الملايكه اليهم مبشرين
وبين انه تفتح لهم ابواب الرحمة وقوله اولى اجنحة مثنى اقل ما يكون

لذي الجناح ان يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال
قوم ان الجناح اشارة الى الجهة وبيانه هو ان الله تعالى ليس فوقه
شي وكل شي تحت قدرته ونعمته والملايكة له وجه الى الله ياخذون
منه نعمه ويعطون من دونهم مما اخذوه باذن الله كما قال الله تعالى
نزل به الروح الامين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال
تعالى في حقهم والمدبرات امرا فهما جناحان وفيهم من يفعل ما
يفعل من الخير بواسطة فيه ثلاث جهات واكثر والظاهر ما
ذكرناه اولا وهو الذي عليه اطباق المفسرين وقوله يزيد في
الخلق ما يشا من المفسرين من خصصه وقال المراد الوجه الحسن
ومنهم من قال الصوت الحسن ومنهم من قال كل وصف محمود
والاولى ان نعم ونقال الله تعالى قادر كامل يفعل ما يشا فيزيد
ما يشا وينقص ما يشا وقوله ان الله على كل شي قدير تقرير قوله
يزيد في الخلق ما يشاء قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك وما يمسك فلا مرسل له من بعده لما بين كمال القدرة ذكره
وبيان نفوذ المشية ونفاذ الامر وقال ما يفتح الله يعني ان
رحم فلا مانع له وان لم يرحم فلا باعث له عليها وفي الاية دليل
على سبق رحمته غضبه من وجوه احدها التقدم حيث قدم
بيان فتح ابواب الرحمة في الذكر وهو وان كان ضعيفا لكنه وجه
من وجوه التفصيل وثانيها هو انه اتى الكناية في الاول فقال
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وجاز من حيث العربيه
ان يقال له عايد الى ما ولكن قال الله تعالى ليعلم ان المفتوح ابواب

الرحمة ولا ممسك لرحمته وهو واصله الى من رحمه وقال عند الامساك
وما يمسك فلا مرسل له بالتذكير ولم يقل لها فما صرح بانه لا
مرسل للرحمة بل ذكره بلفظ يحتمل ان يكون الذي لا يرسل هو
غير الرحمة فان قوله تعالى وما يمسك عام من غير بيان وتخصيص
بخلاف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فانه مخصص مبين
وثانيها قوله من بعده اي من بعد الله فاستثنى هاهنا وقال لا مرسل
له الا الله فنزل له مرسلا وعند الامساك قال لا ممسك لها
ولم يقل غير الله لان الرحمة اذا جاءت لا ترتفع فان من رحمه الله
في الاخرة لا يعذبه بعدها هو ولا غيره ومن يعذبه الله قد يرحمه
الله بعد العذاب كالفساق من اهل الايمان ثم قال
تعالى هو العزيز اي كامل القدرة الحكيم كامل العلم ثم قال
عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم لما بين ان الحمد
لله وبين بعض وجوه النعمة التي يستوجب الحمد على سبيل
التفصيل بين نعمه على سبيل الاجمال فقال اذكروا نعمة الله
عليكم وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة
الابقا فقال هل من خالق غير الله اشارة الى نعمة الايجاد في
الابتداء وقال يرزقكم اشارة الى نعمة الابقا بالرزق الى
الانتهاء ثم بين انه لا اله الا هو نظرا الى عظمته حيث هو عزيز حكيم
قادر على كل شي نافذ الارادة في كل شي فلا مثل لهذا ولا معبود
لذاته غير هذا ونظرا الى نعمته حيث لا خالق غيره ولا رازق الا
هو ثم قال تعالى فانى يؤفكون اي كيف تصرفون عن هذا الظاهر
فكيف

فكيف تشركون المنحوت بمن له الملكوت ثم لما بين الاصل الاول
وهو التوحيد ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة فقال وان
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ثم بين من حيث الاجمال
ان المكذب في العذاب والمصدق له الثواب بقوله والى الله ترجع
الامور ثم بين الاصل الثالث وهو الحشر فقال يا ايها الناس
ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
اي الشيطان وقد ذكرنا ما فيه من معنى لطيف في سورة
لقمان ونعيده هاهنا فنقول المكلف قد يكون ضعيف الذهن
قليل العقل سخيف الراي فيغتر بادنى شي وقد يكون فوق ذلك
فلا يغتر به ولكن اذا جاءه غار وزين له ذلك الشي وهون عليه
مفاسده وبين له منافع بعض ما فيه من اللذة مع ما يضم اليه
من دعا ذلك الغار اليه وقد يكون قوي الجانبين غزير العقل
فلا يغتر ولا يغر فقال تعالى لا تغرنكم الحياة الدنيا اشارة الى
الدرجة الاولى وقال ولا يغرنكم بالله الغرور اشارة الى
الثانية ليكون واقعا في الدرجة الثالثة وهي العليا فلا يغتر
ولا يغر ثم قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا لما قال تعالى ولا يغرنكم بالله الغرور ذكر ما يمنع العاقل
من الاغترار وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
ولا تسمعوا قوله وقوله فاتخذوه عدوا اي اعملوا ما يسوءه
وهو العمل الصالح ثم قال تعالى انما يدعوا حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير اشارة الى معنى لطيف وهو ان من يكون له عدو

فله في امره طريقان احدهما ان يعاديه مجازاة على معاداته والثاني
ان يذهب عداوته بارضايه فلما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو
امرهم بالعداوة واشار الى ان الطريق ليس للامل واما الطريق
الاخر وهو الارضا فلا فايدة فيه لانكم ان ارضيتموه واتبعتموه
فهو لا يودكم الى السعير واعلم ان من علم له عدوا لا مهرب
له منه وجزم بذلك فانه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه
الظفر فكذلك الشيطان لا يقدر الانسان يهرب منه فانه معه
ولا يزال يتبعه الا ان يقف له فيهزمه الشيطان لعزيمة الانسا
ن الطريق الثبات على الجاده والاتكال على العبادة ثم بين الله تعالى
حال حزبه وحال حزب الله فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد
فالغاوي الشيطان وان كان في الحال في عذاب ظاهر وهو
ليس بشديد فالانسان اذا كان عاقلا يختار العذاب المنقطع
اليسير دفعا للعذاب الشديد المديد الا ترى ان الانسان
اذا عرض في طريقه شوك او نار ولا يكون له بد من احدهما
يتخطى الشوك ولا يدخل النار ونسبة النار التي في الدنيا
الى النار التي في الاخرة دون نسبة الشوك الى النار
العاجله وقال عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر كبير قد ذكر تفسيره مرارا وسر فيه ان
الايمان في مقابلته المغفرة فلا يويد مومن في النار والعمل
الصالح في مقابلة الاجر الكبير ثم قال تعالى افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا يعني ليس من عمل سيئا كالذي عمل صالحا
كما

كما قال تعالى بعد هذا بايات وما يستوي الاعمى والبصير ولا
الظلمات ولا النور تعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالى لما بين
حال المسي الكافر والمومن وما من احد يعترف بانه يعمل شيا
الا قليل فكان الكافر يقول الذي له العذاب الشديد
هو الذي يتبع الشيطان وهو محمد وقومه الذين اسمهوتهم الجن
فاتبعوها والذي له الاجر العظيم نحن الذي دمنا على ما كان
عليه اباءنا فقال تعالى لستم انتم كذلك فان المحسن غير ومن
زين له سوء عمله العمل السي فراه حسنا غير بل الذين زين لهم
النبي دون من اساء وعلم انه مسيء فالجاهل الذي يعلم جهله
والمسي الذي يعلم بسوء عمله يرجع ويموت الذي لا يعلم يصر
على الذنوب والمسي والعالم له صفة ذم بالاساه وصفة مدح
بالعلم والمسي الذي يرى الاساة احسانا له صفتان ذم الاساة
والجهل ثم بين ان الاساة بمشية الله وقال فان الله يضل من يشا
ويهدي من يشا وذلك لان الناس اشخاصهم متساوية في الحقيقه
والاساه والاحسان والسية والحسنة يمتاز بعضها على بعض
فاذا عرفنا البعض دون البعض لا يكون ذلك باستقلال
منهم ولا بد من الاسناد الى ارادة الله ثم سلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث حزن من اصرارهم بعد اتيانه بكل
اية ظاهرة وحجة قاهرة قال ولا تذهب نفسك عليهم حسرا ت
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ثم بين ان حزنهم
ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو اراد

ايمانهم واحسانهم بصدهم عن الضلال وردهم عن الضلال وان
كان لمابه منهم من الايذاء فالله عالم بفعلهم يجازيهم على ما يصنعو
ثم عاد الى البيان وقال والله الذي ارسل الرياح هبوب الرياح
دليل ظاهر على الفاعل المختار وذلك لان الهوى يسكن وقد يتحرك
وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى اليسار وفي حركا
المختلفة قد ينشي السحاب وقد لا ينشي فهذه الاختلافات دليل على
مسخر مدبر وموثر مقدر وفي الاية مسايل الاولى قال
الله الذي ارسل بلفظ الماضي وقال فتثير سحابا بصيغة المستقبل
وذلك لما اسند فعل الارسال الى الله وما يفعل الله يكون بقوله
كن فيكون فلا يبقى في العدم لا زمانا ولا جزا من الزمان فلم يقل بلفظ
المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه كان لانه فرغ من كل شي
فهو قدر الارسال في الاوقات المعلومه والى المواضع المعينة
والتقدير كالارسال ولما اسند فعل الاثاره الى الريح وهو يولف
في زمان فقال فتثير اي على هيئتها المسله الثانيه قال ارسل
اسند الفعل الغايب وقال سقنا باسناد الفعل الى المتكلم
وكذلك في قوله فاحيينا وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل
من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال اما الذي عرفتني سقت
السحاب واحييت الارض ففي الاول كان تعريفا بالفعل العجيب
وفي الثاني كان تذكيرا بالنعمة فان كمال نعمه الرياح والسحب بالسوق
والاحيا وقوله سقناه واحيينا بصيغة الماضي يوئيد ما ذكرناه من
الفرق بين قوله ارسل وبين قوله تثير المسلة الثالثه ما وجه

وجه التشبيه وكذلك النشور نقول فيه وجوه احدها ان
الارض الميته لما قبلت الحياة اللايقة بها كذلك الاعضا تقبل
الحياه وثانيها كما ان الريح تجمع القطع السحابية كذلك يجمع اجزا
الاعضا وابعاض الاشيا وثالثها كما انا نسوق الريح والسحاب الى
البلد الميت نسوق الروح والحياه الجسد الميت المسله الرا بعه
ما الحكمة في اختيار هذه الايه من بين الايات مع ان الله تعالى
له كل شي ايه تدل على انه واحد فنقول لما ذكر الله انه فطر السموات
والارض ذكر من الامور السماويه والارواح وارسلها بقوله
جاعل الملايكه رسلا ذكر من الامور الارضيه الرياح وارسالها
بقوله جاعل والله الذى ارسل الرياح ثم قال عز وجل من
كان يريد العزة فلله العزة جميعا لما بين برهان الايمان
واشار الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهره
الذى كانوا يتوهمونها من حيث انهم ما كانوا في طاعة احد
ولم يكن لهم من يامرهم وينهاهم فكانوا يعبدون الاصنام وكانوا
يقولون ان هذه الهتنا انهم كانوا يتقلدونها مع انفسهم
وانه عز فوق المعيه مع المعبود فهم كانوا يطلبون العز
وهي عدم التذلل للرسول وترك الاتباع وقال ان كنتم تطلبون
هذا الكفر للعزة في الحقيقة فهي كلها لله ومن يتذلل
له فهو العزيز ومن يتعزز عليه فهو الذليل وفي الايه مسايل
الاولى قال في هذه الاية فلله العزة جميعا وقال في اية اخرى
فلله العزة ولرسوله وللمومنين وقوله جميعا يدل على ان لا عزة

لغيره مقبول قوله فلله العزة اي في الحقيقة بالذات وقوله ولرسوله
اي بواسطة القرب من العزيز وهو الله وللمؤمنين بواسطة النبي
صلى الله عليه وسلم الا ترى الى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله **المسئلة الثانية** قوله اليه يصعد الكلم الطيب
تقرير لبيان العزة وذلك لان الكفار كانوا يقولون نحن لا نعبد
من لا نراه ولا نحضر عنده لان البعد من الملك ذله فقال تعالى لا تصلون
اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب فمن قبل كلامه وصعد اليه فهو
عزيز ومن رد كلامه في وجهه فهو ذليل واما هذه الاصنام
لا يتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا علم لها بكل احد منها
وكذلك يرى عملكم فمن عمل صالحا رفعه اليه ومن عمل سيئا رده
عليه فالعزيز من يرفع الذي عمله لوجهه والذليل من يدفع ما
عمله في وجهه واما هذه الاصنام فلا تعلم شيا ولا عزيز عنده
ولا ذليل فلا عزة بها بل كلها ذلة وذلك لان ذلة السيد ذلة
العبد ومن كان معبوده وربه واله حجارة او خشبة ماذا يكون
هو **المسئلة الثالثة** في قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب
وجوه احدها كلمة لا اله الا الله والله اكبر طيب وثانيها هذه
الكلمات الاربع وخامسة وهي تبارك الله والمختار ان كل كلام
هو ذكر الله او هو لله كالنصيحة والعلم فهو اليه يصعد **المسئلة
الرابعة** قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه في الهاء وجهان احدها
هي عايدة الى الكلم الطيب اي العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم
الطيب اي العمل الصالح ورد في الخبر لا يقبل الله قولا بلا عمل
وثانيها

وثانيهما هي عايدة الى العمل الصالح وعلى هذا في الفاعل الرافع
وجهان احدهما هو الكلم الطيب اي الكلم الطيب يرفع
العمل الصالح وهذا يؤيده قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر
او انثى وهو مؤمن وثانيهما الرافع هو الله تعالى **المسئلة
الخامسة** ما وجه ترجيح الذكر على الوجه الثاني حيث
يصعد الكلم بنفسه ويرفع العمل لغيره فنقول الكلام
شريف فان امتياز الانسان عن كل حيوان بالنطق ولهذا
قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم اي بالنفس الناطقة والعمل
حركة وسكون يشترك فيه الانسان وغيره والشريف اذا
وصل الى باب الملك لا يمنع ومن دونه لا يجد الطريق الا عند
الطلب ويدل على هذا ان الكافر اذا تكلم بكلمة الشهادة
ان كان عن صدق امن من عذاب الدنيا والاخرة وان كان
ظاهرا امن في نفسه ودمه واهله وحرمه في الدنيا ولا كذلك لك
العمل بالجوارح وقد ذكرنا ذلك في تفسير قوله تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات وجه اخر القلب هو
الاصل وقد تقدم ما يدل عليه وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا
فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وما في القلب لا يظهر الا
باللسان وما في اللسان لا يتبين صدقه الا بالفعل والقول
اقرب الى القلب من الفعل الا ترى ان الانسان لا يتكلم بكلمة
الا عن قلب اما الفعل قد يكون لا عن قلب كالعبث باللحية ولان

النايم لا يخلوا عن فعل من حركه وتقلب وهو في اكثر الامر لا يتكلم
في يومه الا نادرًا لما ذكرنا ان الكلام بالقلب ولا كذلك العمل
فالقول اشرف **المسلة السادسة** قال الزمخشري المكر لا
يتعدى ثم اضاف السيات فهو وصف مصدر محذوف
ويحتمل ان يقال تعديته كما قال يعملون السيات يحتمل ما ذكره
ان يكون السيات وصفًا لمصدر تقديره الذين يعملون العمل
السيات وعلى هذا يكون هذا في مقابلة قوله والعمل الصالح
يرفعه اشارة الى بقايه وارتقايه ومكر اوليك اي العمل السي
هو يبور اشارة الى فنايه ثم قال عز وجل والله خلقكم من
تراب قد ذكرنا مرارًا ان الدلايل مع كثرتها وعدم دخولها
في عدد محصور منحصرة في قسمين دليل الافاق ودلايل الانفس
كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فلما ذكر دلايل
الافاق من السموات وما يرسل فيها من الملايكه والارض
وما يرسل فيها من الرياح شرع في دلايل الانفس وقد ذكر
تفصيله في تفسيره مرارًا وذكر ما قيل من ان قوله من تراب
اشارة الى خلق ادم ثم من نطفة اشارة الى خلق اولاده
وبينا ان الكلام غير محتاج الى هذا التاويل بل خلقكم
خطاب مع الناس وهم اولاد ادم وكلهم من تراب ومن نطفة
والنطفة من غذا والغذا بالاخرة ينتهي الى الما والتراب
فهو من تراب صار نطفه وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا
بعلمه اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الاخلاق
بل

بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله احد كيف هو والام الحامله
لا يعلم منه شيا فلما ذكر بقوله خلقكم من تراب كمال علمه بين
نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
فبين انه هو القادر العالم المريد والاصنام لا قدرة لها ولا علم
ولا اراده وكيف يستحق شي منها العبادة وقوله ان ذلك على الله
يسير اي الخلق من التراب ويحتمل ان يكون المراد ان التعمير
والنقصان على الله يسير ويحتمل ان يكون المراد ان العلم بما تحمله
الانثى يسير والكل على الله يسير والاول اشبه فان اليسير
استعماله في الفعل اليق ثم قال تعالى وما يستوي البحران قال
المفسرون اكثرهم ان المراد من الايه ضرب المثل في حق الكفر
والايمان والكافر والمومن بالايمان لا يشتبه بالكفر في الحسن
والقبح كما لا يشتبه البحران العذب والفرات والملح الاجاج ثم على
هذا فقوله ومن كل تاكلون لحما طريا لبيان حال الكافر والمومن
او الكفر والايمان دون حال البحرين لان الاجاج يشارك الفرات
في خير ونفع اذ اللحم الطري يوجد فيهما والحليه توجد منهما والفلك
تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر وهذا على نسق قوله
تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل وقوله كالحجارة او اشد قسوة
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار والاظهر ان المراد منه ذكر
دليل اخر على قدرته وذلك من حيث ان البحرين يستويان في الصورة
ويختلفان في الماء فان احدهما عذب فرات والاخر ملح اجاج
ولو كان ذلك بالايجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافهما

يوجد منهما امور متشابهة فان اللحم الطري يوجد منهما والحلية
توجد منهما ومن يوجد في المتشابهين اختلاف من المختلفين اشتباها
لا يكون الا قادرا مختارا فقوله وما يستوي البحران اشارة الى ان
عدم استوايهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته وفي
الاية مسايل الاولى قال اهل اللغة لا يقال في ما البحر اذا
كان فيه ملوحة مالح وانما يقال له ملح وقد يذكر في بعض الكتب
الفقهية بصريه ما البحر بالحاء ويواخذ قايله وهو اصح ما يذهب اليه
القوم وذلك لان الما العذاب اذا القي فيه ملح لا يقال له الا
مالح وما ملح يكون الما الذي صار من اصل خلقته كذلك لان
المالح شي فيه ملح ظاهر في الذوق والما الملح ليس ما وملحا بخلاف
الطعام المالح والما العذب الملقى فيه الملح ظاهر في الذوق
بخلاف ما هو من اصل خلقته كذلك فلما قال الفقيه الملح اجزا
ارضيه سبخه يضيق بها ما البحر صار الحا راعى فيه الاصل فانه جعله
ما جاوزه ملح واهل اللغة حيث قالوا في البحر ماوه ملح جعلوه
كذلك من اصل الخلقة والاجاج المر وقوله من كل ياكلون لحما
طريا من الطير والسمك وتستخرجون حلية تلبسونها من اللولو
والمرجان وترى الفلك فيه مواخر اى ماخران يجرد البحر باطرافها
اي تشق وقوله لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يدل على ما ذكرنا
من ان المراد من الاية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله
ووحدانيته وكمال قدرته ثم قال تعالى يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل استدلالا اخر باختلاف الازمنة وقد ذكرناه مرارا وذكرنا
ان

ان قوله تعالى بعده وسخر الشمس والقمر جواب لسوال يذكره المشركون
وهو انهم قالوا اختلاف الليل والنهار بسبب اختلاف القسي الواقعة
فوق الارض وتحتها قال في الصيف تمر الشمس على سمت
الروس في بعض البلاد المايلة الافاق وحركة الشمس هناك
حمايلية فيقع تحت الارض فينقص الليل وفي الشتا بالضد فيقصر
النهار فقال الله تعالى وسخر الشمس والقمر يعني سبب
الاختلاف وان كان ما ذكرتم لكن سير الشمس والقمر بارادة
الله وقدرته فهو الذي فعل ذلك ثم قال تعالى ذلكم الله ربكم
اي ذلك الذي فعل هذه الاشيا في فطر السموات والارض
وارسال الارواح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك له
الملك كله ولا معبود الا هو لانه الكامل ولكونه ملكا والملك
مخدوم بقدر ملكه فاذا كان له الملك كله فله العبادة كلها
هو ح ثم بين ما في صفة الالهية وقوله والذين تدعون من دونه ما
يملكون من قطمير وههنا لطيفة وهي انه تعالى ذكر لنفسه نوعين
من الاوصاف احدهما الخلق بالقدرة والارادة والثاني الملك
واستدل بهما على انه اله معبود كما قال تعالى قل اعوذ برب
الناس ملك الناس اله الناس ذكر الرب والملك ورتب عليها
كونه الها معبودا وذكر فيما اشركوا به سلب صفة واحدة وهو
عدم الملك بقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
ولم يذكر سلب الوصف الاخر لوجهين احدهما ان كلهم كانوا معترفين
بان لا خلق لهم وانهم كانوا يقولون بان الله تعالى فوض امر الارض

والارضيات الى الكواكب التي الاصنام على صورتها وطوالعها فقال
لا ملك لهم وما ملكهم الله شيئا وما ملكوا شيئا وثانيهما انه يلزمه
من عدم الملك عدم الخلق لانه لو خلق شيئا لملكه فاذا لم يملك
قطميرا ما خلق قليلا ولا كثيرا ثم قال تعالى ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ابطالا لما كانوا يقولون ان في عبادة الاصنام
عزة من حيث القرب منها والنظر اليها وعرض الحوائج عليها والله
لا يرى ولا يصل اليه احد فقال هؤلا لا يسمعون دعاكم والله يصعد
اليه الكلم الطيب فيسمع ويقبل ثم نزل عن تلك الدرجة وقال
هب انهم يسمعون كما تظنون فانهم كانوا يقولون بان الاصنام تسمع
وتعلم ولكنهم ما كان يمكنهم انهم يحسون لان ذلك انكار للمحسوس به
وعدم سماعهم انكار للمعقول والنزاع وان كان يقع في المعقول
فلا يمكن وقوعه في المحسوس به ثم انه تعالى قال ويوم القيامة يكفرون
بشرككم لما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة
بل اشار الى وجود الضرر منهم في الاخرة بقوله ويوم القيمة يكفرون
بشرككم اي باشراككم بالله شيئا كما قال تعالى ان الشرك لظلم
عظيم اي الاشراك وقوله ولا ينبئك مثل خبير يحتمل وجهين احدهما
ان يكون ذلك خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجهه هو ان الله
تعالى لما اخبرنا بان الخشب والحجر يوم القيامة تنطق وتكذب عابده
وذلك امر لا يعلم بالعقل المجرد ولولا اخبار الله تعالى عنه قال تعالى انهم
يكفرون بهم يوم القيمة وهذا القول مع كون المخبر عنه خبيرا امرا عجيبا
هو كما قال لان المخبر عنه خبير وثانيهما ان يكون ذلك خطابا غير مختص

باحد اي هذا الذي ذكره هو كما ذكر ولا ينبئك ايها السامع كائنا
من كنت مثل خبير ثم قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا
الى الله والله هو الغني الحميد لما كثر الدعا من النبي عليه السلم
والاصرار من الكفار قالوا ان الله تعالى لعله محتاج الى
عبادتنا حتى يامرنا بها امرا بالغا ويهددنا على تركها مبالغا
فقال انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد فلا يامركم بالعبادة
لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم وفي الاية مسايل
الاولى التعريف في الخبر قليل والاكثر ان يكون
الخبر نكرة والمبتدا معرفة وهو معقول وذلك لان المخبر لا يخبر
في الاكثر الا بامر لا يكون عند المخبر منه علم او في ظن المتكلم
ان السامع لا علم لديه ثم ان المبتدا لا بد من ان يكون معلوما عند
السامع حتى يقول ايها السامع الامر الذي تعرفه انت فيه
المعنى الفلاني كقول القايل زيد قايم او قام ابو زيد الذي
تعرفه ثبت له قيام لا علم عندك به فان الخبر معلوما عند
السامع والمبتدا كذلك ويقع الخبر تنبيها تفهيما لحسن تعريف في
غاية الحسن كقول القايل الله ربنا ومحمد نبينا حيث عرف كون الله
ربا وكون محمد نبيا وهاهنا لما كان كون الناس فقرا امر ظاهر
لا يخفى على احد قال انتم الفقرا **المسلة الثانية** قوله الى
الله اعلام بان لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه وهذا
يوجب عبادته لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم
الافتقار الى غيره ثم قال والله هو الغني الحميد اي هو مع

استغناه يدعوكم كل الدعا وانتم مع احتياجكم لا تجيبونه ولا تدعوه فيجيبكم **المسلة الثالثه** فى قوله الحميد لما زاد فى وصفه بالمعنى زيادة وهو كونه حميد اشارة الى انكم فقرا وفى مقابلته الله غنى وفقركم اليه وفى مقابلته نعمه عليكم لكونه حميدًا واجب الشكر فلستم انتم فقرا والله مثلكم فى الفقر بل هو غنى على الاطلاق ولستم انتم لما افتقرتم اليه تركتكم غير مقضى الحاجات بل قضى فى حاجاتكم وان امنتم يقضى فى الاخرة حوايجكم فهو حميد ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد سانا لغناه وفيه بلاغه كامله وبيانها انه تعالى قال ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفًا الا على مشيته بخلاف الشى المحتاج اليه فان المحتاج لا يقول قايل فيه ان شا فلان هدم داره او اعدم عقاره وانما يقول لولا حاجة السكنى الى الدار لبعتها او لولا الافتقار الى العقار لتركتها ثم انه تعالي زاد بيان الاستغنا بقوله ويات بخلق جديد يعنى ان كان يتوهم متوهم ان هذا الملك كمال وعظمه فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته فهو قادر بان يخلق خلقًا جديدًا احسن من هذا واجمل واتم واكمل ثم قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي الاذهاب والاتيان وهاهنا مسلة وهي ان لفظ العزيز استعمله الله تعالى تارة فى القايم بنفسه حيث قال فى نفسه وكان الله قويًا عزيزًا وقال فى هذه السورة ان الله عزيزًا غفورا واستعمله فى القايم بغيره حيث قال وما ذلك على الله بعزيز وقال عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد او بمعنيين فنقول العزيز هو الغالب فى اللغة من عز يعز

من غلب سلب فالله عزيز اي غالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص يقال هو مغلوب بالنسبة الي ذلك الفعل بقوله وما ذلك على الله بعزيز ان لا يغلبه الله ذلك الفعل بل هو هين على الله وقوله عزيز عليه ما عنتم اي ما يحزنه ويوديه كالشغل الغالب ثم قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخري متعلق بما قبله وذلك من حيث انه تعالي لما بين الحق بالدلايل الظاهره والبراهين الباهره وذكر ما يدعوهم الى النظر فيه وقال ولا تزر وازره وزر اخري لا تحمل نفس ذنب نفس فالنبى صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبًا فى دعايه لكان مذنبًا وهو يعتقد بان ذنبه لا تحملونه انتم فهو يتوقى ويحترز والله تعالى غنير فقيرا الى عبادتكم فتفكروا واعلموا انكم ان ضللتم ولا يحمل احد عنكم وزركم وليس كما يقول الكافر لكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وفى الاية مسايل **الاولى** قوله وازره اى نفس وازرة ولم يقل ولا تزر نفس وازرة اخري ولا جمع بين الموصوف والصفه فلم يقل ولا تزر نفس وزر اخرى لما علم ان كل نفس وازره مهمومه بهم وزرها متحيرة فى امرها ووجه اخر وهو ان قول القايل ولا تزر نفس وزر اخرى قد يجمع معها ان لا تزر وزرا صلا كالمعصوم لا يزر وزر غيره مع ذلك وزرًا راسا فقوله ولا تزر وازره بين انها تزر وزرا ولا تزر وزر الغير واما ترك الموصوف فلظهور الصفة ولزومها الموصوف ثم قال تعالي وان تدع مثقلة الى حملها اشارة الى ان احدًا لا يحمل عن احد شيا ولا يعدا لسوال فان المحتاج قد يصير

يقضي حاجته من غير سؤاله فاذا انتهى الانتقار الى حد الكمال
تحوجه الى السؤال المسلة الثانيه فى قوله مثقلة زيادة بيان
لما تقدم من حيث انه قال اولا ولا تزر وازرة وزر اخرى فظن
ان احدا لا يحمل عن احد ليكون ذلك الواحد قادرا على حمله كما
ان القوي اذا اخذ بيده رمانة او سفرجلة لا يحمل عنه واما اذا
كان الحمل ثقيلا قد يرحم الحامل فيحمل عنه فقال مثقله يعنى ليس عدم
الوزر لعدم كونه محلا للرحمة بالثقل بل يكون النفس مثقله ولا
يحمل منه شى المسلة الثالثة زاد فى ذلك بقوله ولو كان ذا قربى
اي المدعو لو كان ذا قربى لا يحمل وفى الاول لو كان يمكن ان يقال
لا يحمله لعدم تعلقه به كالعدو والذي يرى عدوه تحت ثقل والاجنبى
يرى اجنبيا تحت حمل لا يحمل عنه فقال ولو كان ذا قربى اى يحصل
جميع المعانى الداعيه الى الحمل من كون النفس وازرة فوزيه تحمل
وكون وكون الاخرى مثقله لا تقال انها قوية قادرة ليس عليها
حمل وكونها سايله داعيه فان السوال مظنه المرحمه ولو كان
المسئول قريبا فاذا لا يكون التخلف الا لمانع هو كون كل نفس تحت حمل
ثقيل ثم قال تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم اشارة الى ان
لا ارشاد فوق ما اتيت به ولم يفدهم ولا تنذر انذارا مفيدا الا الذين
على قلوبهم خشيه وعلى ظواهرهم بالعباده كقوله الذين امنوا اشارة
الى عمل الغايب وعملوا الصالحات اشارة الى عمل الظاهر بقوله الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة فى ذلك المعنى ثم كما بين ان لا
تزر وازرة وزر اخرى بين الخشية بنفع المحسن ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه

ثم قال تعالى والى الله المصير اى المزكى ان لم تظهر فايدته
عاجلا فالمصير الى الله يظهر عنده فى يوم اللقا فى دار البقا والوازر
ان لم تظهر تبعة وزره فى الدنيا فهي تظهر فى الاخرة اذا المصير الى
الله ثم لما بين الهدى والضلاله ولم يهتد الكافر وهدى الله
المومن ضرب لهم مثلا بالبصير والاعمى فالمومن بصير حيث
ابصر الطريق الواضح والكافر اعمى وفى تفسير الايه مسايل
الاولى ما الفايده فى تكثير الامثله هاهنا حيث ذكر الاعمى
والبصير والظلمات والنور والظل والحرور والاحيا والاموات
قيل المومن والكافر فقال المومن بصير والكافر اعمى ثم ان
البصير وان حديد البصر ولكن لا يبصر شيا ان لم يكن فى ضو
فذكر الايمان والكفر مثلا فقال الايمان نور والمومن بصير
والبصير لا يخفى عليه النور والكفر ظلمه والكافر اعمى فله
صاد فوق صاد ثم ذكر مثالهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور
فالمومن بايمانه فى ظل وراحه والكافر بكفره فى حر وتعب
ثم قال تعالى وما يستوي الاحيا ولا الاموات مثلا
اخر فى حق المومن والكافر كانه تعالى قال حال المومن
والكافر فوق حال الاعمى والبصير فان الاعمى يشارك البصير
فى ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت
ويدل على ما ذكرنا انه تعالى اعاد الفعل حيث قال اولا وما
يستوى الاعمى والبصير وعطف الظلمات والنور والظل والحرور
ثم اعاد الفعل وقال وما يستوي الاحيا ولا الاموات فان

هذا جعله مقام ذلك **المسئلة الثانية** كرر كلمة النفي من الظلمات والنور والظل والحرور والاحيا والاموات ولم يكرر بين الاعمى والبصير وذلك لان التكرير للتاكيد والمنافاة بين الظلمة والنور والظل والحرور مضادة فالظلمة تنافي النور وتضاده والعمى والبصير كذلك اما الاعمى والبصير ليس كذلك بل الشخص الواحد قد يكون بصيرا وهو بعينه يصير اعمى فالاعمى والبصير لا منافاة بينهما الا من حيث الوصف والظل والحرور المنافاة بينهما ذاتيه لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة هناك اتم اكد بالتكرار واما الاحيا والاموات فان كان كالاعمى والبصير من حيث ان الجسم الواحد يكون حيا محلا للحياة فيصير ميتا بخلاف الموت ولكن المنافاة بين الاعمى والبصير كما بين ان الاعمى والبصير يشتركان في ادراك اشيا ولا كذلك الحي والميت كيف والميت خالف الحي في الحقيقة لا في الوصف على ما بين في الحكمة الالهيه **المسئلة الثالثه** قدم الاشرف في مثلين وهو الظل والحي واخره في مثلين وهو البصير والنور وفي مثل هذا يقول المفسرون انه لتراخي او اخر الاي وهو ضعيف لان تراخي الاواخر راجع الى السجع ومعجزة القران في المعنى لا في مجرد اللفظ فالشاعر يقدم ويوخر للسجع فيكون اللفظ حاملا له على تغيير المعنى واما القران فحكمه بالغه المعنى فيه صحيح واللفظ فصيح ولا يقدم ويوخر اللفظ بلا معنى فنقول الكفار قبل النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في ضلاله فكانوا كالعمي وطريقتهم كالظلمة ثم لما جا النبي صلى الله عليه

وسلم وبين الحق فاهتدى به منهم قوم صاروا بصيرين وطريقتهم كالنور فقال وما يستوي من كان من قبل البعث على الكفر ومن اهتدى بعده الى الايمان فلما كان الكفر قبل الايمان في زمان محمد صلى الله عليه وسلم والكافر قبل المومن قدم المقدم ثم لما ذكر المال والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لقوله صلى الله عليه وسلم في الالهيات سبقت رحمتي غضبي ثم ان الكافر المصر بعد البعثه صار اضل من الاعمى وشابه الاموات في عدم ادراك الحق من جميع الوجوه فقال وما يستوي الاحيا اي المومنين الذين امنوا بما انزل الله والاموات الذين تليت عليهم الايات البينات ولم ينتفعوا بها وهولاء كانوا بعد ايمان من امن فاخرهم عن المومنين لوجود حياة المومنين قبل ممات الكافرين المعاندين وقدم الاعمى على البصير لوجود الكفار الضالين قبل النعمة على المومنين المهتدين بعدها **المسئله الرابعه** قابل الاعمى بالبصير بلفظ الواحد وكذلك الظل بالحرور وقابل الاحيا بالاموات بلفظ الجمع وقابل الظلمات بالنور بلفظ الجمع في احدهما والواحد في الاخر فهل تعرف فيه حكمة قلت نعم بفضل الله وهدايته اما في الاعمى والبصير والظل والحرور فلانه قابل الجنس بالجنس ولم يذكر الافراد لان في العميان واولي الابصار قد يوجد فرد من احد الجنسين يساوي فردا من الجنس الاخر كالبصير الغريب في موضع والاعمى الذي يرسه ذلك المكان قد يقدر الاعمى على الوصول الى مقصد وقد

لا يعدد البصير عليه اذ يكون الاعمى عنده من الذكا ما يساوى به البليد
البصير فالتفاوت بينهما في الجنسين مقطوع به فان جنس البصير
خير من جنس الاعمى واما الاحيا والاموات فالتفاوت بينهما اكثر
اذ ما من ميت يساوي في الادراك حيًا من الاحيا فذكر ان الاحيا
لا يساوون الاموات سوا قابلت الجنس بالجنس او قابلت الفرد بالفرد
واما الظلمات والنور فالحق واحد وهو التوحيد والباطل كثير وهو
طرف الاسرال على ما بينا ان بعضهم يعبدون الكواكب وبعضهم
النار وبعضهم الاصنام التى هى على صور الملايكه الى غير ذلك
التفاوت من كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد ومن قال
الظلمات كلها اذا اعتبرتها لا تجد منها ما يساوى النور وقد ذكرنا
فى تفسير قوله تعالى وجعل الظلمات والنور السبب فى توحيد النور
وجمع الظلمات وجملة ذلك ان النور لا يكون الا بوجود سور
ومحل قابل الاستناره وعدم الحايل بين النور والمستنير مثاله
الشمس اذا طلعت فكان هناك موضع قابل للاستناره وهو الذي
يمسك الشعاع فان البيت فيه كوه يدخل منها الشعاع اذا كان
فى مقابل الكوه فقد يخرج منه الشعاع ويدخل بيتا اخر ويبسط
الشعاع على ارضه يرى البيت الثانى مضيا والاول مظلمًا ولم
يكن هناك حايل كالبيت الذى لا كوة له فانه لا يضى فاذا حصلت
الامور الثلثه يستنير البيت والا فلا يتحقق الظلمه بفقد اى امر
كان من الامور الثلاثه ثم قال تعالى ان الله يسمع من يشا وما
انت بمسمع من فى القبور وفيه احتمال معنيين الاول ان يكون المراد
بيان

بيان كون الكفار بالنسبة الى سماعهم كلام النبى صلى الله عليه
وسلم والوحى النازل عليه دون حال الموتى فان يسمع
الموتى والنبى عليه السلم لا يسمع من مات فافترقا فالموتى
سامعين من الله والكفار كالموتى لا يسمعون من
النبى عليه السلم والثاني ان يكون المراد تسلية النبى عليه السلم
فانه لما بين له انه لا ينفعهم ولا يسمعهم قال له هولاء لا يسمعهم
الا الله فانه يسمع من يشا ولو كان صخرة صما واما انت
فلا تسمع من فى القبور فما عليك من حسابهم من شى ثم قال
تعالى ان انت الا نذير من انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه
انما هو نذير باذن الله وارساله ثم قال تعالى وان من
امة الا خلا فيها نذير تقرير الامرين احدهما تسليه
قلبه حيث يعلم ان غيره كان مثله محتملا لاذى القوم وثانيها
الزام القوم قبوله فانه ليس بدعا من الرسل وانما هو رسل
غيره يدعى ما ادعاه الرسل وتقريره قوله تعالى وان
يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاتهم رسلهم بالبينات
يعنى انت جيتهم بالبينات والكتاب فكذبوك واذوك وغيرك
ايضا اتاهم بمثل ذلك وفعلوا بهم ما فعلوا بك وصبروا على
ما كذبوا وكذلك يلزمهم بيان من تقدم من الرسل لم يعلم كونهم
رسلا الا بالمعجزات البينات وقد اتينا ها محمدا وبالزبر
وبالكتاب والكل اتينا محمدا فهو رسول قبل الرسل
يلزمكم قبوله كما لزم قبول موسى وعيسى عليهم السلام اجمعين

وهذا يكون تقريرًا مع اهل الكتاب واعلم انه تعالى ذكر امورًا
كثيرة ثلاثه اولها البينات وذلك لان كل رسول فلابد له
من معجزة وهي ادنى الدرجات ثم قد ينزل عليه كتاب يكون
فيه مواعظ وتنبيهات وان لم يكن فيه نسخ واحكام مشروعة
شرعًا ناسخًا ومن ينزل عليه مثله اعلى مرتبة ممن لا ينزل عليه
ذلك وقد تنسخ شريعته الشرايع وينزل عليه كتاب فيه
احكام على وفق الحكمة الالهية ومن يكون كذلك فهو اولى
القوم فقال الرسل بينوا رسالتهم البينات وان كانوا اعلم
بالايات والنبي صلى الله عليه وسلم اساه الكل فهو رسول
اشرف الرسل لكون كتابه اتم واكمل من كل كتاب ثم قال
تعالى ثم اخذنا الذين كفروا وكيف كان نكير اي من كذب
بالكتاب المنزل والرسول المرسل اخذه الله فكذلك من كذب
النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فكيف كان نكير سوال للتقرير
فانهم علموا انكار الله عليهم واتيانه بالامر المنكر من الاستيصال
ثم قال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماءً فاخرجنا
به ثمرات الى اخر الايه وهذا استدلال بدليل اخر على وحدانيه
وقدرته وفي تفسيرها مسايل الاولى ذكر هذا الدليل على
طريقه الاستخبار وقال الم تر وذكر الدليل المتقدم على طريقه
الاخبار والله الذي ارسل الرياح وفيه وجهان الاول ان انزال ان
الما اقرب الى النفع والمنفعة فيه اظهر فانه لا يخفى على احد في
الروية والرويه ان الما فيه حياه الارض معظم دلالته للاستفهام
لان

لان الاستفهام الذي للتقرير لا يقال الا في الشي الظاهر جدًا
كما ان من ابصر الهلال وهو خفي جدًا فقال له غيره اين هو
فانه يقول له في الموضع الفلاني فان لم يره يقول له الحق معك
انه خفي وانت معذور واذا كان بارزًا يقول له اما تراه هذا
هو الظاهر والثاني وهو انه ذكره بعدما قرر المسله بدلايل
اخر وظهر بما تقدم للمدعو ساده بوجوه الدلالات فقال له
انت صرت بصيرًا بما ذكرناه ولم يبق لك عذر الا ترى هذه الاية
المسله الثانيه المخاطب من هو تحتمل وجهين احدهما النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه حكمة وهي ان الله تعالى لما ذكر الدلايل
وما نفعهم قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم كما ان السيد
اذا نصح بعض العباد ومنعهم من الفساد ولا ينفعهم الارشاد ن
يقول لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ما ذكره
مع الاول ويكون فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يستاهل عل
الخطاب فينتبه ويدفع عن نفسه تلك النقيصة والاحزان
لا يخرج الى كلام اجنبي عن الاول بل ياتي بما يقاربه ليلا يسمع
الاول كلامًا اخر فيشترك التفكر بما كان منه النصيحه
المسله الثالثه هذا استدلال على قدرة الله واختياره
حيث اخرج من الما الواحد ثمرات مختلفه وفيه لطايف الاولى
قال انزل وقال اخرجنا وقد ذكرنا فايدته ونعيدها فنقول
قال الله تعالى الم تر ان الله انزل فكان جاهلًا يقول الما بالطبع
لثقله يقال له فالاخراج لا يمكنك ان تقول فيه انه بالطبع

وهو بارادة الله فلما كان كذلك اظهر اسنده الى المتكلم وجه
اخر هو ان الله تعالى لما قال ان الله انزل علم الله بدليل وقرب
المتفكر فيه الى الله فصار من الحاضرين فقال له اخرجنا لقربه
وجه ثالث الاخراج اتم نعمة من الانزال لان الانزال لفايدة
الاخراج فاسند الامر الى نفسه بصيغة المتكلم وما دونه
بصيغة الغايب اللطيفة الثانية قال الله تعالى ومن الجبال
جدد بيض وحمر كان قايلا قال الاختلاف الثمرات لاختلاف
البقاع الا ترى ان بعض النبات لا ينبت ببعض البلاد كالزعفران
وغيره فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بارادة الله والا فلم
صار بعض الجبال فيه حمر ومواضع بيض والجدد جمع جدة
وهي الخطة او الطريق فان قيل الواو في الجبال ما تقديرها
نقول هي تحتمل وجهين احدهما ان يكون للاستيناف كانه
تعالى اخرجنا بالماء ثمرات مختلفة الالوان وفي الكاينات من ثالث
الجبال جدد بيض دالة على القدرة رادة على من ينكر الارادة
في اختلاف الوان الثمار ثانيها ان يكون للعطف تقديرها
وخلق من الجبال جدد بيض قال الزمخشري اراد ذو جدد
اللطيفة الثالثة ذكر الجبال ولم يذكر الاية في الارض كما قال
في موضع اخر وفي الارض قطع متجاورات مع ان هذا الدليل مثل
ذلك وذلك لان الله تعالى لما ذكر في الاول اخرجنا به ثمرات
كان نفس اخراج الثمار دليلا على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا
كذلك في الجبال في نفسها دليل القدرة والارادة لان كون الجبل في
بعض

نواحي الارض دون بعضها والاختلاف الذي في هيئته فان
بعضها يكون اخفض من بعض وبعضها ارفع دليل القدرة
والاختيار ثم زاده بيانا وقال جدد بيض اي مع دلالتها
بنفسها هي دالة باختلاف الوانها كما ان اخراج الثمرات في
نفسها دلايل باختلاف الوانها **المسئلة الرابعة** مختلف
الوانها الظاهر ان الاختلاف راجع الى كل لون اي بيض مختلف
الوانها وحمر مختلف الوانها ان اللون قد يكون على لون الجص وقد
يكون على لون التراب الابيض دون بياض الجص وكذلك
الاحمر مختلف الالوان لكان مجرد التاكيد والاول اولى
وعلى هذا نقول لم يذكر مختلف الوانها بعد البيض والحمر
والسود بل ذكره بعد البيض والحمر واخر السود
الغرابيب لان الاسود لما ذكره مع المؤكد وهو الغرابيب
يكون بالغاية السواد فلا يكون فيه اختلاف **المسئله**
الخامسة قيل بان الغرابيب مؤكد الاسود يقال
اسود غربيب والمتاكد لا يجي الا متاخر فكيف جا غرابيب
سود قال الزمخشري غرابيب مؤكد الذي لون مقدر في
الكلام فانه قال سود غرابيب ثم اعاد السود مرة اخرى وفيه
فائدة وهي زيادة التاكيد لانه تعالى ذكره مضمرا ومظهرا ومنهم
من قال هو التقديم والتاخير ثم قال تعالى ومن الناس
والدواب والانعام استدلال اخر على قدرة الله تعالى وارادته
وكان الله تعالى قسم دلايل الخلق في العالم الذي نحن فيه وهو

عَالم المركبات فمنهن حيوان وَغير حيوان اما نبات واما معدن
والنبات اشرف فاشار اليه بقوله فاخرجنا به ثمرات ثم ذكر
المعدن بقوله ومن الجبال ثم ذكر الحيوان وبدا بالاشرف
منها وهو الانسان فقال ومن الناس ثم ذكر الدواب لان
منافعها في حياتها والانعام منفعتها في الاكل منها ولان الدابة
في العرف تطلق على الفرس وهو بعد الانسان اشرف
من غيره وقوله مختلف الوانه القول فيه كما تقدم وهي في
انفسها دلايل لذلك باختلاف دلايل واما قوله مختلف الوانه
ذكر لكون الانسان من جملة المذكورين وكون التذكير اولى
واعلى ثم قال تعالى كذلك انما يخشى الله من عباده العلما
الخشية بقدر معرفة المخشي والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه
وهذا دليل على ان العالم اعلى درجه من العابد لانه
تعالى قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم فبين ان الكرامة بقدر
التقوي والتقوي بقدر العلم فالكرامة بقدر العلم لا بقدر
العمل نعم العالم اذا ترك العمل قدح ذلك في علمه فان
من يراه يقول لو علم لعمل ثم قال تعالى ان الله عزيز
غفور ذكر ما يوجب الخوف والرجا بكونه عزيزا ذا انتقام
فوجب الخوف التام وكونه غفورا لما دون ذلك يوجب الرجا
البالغ ومن قرا بنصب العلما ورفع الله معناه انما يعظم ويجل
ثم قال تعالى ان الذين يتلون كتاب الله لما بين العلما وخشيتهم
وكراماتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العاملين بما
فيه

فيه وقوله يتلون كتاب الله اشارة الى الذكر وقوله واقاموا الصلاة
اشارة الى العمل البدني وقوله وانفقوا مما رزقناهم اشارة الى المال القلب
وفي الايتين حكمة بالغة فقوله انما يخشى الله الى عمل القلب
وقوله ان الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وقوله واقاموا
الصلوة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشيا الثلثة متعلقة
بجانب تعظيم الله وانفقوا الشفقه على خلقه لانا بينا ان من يعظم
ملكا اذا راى عبدا من عباده في حاجة يلزمه قضا حاجته
وان تهاون فيه يخل بالتعظيم والى هذا اشار بقوله عبدي
مرضت فما عدتني فيقول العبد كيف تمرض وانت رب
العالمين فيقول الله مرض عبدي فلان وما زرته ولو زرته
لوجدتني عنده يعني التعظيم متعلق بالشفقه بحيث لا منفعة
على خلق الله لا تعظيم لجانب الله وقوله سرا وعلانية
حث على الانفاق كيف ما تهيا فان تهيا سرا فذاك ونعم
والا فعلانيه ولا يمنعه ظنه انه يكون ريا فان ترك الخير
مخافه ان يقال فيه انه مراي عين الريا ويمكن ان يكون
المراد بقوله سرا وعلانيه اي زكاة فان الاعلان بالزكاة
كالاعلان بالفرض وهو مستحب وقوله يرجون تجارة لن
تبور اشارة الى الاخلاص اي ينفقون لا ليقال انه
كريم ولا لشي من الاشيا غير وجه الله فان غير الله باير
والتاجر فيه تجارته باير وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم اي
ما يتوقعونه ولو كان امرا بالغا الغايه ويزيدهم من فضله اي

اى يعطيهم ما لم يخطر ببالهم عند العمل ويحتمل ان يكون يزيدهم
عند النظر اليه كما جاء فى تفسير الزيادة انه غفور عند اعطاء
الاجور شكور عند اعطاء الزيادة ثم قال تعالى والذي
اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه لما بين
الاصل الاول وهو وجود الله الواحد بانواع الدلائل
من قوله الله الذي ارسل الرياح وقوله والله خلقكم وقوله
الم تر ان الله انزل ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة وقال
والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق وايضا كان تذكر
ان الذين يتلون كتاب الله يوفيهم اجورهم فقال والذي
اوحينا اليك من الكتاب هو الحق تقديرا لما بين من الاجر
والثواب فى تلاوة كتاب الله فانه حق وصدق فتاليه محق
ومحقق وفى تفسيرها مسايل الاولى قوله من الكتاب
يحتمل ان يكون لابتداء الغاية كما يقال ارسل الى كتاب من
الامير او الوالى وعلى هذا فالكتاب يمكن ان يكون المراد منه
اللوح المحفوظ اليك حق ويمكن ان يكون المراد هو القران
يعنى الارشاد وا لتبيين الذي اوحينا اليك من القران ويحتمل
ان يكون للبيان كما يقال ارسل فلان الى من القماش والثياب
جملة المسئلة الثانية قوله هو الحق اكد من قول القائل
الذي اوحينا اليك حق من وجهين احدهما انه تعريف الخبر يدل
على ان الامر فى غاية الظهور لان الخبر فى الاكثر يكون نكرة لان الاخبار
فى الغالب يكون اعلاما بثبوت امر لا معرفة للسامع فيه لا من تعريفه الساع

السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغى ان يكون عارفا
بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فاذا كان الخبر ايضا معلوما
فيكون الاخبار بتمامه معرفان باللام كقولنا زيد العالم
فى هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا المسئلة الثالثة
قوله مصدقا حال موكدة لكونه حقا لان الحق اذا كان
لا اختلاف بينه وبين كتاب الله يكون خاليا عن احتمال
البطلان وقوله مصدقا تقريرا لكونه وحيا لان النبى
صلى الله عليه وسلم لما لم يكن قاريا كاتبا واتى ببيان
ما فى كتب الله لا يكون ذلك الا من الله وجواب عن سوال
الكفار وهو انهم كانوا يقولون بان التوراة ورد فيها
كذا والانجيل ذكر فيه كذا وكانوا يعرفون من اللبس وغيره
وكانوا يقولون بان القران فيه خلاف ذلك فقالوا التوراه
والانجيل لم يبق بهما وثوق بسبب تغييركم فهذا القول
ما ورد فيه ان كان فى التوراه فهو حق وان كان فى الانجيل
فهو حق وباق على ما انزل وان لم يكن فيه ويكون فيه خلافه
فهو ليس من التوراة فالقران مصدق للتوراة وفيه وجه
اخر وهو ان يقال ان هذا الوحى مصدق لما تقدم لان
الوحى لو لم يكن وجوده لكذب موسى وعيسى عليهما السلام
فى انزال التوراة والانجيل فاذا وجد الوحى ونزل على محمد صلى
الله عليه وسلم علم جوازه وصدق به ما تقدم وعلى هذا ففيه
لطيفه وهى انه تعالى جعل القران مصدقا لما مضى مع ان ما مضى

ايضًا مصدق له لان الوحي اذا نزل على واحد جاز ان ينزل على
غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل ما تقدم مصدقا
للقران لان القران كونه معجزة يكفي في تصديقه انه وحي
واما ما تقدم فلا بد معه من معجزة تصدقه المسألة
الرابعة قوله عز وجل ان الله بعباده لخبير بصير فيه وجهان
احدهما انه تقرير لكونه هو الحق لانه وحي من الله والله
خبير عالم بالبواطن بصير عالم بالظواهر فلا يكون باطل في
وجه لا في الباطن ولا الظاهر وثانيهما ان يكون جوابا لما
كانوا يقولونه انه لم ينزل على رجل عظيم فقال الله بعباده
خبير يعلم بواطنهم وبصير يرى ظواهرهم فاختار محمدا ولم يختر
غيره فهو اصلح من الكل ثم قال تعالى ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا اتفق اكثر المفسرين على ان المراد من الكتاب
القران وعلى هذا والذين اصطفينا من عبادنا الذين اخذوا
بالكتاب وهم المومنون والظالم والمقتصد والسابق كلهم
منهم ويدل عليه قوله تعالى جنات عدن يدخلونها اخبر بدخولهم
الجنة وكلهم ثم ايضا تدل عليه لان الايراث اذا كان بعد الانجاز ولا
كتاب بعد القران فهو الموروث والايراث المراد منه الاعطا
بعد ذهاب من كان بيده المعطى ويحتمل ان يقال المراد من
الكتاب هو جنس الكتاب كما في قوله تعالى جاتهم رسلهم بالبينات
وبالزبر وبالكتاب المنير والمعنى على هذا انا اعطينا الكتاب الذين
اصطفينا وهم الانبيا ويدل عليه لفظ المصطفى على الانبيا اطلاقه
كثير

كثير ولا كذلك على غيرهم ولان قوله عبادنا دل على ان العباد
اكابر مكرمون بالاضافة اليه ثم المصطفين منهم اشرف منهم
ولا يليق بمن يكون اشرف من الشرفاء ان يكون ظالما مع ان
لفظ الظالم اطلقه الله في كثير من المواضع على الكافر وسمى
الشرك ظلما وعلى الوجه الاول التفسير ظاهر معناه اعطينا القران
لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واخذوه منه وافترقوا فمنهم
ظالم وهو المسيء ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا واخر
سيئا وسابق بالخيرات وهو الذي اخلص العمل لله وجرده
عن السيئات فان قال قايل كيف قال في حق من ذكر في حقه
انه من عباده وانه مصطفى ظالم مع ان الظالم مطلق على الكافر
في كثير من المواضع فنقول المومن عند المعصية يضع
نفسه في غير موضعها فهو ظالم لنفسه حال المعصية واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني وهو حين
يزني مومن ويصحح هذا قول عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ظالمنا
مغفور له وقال ادم مع كونه مصطفى ربنا ظلمنا انفسنا واما
الكافر فيضع عليه اعتبار الحسد في غير موضعه فهو ظالم على
الاطلاق واما قلب المومن فطمين بالايمان لا يضعه في غير
التفكر الا الله ولا يضع فيه غير محبة الله وفي المراتب الثلثة
اقوال كثيرة احدها ان الظالم هو الراجح السيات والمقتصد
هو الذي تساوت سياته وحسناته والسابق هو الذي ترجحت
حسناته ثانيها الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه والمقتصد

من تساوي ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم
هو الموحد بلسانه الذى تخالفه جوارحه والمقتصد هو الذي
يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد
الذي بسه التوحيد عن التوحيد رابعها الظالم صاحب الكبيرة
والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وخامسها
الظالم التالى للقران غير العالم به والقايل بموجبه والمقتصد
التالى العالم والسابق التالى العالم العامل وسادسها الظالم
الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وسابعها الظالم اصحاب
المشامة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق السابقون السابقون
المقربون وثامنها الظالم الذي يحاسب فيدخل النار والمقتصد
الذي يحاسب فيدخل الجنة والسابق الجنة بغير حساب ○
وتاسعها الظالم هو المصر على المعصية والمقتصد هو النادم
التايب والسابق هو المقبول التوبه وعاشرها الظالم الذي
اخذ القران ولم يعمل به والمقتصد هو الذي عمل به والسابق
اخذ به وعمل وبين للناس العمل به فعملوا به بقوله فهو كامل
ومكمل والمقتصد كامل والظالم ناقص والمختار هو ان الظالم
من خالف فترك اوامر الله وارتكب مناهيه فانه اوضع للشى
فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى ترك المخالفة وان لم
يوافق لذلك وندر منه ذنب وصدر عنه اثم فانه اقتصد
واجتهد وقصد الحق والسابق هو الذي لم يخالف بتوفيق الله
ويدل عليه قوله تعالى باذن الله اي اجتهد ووفق لما اجتهد فيه

وفيما اجتهد فهو سابق بالخيرات يقع فى قلبه فيسبق اليه
قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فيسبق فترده النفس
والظالم تغلبه النفس وبقول معهان اخرى من غلبته النفس
الاماره وامرته فاطاعها ظالم ومن جاهدته فغلب تارة وغلب
اخرى فهو المقتصد ومن قهر نفسه فهو السابق وقوله ذلك
هو الفضل الكبير ثانيها السبق بالخيرات هو الفضل
الكبير ثالثها الايراث مصل كسر هذا على الوجه المشهور
من النفس اما الوجه الاخر هو ان يقال ثم اورثنا الكتاب
اي جنس الكتاب كما قال جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير يرد عليه اسولة احدها ثم للتراخي وايتا
الكتب بعد الايحا الى محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن فما المراد
بكلمة ثم بقول معناه ان الله بعباده خبير بصير خبرهم
وابصرهم ثم اورثهم الكتاب كانه قال تعالى انا علمنا البواطن
وابصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم اورثناهم الكتاب
ثانيها كيف يكون الانبيا ظالم لنفسه نقول منهم غير
راجع الى الانبيا المصطفين بل المعنى ان الذي اوحينا
اليك هو الحق وانت المصطفى كما اصطفينا رسلنا ○
واتيناهم كتبنا ومنهم من اتى من قومك ظالم كفر بك وبما
انزل عليك ومقتصد امن به ولم يات بجميع ما امر به
وسابق امن وعمل صالحا ثالثها قوله جنات عدن
يدخلونها الداخلون هم المذكورون وعلى ما ذكرتم لا

لا يكون الظالم داخلا بقولنا الداخلون هم السابقون
واما المقتصد فامره موقوف او هو يدخل النار اولا ثم يدخل
الجنة والبيان لاول الامر لا لما بعده ويدل عليه قوله يحلون
فيها من اساور من ذهب وقوله عز وجل اذهب عنا الحزن
ثم قال تعالى جنات عدن يدخلونها في الداخلين وجوه
احدها الاقسام الثلثة وهو قولنا ان الظالم والمقتصد
والسابق اقسام المومنين والثاني الذين يتلون كتاب الله
والثالث هم السابقون وهو اقوى لقرب ذكرهم ولانه
ذكر اكرامهم بقوله يحلون والمكرم هو السابق وعلى هذا
فيه ابحاث الاول تقديم الفاعل على الفعل وتاخير المفعول
عنه موافق لترتيب المعنى اذا كان المفعول حقيقيا كقولنا
الله خالق السموات وقول القايل زيد بنى الجدار فان الله
موجود قبل كل شي ثم له فعل هو الخلق ثم حصل به المفعول
وهو السموات وكذلك زيد ثم البنا ثم الجدار من بانيه
واذا لم يكن المفعول حقيقيا كقولنا زيد دخل الدار
وضرب عمرا فان الدار في الحقيقة ليس مفعولا للداخل وانما
فعل من افعاله تحقق بالنسبة الى الدار وكذلك عمرو بفعل
من افعال زيد تعلق به فسمي مفعولا لا يحصل هذا الترتيب
ولكن الاصل تقديم الفعل على المفعول ولهذا يعاد المفعول
المقدم بالضمير يقول عمرا ضربه زيد فيوقعه بعد الفعل
بالهاء العايدة اليه وحينيذ يطول الكلام فلا يختاره الحكيم

الا لفايدة فما الفايدة في تقديم الجنات على الفعل الذي هو
الدخول واعاد ذكرها بالهاء في يدخلونها وما الفرق بين هذا
وبين قول القايل يدخلون جنات عدن نقول السامع اذا
علم ان له مدخلا من الداخل وله دخول ولم يعلم عين الداخل
فاذا قيل له انت تدخل قال ان سمع الدار او السوق بقي متعلق
القلب بانه في اي الداخل يكون فاذا قال له الدار فدخلها
فذكر الدار يعلم مدخله وبما عنده من العلم السابق بان له
دخولا يعلم الدخول فلا يبقى له توقيف ولا سيما الجنة والنار
فان بين المدخلين بونا بعيدا الثاني قوله يحلون فيها اشارة
الي سرعة الدخول فان التحلية لو وقع خارجا لكان فيه تاخير
للدخول فقال يدخلونها وفيها يقع تحليتهم الثالث قوله من
اشارة لجمع الجمع فانه جمع اسورة وهي جمع سوارة وقوله لباسهم
ليس كذلك لان الاكثار من اللباس يدل على حاجة من
دفع برد او غيره والاكثار من الزينة لا يدل الا على الغنى
الرابع ذكر الاساور من بين ساير الحلي وكثير من المواضع منها
قوله تعالى وحلوا اساور من فضة ذلك لان التحلية بمعنيين
احدهما اظهار كون المتحلي غير مبتذل في الاشغال لان
التحلي لا يكون حالة للطبخ والغسل وثانيهما اظهار الاستغنا
عن الاشيا واظهار القدرية على الاشيا وذلك لان التحلي
اما باللالي يدل على ان التحلي لا يعجز عن الوصول الى الاشياء
الكثيرة عند الحاجة والتحلي بالذهب والفضة الى دفع

الحاجة اذا عرفت هذا فنقول الاساور محلها الايدي واكثر
الاعمال باليد فانها للبطش فاذا حليت بالاساور علم الفراغ
والذهب واللولو ساوه الي النوعين الذين فيهما التحلي ثم قال
تعالي وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن في الحزن اقوال
كثيرة والاولى ان تعالى المراد ذهاب كل حزن والالف واللام
للجنس واستغراقه واذهاب الحزن لحصول كل ما ينبغي وبقايه
دايما فان شامنه لو لم يحصل لكان الحزن موجودا بسببه وان لم
يحصل ولم يدم لكان الحزن غير ذاهب بعد بسبب زواله وجوب
فواته وقوله عز وجل ان ربنا لغفور شكور ذكر الله عنهم امورا
كلها تفيد الكرامة من الله الاول الحمد وان الحامد مثاب الثاني
قولهم ربنا فان الله لم يناد بهذا اللفظ الا واستجاب الله اللهم ان الا
يكون المنادي قد ضيع الوقت بطلب ما لا يجوز كالرد من الدنيا
الى الاخرة الثالث قولهم غفور الرابع قولهم شكور
الغفور اشارة الي ما غفر لهم في الاخرة بما وجد لهم من الحمد في الدنيا
والشكور اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة يعطيهم الله ويزيد لهم
بسبب ما وجد لهم في الاخرة من الحمد ثم قال تعالي الذي
احلنا دار المقامة من فضله اي دار الاقامة لما ذكر الله سرورهم بنعايم
فيها وعلمهم بدوامها حيث قالوا الذي احلنا دار المقامة من فضله
اي الاقامة والمفعول وربما يجي للمصدر من كل باب يقال ما له معقول
اي عقل وقال تعالي مدخل صدق وقال تعالي ومزقناهم كل ممزق
وكذلك المستخرج الاستخراج وذلك لان المصدر هو المفعول في

الحقيقة فانه هو الذي فعل مجازا قامة المفعول مقامه وفي
قوله دار المقامة اشارة الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف
ويرتحل عنها الى منزلة القبور ومنها الى منزلة العرصه التى
منها الجمع ومنها التفريق وقد يكون الناس لبعضهم منزلة اخري
والجنة دار البقا وكذا النار لاهلها وقولهم من فضله اي
لحكم وعده لا بايجاب من عنده وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب اللغوب الاعيا والنصب هو السبب للاعياء فان
قال قايل اذا بين انه لا يمسه نصب علم انه لا يمسه لغوب ولا
يبقى للمتكلم الحكيم التي بعي مسيته لحرف العطف فلا يقول القايل
لا اكلت ولا شبعت ولا اكلت لما ان نفي الشبع لا يلزمه انتفا
الاكل وساق ما يقران يقال لا يمسنا فيها اعيا ولا مشقه فنقول
ما قال الله في غاية الجلالة وكلام الله اجل وبيانه اجمل ووجه
هو انه تعالى بين مخالفة الجنه لدار الدنيا فان الدنيا اما كنها
على قسمين احدهما موضع يمر فيه المشاق المتاعب كالبراري
والصحاري والطرقات والاراضي والاخر موضع يظهر فيه
الاعيا كالبيوت والمنازل التي في الاسفار من الخانات وان
يكون في مباشرة شغل لا يظهر عليه الاعيا الا بعد ما يسرح
فقال تعالي لا يمسنا فيها نصب اي ليست الجنة كالمواضع التى
في الدنيا مظان المتاعب بل هي افضل من المواضع التي هي مواضع
مرجع المعني فقال ولا يمسنا فيها لغوب اى ولا نخرج منها الي مواضع
تعب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعيا وقرى لغوب بفتح اللام والتر

على هده القراة ظاهر كانه قال ولا يتعب ولا اليوم لا تفهم من كلامه
انه ما عمل شيا لجواز انه عمل عملا لم يكن بالنسبة اليه متعبا لقوته
فاذا قال ما مسني ما يصلح ان يكون متعبا لضعف او متعبا بسبب
كثرته واللغوب هو ما يلحق فيه وقيل النصب التعب الممرض
وعلى هدا لحسن الترتيب ظاهر لانه قال لا يمسنا ممرض ولا دون
ذلك وهو الدي يعني عنه مباشره ثم قال تعالى والدين
كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الدين يتلون كتاب الله
وما بينهما كلام يتعلق بالدين يتلون كتاب الله على ما بينا وقوله
جنات عدن يدخلونها فدكرانه على بعض الاقوال راجع الي
الدين يتلون كتاب الله لا يقضى عليهم فيموتوا اي لا يستريحوا بالموت
بل العذاب دايم ولا يخفف عنهم من عذابها اي النار وفيه الاولي
ان العذاب في الدنيا ان دام كثيرا يقتل فان لم يقتل يعتاده البدن
ويصير مزاجا فاسدا متمكنا لا يحس به المعذب فقال عذاب نار
الاخرة ليس كعذاب الدنيا اما ان يفني او يالفه البدن بل هو في
كل زمان شديد والمعذب فيه دايم الثانيه راعى الترتيب على احسن
وجه وذلك لان الترتيب ان لا ينقطع العذاب ولا يفتر فقال لا
ينقطع ولا تقوي الاسباب وهو الموت حتى يتمنون الموت ولا يخافون
كما قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك اى الموت الثالثه
في المعذبين اكتفى بانه لا ينقص عذابهم ولم يقل يزيدهم عذابا وفي
المثابين ذكر الزيادة بقوله ويزيدهم من فضله ثم لما بين ان عذابهم
لا يخفف قال وهم يصطرخون فيها قال لا يخفف وان اصطرخوا

واصطربوا الييس لا يخفف الله من عنده انعاما الى ان يطلبوه بل
يطلبون ولا يجدون والاصراخ من الصراخ صوت
المعذب وقوله ربنا اخرجنا اى اصراخهم هدا الدى يقولون
ربنا اخرجنا لان صراخهم كلام وفيه اشارة الى ان ايلامهم تعذيب
لا تاديب وذلك لان المودب اذا قال للمودب لا ارجع الى ما فعلت
وبيس ما فعلت يتركه واما المعذب فلا وترتيبه حسن وذلك
انه لما بين انه لا يخفف عنهم بالكلية ولا يعفو عنهم بين انه لا
يقبل منهم وعدا وهدا فان المحبوس يصبر لعله يخرج من غير
سؤال فاذا طال لبثه يطلب الاخراج من غير قطيعة على نفسه
فان لم يجد يقطع على نفسه قطيعة فان لم يجده يقطع على نفسه
قطيعة ويقول اخرجني افعل كذا وكذا واعلم ان الله تعالى يتبين
ان من يكون في الدنيا ضالا فهو في الاخرة ضال كما قال ومن كان
في هده اعمى فهو في الاخرة اعمى ثم انهم لم يعلموا ان العود الى الدنيا
يفيد محال لحكم الاحيا ومع هدا قالوا نعمل صالحا ومن من عرا سعا
بالله ولا مسوبه فيه ولم يقولوا ان الامر بيد الله فقال الله لهم
اعتمادكم على انفسكم فقد عمرناكم مقدارا يمكن التذكر فيه والا تيان
بالايمان والاقبال على الاعمال وقولهم غير الذي كنا نعمل اشارة
الى ظهور فساد عملهم لهم وكان الله تعالى كما لم يهدهم في الدنيا
لم يهدهم في الاخرة بما قالوا ربنا زدت للمحسنين جنات بفضلك
لا بعلمهم ونحن احوج الى تخفيف منهم الى تضعيف الثواب
فافعل بنا ما انت اهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن اهله

نظرًا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطله ولا تنظر الى معذرتنا
الباطلة وكما هدي الله المومن في الدنيا هداه في العقبى حتى دعاه
باقرب دعآءٍ الى الاجابة واثنى عليه باطيب ما عند الانابة
فقالوا الحمد لله وقالوا ربنا غفور اعترافا بتقصيرهم شكورا لوصول
ما لم يخطر ببالهم اليهم وقالوا احلنا دار المقامة من فضله اى لا
بعمل لنا بالنسبة الى نعم الله وهم قالوا اخرجنا نعمل صالحا في
حق تعظيمه واعترافا عن الاعتراف بعجزهم عن الاتيان بما يناسب
عظمته ثم انه تعالى بين انه اتاهم وما يتعلق بقول المحل من العمر
الطويل وما يتعلق بالفاعل في المحل فان النبي صلى الله عليه وسلم
لفاعل الخير فيهم ومظهرا لسعادات فقال وجاكم النذير فان
المانع اما ان يكون فيهم حيث لم يتمكنوا من النظر فيما انزل واما
ان يكون في مرشدهم حيث لم ينزل عليهم ما يرشدهم ثم قال
تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير وقوله فذوقوا اشارة
الى الدوام او هو امر اهانة فما للظالمين الذين وضعوا اعمالهم
واقوالهم في غير موضعها فاتوا بالمعذرة في غير وقتها وقوله
عز وجل وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون المراد من الظالم
الجاهل جهلا مركبا وهو الذى يعتقد الباطل حقا في الدنيا
وما له من نصير اى من علم في الاخرة ينفعه والذى يدل عليه
هو ان الله سمى البرهان سلطانا كما قال تعالى فاتوا بسلطان
والسلطان اقوى ناصرا وهو القوة والولاية وكلاهما ينصر والحق
التعميم لان الله لا ينصر وليس غيره نصير فما لهم من نصير اصلا ويمكن
ان

ان يقال بان الله تعالى قال في آل عمران وما للظالمين
من انصار وقال فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين
وقال هاهنا فما للظالمين من نصير ان هذا وقت كونهم واقعين
في النار فقد ايس كل منهم من كثير مما كانوا يتوقعون منهم النصر
ولم يبق الا توقعهم من الله فقال فما لكم من نصير اصلا وهناك
كان محكا في الدنيا وفي اوايل الحشر فينفي ما كانوا يتوقعون
منهم النصر وهم النهم ثم قال تعالى ان الله تعالى
عالم غيب السموات والارض تقريرًا لدوامكم في العذاب
وذلك من حيث ان الله تعالى قال وجزاء سيئة سيئة مثلها
ولا يزاد عليها فلو قال قايل الكافر ما كفر بالله الا اياما
معدودة فكان لا ينبغي ان لا يعذب الا مثل ذلك الايام
فقال تعالى ان الله عالم غيب السموات والارض ولا يخفى
عليه ما في الصدور وكان يعلم من الكافر ان في قلبه
مكن الكفر بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله ولا عبد
وفي قوله تعالى ذات الصدور مسئلة قد ذكرناها
مرة ونعيدها اخري وهي ان للقايل ان يقول الصدور
هي ذات اعتقادات وظنون فكيف سمى الله الاعتقادات
بذات الصدور وهي ذات اعتقادات وظنون فكيف سمى
الله الاعتقادات بذات الصدور وتقرير السؤال قولهم
ارض ذات الحجار وذات شجر اذا كان فيها ذلك فلذلك

الصدور وفيه اعتقاد فقال له لما كان اعتبار الصدر بما فيه
صار ما فيه كالساكن المالك حيث لا يقال الدار دار زيد ۞
ويصح ان يقال زيد ودار مثال وان كان هو فيها ثم قال
تعالى وهو الذي جعلكم خلايف في الارض تقرير القطع
حجتهم فانهم لما قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فقال تعالى اولم
نعمركم ما يتذكر اشارة الى ان التمكين والامهال بمكن
مدة يمكن فيها المعرفة وقد حصل وما انتم وردا عليه بقوله
عز وجل وجاكم النذير اي اتيناكم عقولا وارسلنا اليكم من
يويد المعقول بالدليل المنقول زاد على ذلك بقوله تعالى
وهو الذي جعلكم اى نبهكم ممن مضى وحال من انقضى فانه لولم
تحصل لكم علم بان من كذب الرسل اهلك لكان عنادكم
احق وما دكم اخف لكن اهملتم وعمرتم وامرتم على لسان
ما امرتم وجعلتم خلايف في الارض اين خليفة بعد خليفه ۞
يعلمون حال الماضين ويصبحون بحالهم راضين فمن كفر بعد هذا
كله فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
لان الكافر السابق كان ممقوتا كالعبد الذي لا يخدم سيده
والارض الذي انذره الرسول ولم يها مقت كالعبد الذي
نصحه الناصح ويامره بخدمة سيده ويعده ويوعده ولا ينفعه
النصح ولا يسعده والثاني لهم هو الذي راى عذاب من تقدمه ولم
يخش عذابه امقت الكل ثم قال تعالى ولا يزيد
الكافرين

الكافرين كفرهم الا خسارا اى الكفر لا ينفع عند الله حيث
لا يزيد الا المقت ولا ينفعهم في انفسهم حيث لا يفيدهم الا الخسار
وان العمر كراس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن
اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر
ثم قال تعالى قل ارايتم شركاكم الذين تدعون من دون
الله تقريرا للتوحيد وابطالا للاشراك وقوله ارايتم
المراد منه اخبروني لان الاستفهام يستدعي ذلك
بقول القايل ارايت ماذا فعل زيد فيقول السامع باع
او اشترى ولولا تضمنه معنى اخبروني والا لما كان
الجواب الا قوله لا او نعم وقوله شركاكم اضاف اليهم
من حيث ان الاصنام في الحقيقة لم يكن شركا الله ولهما
هم جعلوها شركا فقال شركاكم اى الشركا بجعلكم ويحتمل
ان يقال شركاكم اي شركاكم في النار بقوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وهو غريب ويحتمل ان يقال
هو توحيد لاتفاق المفسرين على الاول وقوله اروني بدل
على ارايتم لان كلاهما يفيد معنى اخبروني ويحتمل ان يقال
ارايتم يعني اعلمتم استفهام حقيقي واروني امر تعجيز للتبيين
فلما قال ارايتم يعني اعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي
عليه من العجز او تتوهمون فيها قدرة وان كنتم تعلمونها
عاجزة فكيف تعبدونها وان كان وقع لكم ان لها قدرة فاروني

قدرتها في اي شيء هي اهي في الارض كما قال بعضهم ان الله السما
وهؤلاء الهة الارض وهم الذين قالوا المور الارض من الكواكب
والاصنام صورها ام هي في السموات كما قال بعضهم ان السما خلقت
باستعانة الملايكة فالملايكة شركا في خلق السموات وهذه الاصنام
صورها ام لا قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملايكة
ما خلقوا شيا ولكنهم يقربون عند الله فنعبدها ليشفعوا لنا
فهل معهم كتاب من الله فيه اذنه لهم في الشفاعة وقوله ام اتيناهم
كتابا في العايد اليه الضمير وجهان احدهما انه عايد الى الشركاء
اي اتينا الشركا كتابا وثانيهما انه عايد الى المشركين اي هل اتينا
المشركين كتابا وعلى الاول فمعناه ما ذكرنا اي هل مع ما
جعل شركا كتاب من الله ففيه ان له شفاعة عند الله فان
احدا لا يشفع عنده الا باذنه وعلى الثاني معناه ان عبادة هولاء
اما بالعقل ولا عقل لمن يعبد من لا يخلق من الارض جزءا ولا في
السماء شيا من الاشياء واما بالنقل ونحن ما اتينا المشركين كتابا
فيه امرنا بالسجود لهاولاء ولو امرنا لجاز كما امرنا بالسجود لادم والى
جهة الكعبة فهذه العبادة لا عقلية ولا نقلية فوعد بعضهم بعضا
ليس الا غرورا واغرهم الشيطان وزين لهم عبادة الاصنام
ثم لما بين ان الله لا خلق للاصنام ولا قدرة لها ولا على جزء من الاجزاء
بين ان الله قادر بقوله يمسك السموات والارض ان تزولا ويحتمل ان
يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والارض كما
قال تعالى يكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال
هدا

هدا ان دعوا للرحمن ولدا ويدل على هذا قوله تعالى في
اخر الاية ان الله كان حليما غفورا ما ترك تعذيبهم الا حلما
منه والا كانوا يستحقون اسقاط السماء وانطباق الارض
عليهم وانما اخر ازالة السموات بقيامة الساعة حلما ويحتمل
الاية وجها ثالثا وهو ان يكون ذلك من باب التسليم له
واثبات المطلوب على تقدير التسليم على الشفاعة
ولا عبادة لهم وهب انهم فعلوا شيا من الاشيا فهل يقدرون
على امساك السموات والارض ولا يمكنهم القول بانهم يقدرون
لانهم كانوا يقولون به كما قال تعالى عنهم ولين سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله ويويد هذا قوله ولين زالتا
ان امسكهما من احد من بعده فاذا تبين ان لا معبود الا الله
من حيث غيره لم يخلق شيا من الاشياء وان قال كافر بان
غيره خلق فما خلق مثل ما خلق ولا شريك له وكان الله حليما
غفورا حيث لم يعجل في اهلاكهم بعد اصرارهم على اشراكهم
وغفورا يغفر لمن تاب برحمته وان استحق العقاب ثم قال
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لما بين انكارهم للتوحيد ذكر
تكذيبهم للرسول ومبالغتهم فيه حيث كانوا يقسمون على انهم لا
يكذبون الرسل اذا تبين لهم كونهم رسلا وقالوا انما نكذب
لمحمد صلى الله عليه وسلم لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا
لامنا كما قال تعالى عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاتهم اية

ليومنن بها وهذا مبالغة منهم في التكذيب كما ان من ينكر دين
انسان قد يقول له والله لو علمت له شيا على لقضيته وزدت
له اظهارا لكونه مطالبا بالباطل فكذلك هاهنا عاندوا وقالوا
والله لو جاءنا رسول لكنا اهدى الامم فلما جاءهم نذير اى محمد صلى
الله عليه وسلم جاءهم اى صح مجيه لهم بالبينة ما زادهم الا نفورا فانهم
قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا كافرين بالله
ورسوله ولانهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد
الرسالة وقال بعض المفسرين ان اهل مكة كانوا يلعنون اليهود
اليهود والنصارى على انهم كذبوا رسلهم لما جاءوهم وقالوا لو جاءنا
رسول لاطعناه واتبعناه وهذا فيه اشكال من حيث ان المشركين
كانوا منكرين للرسالة والحشر مطلقا فكيف يعرفون ان
اليهود والنصارى جاءهم رسل وان كانوا يعترفون فمن اين
عرفوا ان اليهود كذبوا وما جاءهم كتاب ولولا كتاب الله وبيان
رسوله من اين كانوا يعلمون المشركين انهم حرفوا اشيا وكذبوا
في شي بل المراد ما ذكرنا انهم كانوا يقولون نحن لو جاءنا رسول لا
ننكره وانما ننكر كون محمد رسولا من حيث انه كاذب ولو صح كونه
رسولا لامنا وقوله فلما جاءهم اى فلما صح لهم مجيه بالمعجزة وفي قوله
اهدى وجهان احدهما ان يكون المراد اهدى مما نحن عليه
وعلى هذا فقوله من احدى الامم للتبيين كما يقول القايل زيد
من المسلمين ويدل على هذا قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا
نفورا

نفورا صار اضل مما كانوا وكانوا يقولون يكون اهدى
وثانيهما ان المراد لنكون اهدى من احدى الامم كما يقول
القايل زيد اولى من عمرو وفي الامم وجهان احدهما
ان يكون المراد العموم اى اهدى من احدى الامم بعرض وثانيهما
ان المراد تعريف الامر اى امة محمد وموسى عليهما السلم ومن كان
زمانهم ثم قال تعالى استكبارا في الارض وينصبه
يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون حالا اى مستكبرين في
الارض وثانيها ان يكون مفعولا له اى استكبارا وثالثها
ان يكون بدلا عن النفور وقوله عز وجل والمكر السي اضافه
الجنس الى نوعه كما يقال علم الفقه وحرفة الحدادة وحقيقة
ان يقال ومكروا مكرا سيئا ثم عرف لظهور مكرهم ثم ترك
التعريف باللام واضيف الى السي لكون السوء فيه ابين الامور
ويحتمل ان يقال بان المنكر استعمل استعمال العمل كما ذكرنا في
قوله تعالى والذين يمكرون السيات اى يعملون السيات
ومكرهم السي هو جميع ما كان يصدر منهم من القصد الى الايذاء
ومنع الناس من الدخول في الايمان واظهار الانكار ثم قال
تعالى ولا يحيق المكر السي الا باهله اى لا يحيط الا بفاعله وفي
قوله لا يحيق الا باهله فوايد اما في قوله يحيق فهي انها تنبي عن

عن الاحاطة التي كانت هي فوق اللحوق وفيه من التحذير
ما ليس في قول القايل ولا يحيق المكر السيء الا بالماكر كيلا يامن
المسيء فان من اساء ومكره سيء اخر قد يلحقه جزاء على سيئه واما اذا
لم يكن مسيئا فلا يكون اهلا فيامن من المكر السيء واما في النفي والاثبات
فافادة الحصر بخلاف ما يقول القايل المكر السيء يحيق باهله فلا ينبئ
عن عدم الحيق بغير اهله فان قال قايل كثيرا ما نرى ان
الماكر يمكر ويفيده المكر ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على
عدم ذلك فنقول الجواب عنه من وجوه احدها ان
المكر المذكور في الاية هو المكر الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه
وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم
بدر وغيره وثانيها ان نقول المكر السيء عام وهو الاصح فان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المكر واخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وعلى هذا فذلك الرجل الممكور به
يكون اهلا فلا يرد نقضا وثالثها ان الامور بعواقبها ومن مكر
غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفايز
والماكر الهالك وذلك مثل راحة الكافر ومشقة المومن في
الدنيا ويبين هذا المعنى قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين
يعني ان كان لمكرهم في الحال رواج فالعاقبة للتقوى والامور بخواتيمها
فيهلكون كما

كما هلك الاولون وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة
الاولين اي ليس لهم بعد هذا الا انتظار الاهلاك وهو
سنة الاولين وفيه مسايل الاولى الاهلاك ليس سنة
الاولين انما هو سنة الله بالاولين فنقول الجواب عنه من
وجهين احدهما ان المصدر الذي هو المفعول المطلق يضاف
الى الفاعل والمفعول لتعلقه بهما من وجه دون وجه فيقال
فيما اذا ضرب زيد عمرا عجبت من ضرب عمرو فكيف ضُرب
مع ما له من القوة والعقوة وعجبت من ضرب زيد كيف ضرب
مع ما له من العلم والحلم فكذلك سنة الله بهم اضافها اليهم لانها
الى نفسه بعدها بقوله فلن تجد لسنة الله لانها سنة سن الله
اذا علمت هذا فنقول هنا اضافها الى الاولين حيث قال
سنة الاولين لان سنة الله الاهلاك بالاشراك والاكرام
على الاسلام فلا يعلم انهم ينتظرون ايهما فاذا قال سنة الاولين
ميزت وفي الثاني اضافها الى الله لانها لما علمت الاضافة الى الله
تعظمها وتبين انها امر واقع ليس لها من دافع وثانيهما ان
المراد من سنة الاولين استمرارهم على الانكار واستكبارهم
على الابرار وسنة الله استيصالهم باصرارهم فكانه قال
انتم تريدون الاتيان بسنة الاولين والله ياتي بسنة لا تبديل
لها ولا تحويل عن مستحقها المسئلة الثانية التبديل تحويل
فما الحكمة في التكرار نقول بقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا حصل
العلم بان العذاب لا يبدل بغيره وبقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا

حصل العلم بان العذاب مع انه لا ينبدل بالثواب لا يتحول عن مستحقه
الى غيره فيتم بهذا المسمى المسلة الثالثة المخاطب بقوله فلن
تجد تحويل وتبديلا وقد تقدم مرارا احدهما ان يكون عاما كانه
قال لن تجد ايها السامع لسنة الله تحويلا والثانى ان يكون مع
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكانه قال سنة الله لا يهلك
ما بقى في القوم من كتب الله ايمانه فاذا امن من في علم الله انه
لا يهلك الباقين كما قال انك ان يدرهم اى كمل الامر وقد جاوزت
سنتك ثم قال تعالى اولم يسيروا فى الارض فينظروا لما ذكر
ان الاولين سنه هى الاهلاك معهم بتذكير حال الاولين فانهم كانوا
مارين على ديارهم رائين لاثارهم واملهم وعملهم كان دون عملهم اما
الاول فلطول اعمارهم وشدة اقتدارهم واما عملهم فانهم لم يكذبوا
مثل محمد ولا محمدا وانتم يا اهل مكه كذبتم محمدا ومن تقدمه وقوله
تعالى وكانوا اشد منهم قوة قد ذكرناه فى سورة الروم بقى فيه
البحاث الاول قالوا هناك كانوا اشد من غير واو وقال
هاهنا وكانوا بالواو فما الفرق نقول قول القايل اما رايت زيدا
كيف اكرمنى هو اعظم منك يفيد ان القايل يخبره بان زيدا اعظم
واذا قال ما رايته كيف اكرمنى وهو اعظم منك يفيد انه يعرد
ان المعنيين حاصل عند السامع كانه راه اكرمه ولا شك فى ان
هذه العبارة الاخيرة تفيد كون الامر الثانى فى الظهور مثل الاول
بحيث لا يحتاج الى اعلام من المتكلم ولا اخبار اذا علمت هذا فنقول
المذكور هاهنا كونهم اشد قوة منهم لا غير ولعل ذلك كان ظاهرا
عندهم

عندهم فقال بالواو اى نظركم يقع على عاقبة امرهم يقع على
قوتهم واما هناك المذكور اشيا كثيرة قال كانوا اشد منهم
قوة واثاروا الارض وعمروها وفى موضع اخر افلم يسيروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر
منهم واشد قوة واثارا فى الارض ولعل علمهم لم يحصل
باثارتهم الارض او بكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم فيما عليهم
كان معلوما عندهم فان كان طائفة تعتقد فيمن تقدمه
انه اقوى منه ولا ينازع فيه وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه
من شئ فى السموات تحتمل وجهين احدهما ان يكون بيانا
لهم بان الاولين مع شدة قوتهم ما عجزوا الله وما فاتوه وهم
اولى بان لا يعجزوه والثانى ان يكون قطعا لاطماع الجهال
فان قايلا لو قال هب ان الاولين كانوا اشد قوة واطول
اعمارا الكتاب يستخرج كتابا ما يزيد على قولهم ويستعين بامور
ارضيه لها خواص او كواكب سماييه لها اثار فقال تعالى وما كان
الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما بافعالهم لهم
واقوالهم قديرا على اهلاكهم واستيصالهم ثم قال تعالى ولو
يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة لما خوف
الله المكذبين بمن مضى وكانوا من شدة عنادهم وفساد اعتقادهم

يستعجلون بالعذاب ويقولون عجل لنا عذابنا فقال الله تعالى للعذاب
اجل والله لا يواخذ الناس بنفس الظلم فان الانسان ظلوم جهول
وانما يواخذ بالاصرار وحصول ياس الناس عن ايمانهم ووجود
الايمان ممن كتب الله فاذا لم يبق فيهم من يومن يهلك المكذبين
ولو واخذهم بنفس الظلم لكان ذلك يوم اهلاك وفيه مسايلك
الاولى اذا كان يواخذ الناس بما كسبوا فما بال الدواب
يهلكوا نقول الجواب من وجوه احدها ان خلق الدواب نعمة
فاذا كفر الناس يزيل الله النعم فالدواب اقرب النعم لان المفرد
اولا والمركب اما ان يكون معدنا واما ان يكون ناميا والنامي
اما ان يكون حيوانا واما ان يكون نباتا والحيوان اما انسان
واما غير انسان فالدواب اعلا درجات المخلوقات
في عالم العناصر للانسان الثاني هو ان ذلك بيان لشدة العذا
وعمومه فان بقا الاشيا بالانسان كما ان بقا الانسان
بالاشيا وذلك لان الانسان يدبر الاشيا ويصلحها فيبقى الاشيا
ثم ينتفع بها الانسان فيبقى الانسان فاذا كان الهلاك عاما لا يبقى
من الانسان من يعمر فلا يبقى الابنيه والزرع فلا يبقى الحيوانات
الاهليه لان بقاها بحفظ الانسان اياها عن التلف والهلاك
عن بالسقي والعلف الثالث هو ان انزال انعام من الله في حق العباد
فاذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على

وجه الارض فيموت جميع الحيوانات وقوله تعالى ما ترك
على ظهرها من دابة الوجه الثالث لان بسبب انقطاع
الامطار يموت حيوانات البر اما حيوانات البحر فتعيش بماء البحر
المسلة الثانيه قوله عز وجل على ظهرها كناية عن الارض وهي
غير مذكوره فكيف علم بما تقدم ومما تاخر اما ما تقدم فقوله وما
كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض فهو اقرب
المذكورات الصالحة تعود الها اليها واما ما تاخر فقوله
من دابة لان الدب على ظهر الارض وجه الارض وظهر الارض
مع ان الوجه مقابل الظهر كالمضادد نقول من حيث ان الارض
كالدابة الحاملة الاثقال والحمل يكون على الظهر يقال له ظهر
الارض ومن حيث ان ذلك هو المقابل للخلق المواصله لهم
وجهها على ان الظهر في مقابلة البطن والظهر والظاهر من باب
والبطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر
وغيره منها باطن وبطن المسألة الثالثة في قوله يوخرهم
الى اجل مسمى وجوه احدها الى يوم القيمة وهو مسمى مذكور
في كثير المواضع ثانيها يوم لا يوجد في الخلق من يومن على ما
تقدم ثالثها لكل اجل ولكل اجل كتاب واجل قوم محمد صلى
الله عليه وسلم ايام القتل والاسر كيوم بدر وغيره المسلة الرابعه
قوله عز وجل واذا جا اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا تسليه

للمومنين وذلك لانه تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وقال
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فقال اذا جاء الهلاك فالله بالعباد
بصيرا اما ان نجيهم او يكون او يكون توفيهم تقريبا من
الله لا تعذيبا لا تعالى قد ذكرت ان الله لا يواخذ بمجرد الظلم
وانما يواخذ حين يجتمع الناس على الضلال ونقول بانه تعالى
عند الاهلاك يهلك المومن وكيف هذا نقول قد ذكرنا
ان الامانه والاماتة ان كان للتعذيب فهو مواخذة بالذنب
واهلاك وان كان لايصال الثواب فليس باهلاك ولا بمواخذة
والله لا يواخذ الناس الا عند عموم الكفر وقوله بصيرا لفظ اتم
في التسلية من العليم وغيره لان البصير بالشى الناظر اليه اولى
بالاحاطة من العالم بحاله دون ان يراه والله اعلم بالصواب واليه
المرجع والماب

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم يس
والقران الحكيم قد ذكرنا كلاما كليا في حروف التهجي في سورة
العنكبوت وذكرنا ان في كل سورة بداء الله فيها بحروف التهجي
كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القران واردها هنا ابحاثا الاول
هو ان في ذكر هذه الحروف في اوايل السور امور فدل على انها غير خالية
عن الحكمة ولكن علم الانسان لا يصل اليها نفسها فنقول ما هو الكلي
من الحكمة فيها اما بيان ان فيها ما يدل على الحكمة هو ان الله تعالى ذكر

من الحروف نصفها وهو اربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية
وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على
قولنا الهمزة الف متحركة ثم انه تعالى قسم الحروف ثلاثة اقسام
تسعة احرف من الالف الى الدال وتسعة احرف من اخر الحروف
من الالف الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى العين وذكر
من القسم الاول حرفين هما الالف والحا وترك سبعة وترك
من القسم الاخر حرفين هما الالف والواو وذكر سبعة ولم يترك
من القسم الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا لم يذكره
هو الخا ولم يذكر من القسم الاخر من حروف التسعة الا واحدا
لم يتركه هو الميم والعشر الاوسط ذكر منها حرفا وترك حرفا
فذكر الرا وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر
الصاد وترك الضاد وذكر الطا وترك الظا وذكر
العين وترك الغين وليس هذا امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب
مقصود فهو لحكمة واما ان عينها غير معلومة فظاهر وهب
ان واحدا يدعي فيه اشيا فماذا تقول في كون بعض السورة مفتتحة
بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم
ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة احرف كسورة الم وطسم
والر وبعضها باربعة احرف كسورتي المر والمص وبعضها
بخمسة احرف كسورتي حم عسق وكهيعص وهب ان قايلا يقول

لن الكلام اما حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرًا ما جاء
على حرف كواو العطف وفا التعقيب وهمزة الاستفهام وكاف
التشبيه وبا الالصاق وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض
واو للتخيير وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها
والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة احرف كالى وعلى في
الحرف والى وعلي في الاسم والا بالواو وعلى يعلو في الفعل والاسم
والفعل جاء على الاربعة الاحرف والاسم خاصة جاء على ثلاثة
واربعة وخمسة كنحل وسحل وحردجل فما جاء في القرآن
اشارة الى ان تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه
فماذا نقول القايل في تخصيص بعض السور بالحرف الواحد
والبعض باكثر ولا يعلم تمام السر الا الله ومن اعلمه الله به
اذا علمت هذا فنقول اعلم ان العبادة منها قلبية ومنها لسانيه
ومنها جارحة وكل واحد منها قسمان قسم عقل معناه وحقيقته
وقسم لم يعلم اما القلب مع انه ابعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم
دليله عقلا وانما اوجب الايمان به والاعتقاد سمعا كالصراط
الذي هو ادق من الشعر واحد من السيف ويمر عليه المومن
المونق كالبرق الخاطف والميزان الذي يوزن به الاعمال التي لا
ثقل لها في نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشيا وجودها
لم يعلم بدليل عقلي وانما العلوم بالعقل امكانها دون توعها معلوم مقطوع

به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد والنبوة وقدرة الله وصدق
الرسول في العبادات الخارجة ما علم معناه وما لم يعلم كمقادير
النصب وعدد الركعات وقد ذكرنا الحكمة فيه وهي ان العبد
اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم ما فيه من الفايدة لا يكون
الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم الفايدة فربما اتى به
للفايدة وان لم يؤمر كما لو قال السيد لعبده انقل هذه الحجارة
من ها هنا ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان
تحتها كنزا هو لك ينقلها وان لم يؤمر اذا علم فكذلك في العبادات
اللسانية الذكرية وجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم
بها العبد علم انه لا يقصد غير الانقياد الى المعبود للامر
الا لا هي فاذا قال حم يس الم طس علم انه لا يذكر ذلك
لمعنى يفهمه او يفهمه فهو يتلفظ به اقامة لما امر به البحث الثاني
قيل في خصوص يس انها كلام هي ندا معناه يا انسان
وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر
منه واخذ العجز وقال ياسين اي انيسين وعلى هذا الحمل ان
يكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم يدل عليه قوله تعالى
بعده انك لمن المرسلين قرئ يس اما بالرفع على خبر مبتداء محذوف
وهو قولنا هذه كانه قال هذه يس واما بالضم على نداء المفرد
او على انه مبني كحيث وقرئ يس اما بالنصب على معنى اتل يس

واما بالفتح كاين وكيف وقرى بس بالكسر لحر لكان اليا وكسرها
قبلها ولا يجوز ان يقال بالجر لان اضمار الجار غير جايز وليس
فيه حرف قسم ظاهر وقوله تعالى والقران الحكيم اي ذي الحكمة
كعيشة راضية اي ذات رضا وعلى انه ناطق بالحكمة فهو كالحي
المتكلم وقوله انك لمن المرسلين مقسم عليه وفيه مسايل الاولى
الكفار انكروا كون محمد صلى الله عليه وسلم مرسلا والمطالب
يثبت بالدليل لا بالقسم فما الحكمة في الاقسام فنقول فيه وجوه
الاول هو ان العرب كانوا يتوقون الايمان الفاجرة
وكانوا يقولون بان اليمين الفاجرة توجب خراب العالم
وصحح النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة
تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم
يصيبه من الهتهم عذاب وهي الكواكب وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه باشيا
مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم ارفع شانا
وامنع مكانا فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس بكاذب
الثاني هو ان المناظرين اذا وقع بينهم كلام وغلب احدهما
الاخر بتمشية دليله واسكته يقول له المغلوب انك قررت
هذا بقوة حذا لك وانت خير في نفسك تضعف مقالتك
وتعلم ان الامر ليس كما تقول فانت اقمت عليه صوره وعجزت انا

عن القدح فيه وهذا كثير الوقوع بين المناظرين فعند هذا
لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت المنقطع في يقول
الدليل الاخر ما قاله في الاول فلا يجد امرا الا اليمين
فيقول والله اني لست مكابرا وان الامر على ما ذكرت
ولو علمت خلافه لرجعت اليه فهاهنا يتعين اليمين
فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم اقام البراهين وقالت
الكفرة ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم وقالوا للحق
لما جاءهم ان هذا الا سحر فتعين التمسك بالايمان لعدم فايدة
الدليل الثالث هو ان هذا ليس مجرد الحلف وانما هو
دليل خرج في صورة اليمين لان القران معجزة ودليل كونه
مرسلا هو المعجزة والقران كذلك فان قيل فلم لم يذكر
في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين قلنا
الدليل ان ذكر لا في صورة اليمين قد لا يقبل عليه سامع ولا يقبله
فؤاده فاذا ابتداء به على صورة اليمين لا يقع ولا سيما القران
من العظيم الاعلى امر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على
الاصغاء اليه فلصورة اليمين تشرئب اليه الاجياد لكونه دليلا
شافيا تسر به الفؤاد فيقع في السمع وينفع في القلب المسلة الثانية
كون القران حكيما لكون محمد رسولا فلهم ان يقولوا ان هذا ليس
بقسم يقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان كون القران

القران معجزًا بين ان انكروه قيل لهم فاتوا بسورة من مثله ن
والثاني ان العاقل لا يثق بيمين غيره الا اذا حلف بما يعتقد عظمته
فالكافر ان حلف بمحمد لا نصدقه كما لو حلف بالصليب والصنم ولو نصدقه
حلف بديننا الحق لا نصدق كما نصدق لو حلف بدينه الباطل
وكان من المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم يعظمون القران لحلفه
به هو الذي يوجب نفيهم به وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر
بعد خبر اي انك على صراط مستقيم والمستقيم اقرب الطرف
الموصلة الى الحق القصد والدين كذلك فانه توجه الى الله
وتولي عن غيره والمقصد هو الله والمتوجه الى القصد اقرب اليه
من المولي عنه والمنحرف عنه ولا يذهب فهم احد الى ان قوله
انك منهم على صراط مستقيم وانما المقصود بيان كون النبي صلى
الله عليه وسلم على الصراط المستقيم يكون عليه المرسلون وقوله
على صراط مستقيم فيه معنى لطيف نعلم منه قول المناحه الذين
يقولون ان المكلف يصير واصلاً الى الحق فلا يبقى عليه تكليف وذلك
من حيث ان الله تعالى بين ان المرسلين ما داموا في الدنيا فهم سالكون
سائحون مهتدون مسحون للسبيل المستقيم وكيف ذلك الجاهل
الفاجر وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قرئ بالجر على
انه عن القران كانه قال والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم
انك لمن المرسلين لينذر وقرئ بالنصب وفيه وجهان احدهما
وفعله منوي كانه يقول نزل تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويكون
تقديره

تقديره نزل القران او الكتاب والثاني انه مفعول فعل منوي
كانه قال والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز الحكيم انك لمن المرسلين
لتنذر وهذا ما اختاره الزمخشري وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا
منوي كانه قال هذا تنزيل العزيز الرحيم لتنذر ويحتمل وجهًا اخر
على هذه القراة وهو ان يكون مبتدا خبره لينذر كانه قال تنزيل
العزيز الرحيم الانذار وقوله العزيز الرحيم اشارة الى ان الملك اذا
ارسل رسولا فالمرسل اليهم اما ان يكونوا يخالفوا المرسل ويهينوا المرسل
وحينئذ لا يقدر الملك على انتقامهم الا اذا كان عزيزًا او يخافوا المرسل
ويكرموا المرسل وحينئذ يرحمهم الملك او يقول المرسل يكون معه
في رسالته منع عن اشيا واطلاق الاشيا فالمنع يؤكد العزة والاطلاق ق
يدل على الرحمة وقوله لينذر قومًا ما انذر اباهم قد تقدم تفسيره في
قوله تعالى لينذر قومًا ما اتاهم من نذير من قبلك وقيل المراد
الاثبات وهو على وجهين احدهما لتنذر قومًا انذارًا اباهم فيكون
ما مصدرية الثاني ان يكون ما موصولة معناه لتنذر قومًا الذي انذر
اباهم فهم غافلون على قولنا ما نافية فيه تفسير ظاهر فان من انذر
اباه بعد الانذار عنه فهو يكون غافلًا وعلى قولنا هي للاثبات كذلك
لان معناه لتنذرهم الذي اباهم غافلون وفيه مسايل المسلة
الاولى كيف يفهم التفسيران واحدهما يقتضي ان لا يكون اباهم منذرين
والاخر يقتضي ان يكونوا منذرين وبينهما تضاد نقول قولنا نافية مل
معناه ما انذر اباهم الادنون وعلى قولنا وانذر اباهم الاولين
ولا تنافي بين ان يكون المتقدمون من اباهم منذرين والمتاخرين

منهم غير منذرين المسئلة الثانيه قوله لينذر قومًا ما انذر
اباوهم يقتضي ان لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم مامورًا بانذار
اليهود لان اباهم انذروا نقول ليس كذلك اما على قولنا ما للاثبات
لا للنفي فظاهر واما على قولنا هي نافيه فكذلك وقد بينا ذلك في قوله
تعالى بل هو الحق لينذر قومًا ما اتاهم من نذير من قبلك وقلنا المراد
ان اباهم ما انذروا بعد ضلالهم بعد ارسال من تقدم فان الله عز وجل
اذا ارسل رسولاً فما دام في القوم من يبين دين النبي صلى الله عليه وسلم
ويامر به لا يرسل الرسول وفي اكثر الامر اذا لم يبق فيهم من يبين
ويفصل الكلام وتباعد العهد ونسوا الكفر بعث رسولاً اخر
مقررا للدين الذي كان او واضعًا لشرع اخر فمعنى قوله تعالى
لينذر قومًا ما انذر اباوهم اى ما انذروا بعد ما ضلوا عن طريق الرسول
المتقدم واليهود والنصارى دخلوا فيه لانهم لم ينذروا اباهم
الادنون بعد ما ضلوا فهذا دليل على كون النبي صلى الله عليه وسلم
مبعوث الى الخلق كافه المسئلة الثالثه قوله فهم غافلون
دليل على ان البعثة لا تكون الا عند الغفلة اما ان حصل لهم العلم
بما انزل الله بان يكون فيهم من يبلغهم شريعة ويخالفونه فيحق عليهم
العذاب ولا يكون ذلك تعذيبًا من جهة ان يبعث الله رسولاً
وكذلك من خالف الامور التي لا تفتقر الى بيان الرسل فيحق الاهلاك
من غير بعثة وليس هذا القول بمذهب المعتزله من التحسين والتقبيح العقلي
بل معناه ان الله لو خلق في قوم علما بوجوب الاشيا وتركوه لا يكونوا
غافلين ولا يتوقف تعذيبهم على بعثة الرسل ثم قال تعالى
لقد

لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون لما بين ان الارسال والانزال
الانذار اشار الى ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس عليه الهداية المستلزمة
للاهتداء وانما عليه الانذار وقد لا يؤمن من المنذرين كثير وفي
قوله تعالى لقد حق القول وجوه المشهور ان المراد ان القول هو قوله
تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم منك وممن تبعك والثاني ان معناه
لقد سبق في علمه ان هذا يؤمن وهذا لا يؤمن وقال في حق عفوه
انه يؤمن لحق القول اي وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره والثالث
هو ان يقال المراد منه حق القول الذي قاله الله على لسان الرسل
من التوحيد وغيره وبيان برهانه واكثرهم لا يؤمنون بعد ذلك
لان من يتوقف لاستماع الدليل في مهلة النظر يرجى منه الايمان
اذا بان له البرهان فاذا حقق واكد بالايمان ولم يؤمن اكثرهم
يتبين انهم لا يؤمنون لمضي وقت رجاء الايمان ولانهم لما لم يؤمنوا
عند ما حق واستمروا فان كان يريدون شيا اوضح من البرهان
فهو العيان لا يفيد الايمان وقوله على اكثرهم على هذا الوجه معناه
ان لم يبلغه الدعوة والبرهان قليلون فحق القول على اكثر من
لم يوجد منه الايمان وعلى الاول والثاني ظاهر فان اكثر الكفار
ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا وفيه وجه رابع وهو ان يقال لقد
حق القول كلمة العذاب العاجل على اكثرهم فهم لا يؤمنون
وهو قريب من الاول ثم قال تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً
فهي الى الاذقان فهم مقمحون لما بين انهم لا يؤمنون بين ان ذلك من الله
فقال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فيه وجوه احدها ان المراد انا جعلنا

ممسكين لا ينفقون في سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك الثاني ان الاية نزلت في ابي جهل وصاحبه المخزوميين
حيث حلف ابو جهل انه يرضخ راس محمد صلى الله عليه وسلم فراه ساجدا
فاخذ صخرة ودفعها ليرسلها على راسه فالتزقت بيده ويده
بعنقه والثالث وهو الاقوى واشد مناسبة لما تقدم وهو
ان ذلك كناية عن منع الله اياهم عن الاهتداء وفيه مسايل الاولى
هل للوجهين الاولين مناسبة وهي ان قوله تعالى فهم لا يومنون
يدخل فيهم انهم لا يصلون كما قال تعالى ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند
بعض المفسرين فالزكوة مناسبة للصلاة على ما بينا فكانه قال
لا تصلون ولا تزكون واما على الوجه الثاني فمناسبة خفية وهي
انه لما قال لقد حق القول على اكثرهم وذكرنا ان المراد به البرهان
قال بعد بل عاينوا وابصروا ما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده ذلك
بعنقه ومنع من ارسال الحجر وهو يضطر الى الايمان ولم يومن علم
انه لا يومن اصلا والتفسير هو الوجه الثالث المسله الثانيه
فهي راجعة الى ماذا نقول فيها وجهان احدهما راجعة الى الايدي
وان كانت غير مذكورة لكنها معلومة لان المغلول يكون ايديه
مجموعة في الغل الى العنق وثانيهما وهو ما اختاره الزمخشري انها
راجعة الى الاغلال معناه انا جعلنا في اعناقهم اثقالا اغلاظا بحيث
تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من ان يطاطي راسه ٥
المسلة الثالثه كيف يفهم من الغل في العنق المنع من الايمان
حتى يجعل كانه فيقول المغلول الذي يبلغ الغل ذقنه ويبقى مقمحا رافع

الراس

الراس لا يبصر الطريق الذي عند قدمه وذكر بعده ان بين يديه
سدا ومن خلفه سدا فهو لا يقدر على انتهاج الطريق ورويته
وقد ذكر من قبل ان المرسل على صراط مستقيم فهذا الذي يهديه
النبي صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم العقل جعل ممنوعا
كالمغلول الذي يجعل ممنوعا من ابصار الطريق الحقيقي ويحتمل
وجها اخر وهو ان يقال الاغلال في الاعناق عبارة عن عدم
الانقياد فان المنقاد يقال فيه انه وضع راسه على الخط
وخضع عنقه والذي في رقبته الغل الجار الى الذقن لا يطاطي
راسه ولا يحركه تحريك المصدق ويصدق هذا قوله فهم مقمحون
فان المقمح هو الرافع راسه فلم يشرب الما ولم يطاطاه للشرب
والايمان كالماء الزلال الذي فيه الحياه وكانه تعالى قال
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا لانهم مقمحون لا ينفعون لا يضعون
الارقاب لامر الله تعالى وعلى هذا فقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم
سدا يكون متمما للمعنى فعل الله اياهم مغلولين لان قوله ٥
وجعلنا من بين ايديهم سدا اشارة الى انهم لا يهتدون سبيل
الرشاد فكانه قال لا يبصرون الحق فينقادون له
لمكان السد ولا ينقادون لك فيبصرون الحق لمكان الغل
والايمان المورث للايقان اما باتباع الرسول اولا فلوح له
الحقايق ثانيا بظهورها لا مورا ولا واتباع الرسول ثانيا
وفيه وجه اخر وهو ان يقال المانع اما ان يكون في النفس
واما ان يكون خارجا عنها ولهم المانعان جميعا من الايمان اما

فى النفس فالعقل واما فى الخارج فالعبيد ولا تقع نظرهم على انفسهم
فيرون الايات التى فى انفسهم كما قال تعالى سنريهم اياتنا فى الافاق
وفى انفسهم وذلك لان المقمح لا يرى نفسه ولا تقع نصره على يديه ولا
تقع بطره على الافاق لان من السد لا ينظرون الافاق ولا يتبين
لهم الايات التى فى الافاق وعلى هذا فقوله انا جعلنا فى اعناقهم ه
وجعلنا من بين ايديهم سدًا مسايل المسلة الاولى السد
من بين الايدي ذكره ظاهر الغاية فانهم فى الدنيا سالكون
وينبغى ان يسلكون الطريقة المستقيمه ومن ايديهم سدًا فلا
يقدرون على السلوك واما السد من خلفهم فما فايدته فنقول
الجواب عنه من وجوه هوان الاول ان له هداية
فطريه والكافر قد تركها وهداية نظريه والكافر ما ادركها
فكانه تعالى يقول جعلنا من بين ايديهم سدًا ومن خلفهم سدًا
فلا يسلكون طريق الاهتداء التى هى نظريه وجعلنا من خلفهم
سدًا فلا يرجعون الى الهدايه الجبليه التى هى فطريه الثانى
هوان الانسان مبداه من الله ومصيره اليه فعمى الكافر لا يبصر
ما بين يديه من المصير الى الله ولا ما خلفه من الدخول فى الوجود
لحلو الله الثالث هوان السالك اذا لم يكن له بد من سلوك طريق
فان انسد الطريق الذى قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع واذا
انسد من خلفه ومن قدامه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع
اقامة فيهلك فقوله وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم اشارة الي
هلاكهم المسلة الثانيه قوله تعالى فاغشيناهم لحرف الفاء

الفاء يقتضي ان يكون للاغشا بالسد تعلق ويكون الاغشا مرتبًا على
جعل السد وكيف ذلك فنقول ذلك من وجهين احدهما ان
يكون ذلك لامور مترتبه ليس بعضها سببًا للبعض وكانه تعالى
قال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالًا فلا يبصرون انفسهم لاقماحهم
وجعلنا من بين ايديهم ومن خلفهم سدًا فلا يبصرون ما فى الافاق
وحينيذ يمكن ان يرون السما وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد هذا
كله جعلنا على ابصارهم غشاوه فلا يبصرون شيا اصلا وثانيهما
هوان ذلك بيانا لكون السد قريبًا منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة
على ابصارهم فان من جعل من خلفه وقدامه سدين ملتزقين
بحيث يبقى بينهما ملتزقًا فانما يقع عينه على سطح السد فلا يبصر
اما غير السد فللحجاب واما عين السد فلكون شرط المرئي ان
لا يكون قريبًا من العين جدًا المسله الثالثه ذكر السدين
بين الايدى ومن خلف ولم يذكر من اليمين والشمال ما الحكمة
فيه اما على قولنا انه اشارة الى الهلاكه الفطريه والنظريه
واما على غير ذلك فنقول كما ذكر حصل العموم والمنع من انتهاج
المناهج المستقيمة لانهم ان قصدوا السلوك الى جانب الشمال
صاروا متوجهين الى شى فصار ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل
الله السد هناك فيمنعه من السلوك فكيف ما يتوجه الكافر
يجعل الله بين يديه سدًا ووجه اخر احسن ما ذكرنا وهو انا لما بينا
ان جعل السد صار سببًا للاغشاء كان السد ملتزقًا به وهو
ملتزق بالسدين ولا قدرة له على الحركه يمنة ولا يسرة ولا

ولا حاجة الى السد عن اليمين وعن الشمال وقوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون
يحتمل ما ذكرنا انهم لا يبصرون شيا ويحتمل ان يكون المراد هو ان
الكافر مصدود دون سبيل الحق عليه مسدود وهو لا يبصر السد ولا
ولا يعلم العبد يظن انه على الطريقة المستقيمة وغيره ضال ثم انه
تعالى بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله بهم من الغل والسد
والاغشا والاغما بقوله وسوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون
اى الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى الايمان منهم اولا وجود منهم
على التقديرين فان قيل اذا كان الانذار وعدمه فلماذا الانذار
نقول قد احينا فى غير هذا الموضع انه تعالى سوا عليهم وما قال سواء
وسواء عليك فالانذار بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لعدم
الانذار لان احدهما يخرج له عن العهدة وسبب فى زيادة سادته
عاجلا وسعادته اجلا واما بالنسبة اليهم على السواء فانذر للنبى
صلى الله عليه وسلم ليخرج عما عليه وبيان ثواب الانذار ولم ينتفعوا
به ما كتب عليهم من الثواب فى دار القرار ثم قال عز وجل انما
تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب والريب ظاهر فى التفسير
مسايل الاولى قال لينذر وذلك يقتضى الانذار العام
على ما بينا وقال انما ينذر وهو يقتضى الانذار العام على ما بينا وقال
انما ينذر وهو يقتضى التخصيص فكيف الجمع بينهما نقول من وجوه الاول
هو ان قوله لينذر اى كيف ما كان سوا كان مفيدا او لم يكن وقوله
انما تنذر اى الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من يتبع الذكر وخشى
الثاني هو ان الله تعالى لما قال ان الامر بيان الانذار للانذار وذلك
ان

ان الانذار وعدمه سيان بالنسبة الى اهل العباد قال لنبيه
ليس انذارك غير مفيد من جميع الوجوه فانذر على سبيل العموم
وانما ينذر بذلك الانذار العام من يتبع الذكر كانه يقول
يا محمد انك انذار تهدي ولا تدري من تهدى فانذار الاسود
والاحمر ومقصودك من يتبع انذارك وتنتفع بتذكرك ه
الثالث هو ان نقول قوله لتنذر اى اولا فاذا انذرت وبلغت
وبلغت واستهزا البعض وتولي واستكبر وولى فاعرض
وبعد ذلك فانذر الذين اتبعوك الرابع هو قريب من الثالث
انما تنذر الكل بالاصول وانما تنذر الفروع من ترك الزكاة
والصلاة من اتبع الذكر وامن المسلة الثانيه قوله عز وجل
من اتبع الذكر يحتمل وجوها الاول وهو المشهور من اتبع ما
فى القران من الايات ويدل عليه قوله تعالى والقران ذى الذكر
فما جعل القران نفس الذكر الثالث من اتبع البرهان فانه ذكر
مكمل الفطره وعلى كل وجه فمعناه انما ينذر العلما الذين
يخشون وهو كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما او كقوله
تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات فقوله اتبع الذكر اى امن
وقوله وخشي الرحمن اى عمل صالحا وهذا الوجه يتايد بقوله
فبشره بمغفرة واجر كريم لانا ذكرنا مرارا ان الغفران جزا
الايمان فكل مومن مغفور والاجر الكريم جزا العمل كما قال تعالى
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
وتفسير الذكر بالقران يتايد بتعريف الذكر بالالف واللام

مع

وقد تقدم ذكر القران في قوله تعالى والقران الحكيم وخشي الرحمن
فيه لطيفة وهي ان الرحمة تورث الاتكال والرجا فقال انه رحمن
ورحيم فالعاقل لاينبغي ان يترك الخشيه فان كل من كان نعمته
بسبب رحمته اكثر فالخوف منه اتم مخافة ان يقطع منه النعم المتواترة
وتكملة اللطيفة هي ان من اسمائه المختصان به هما الله والرحمن
كما قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن حتى قال بعض الايمة
هما علمان اذا عرفت هذا فالله اسم ينبي عن الهيبة والرحمن ينبي عن العاطفه
وقال في موضع وارجوا الله وقال ههنا وخشي الرحمن يعني مع كونه
ذا هيبة لا تقطعوا عنه رجاكم ومع كونه ذا رحمة لا تامنوه وقوله بالغيب
يعني بالدليل وان لم ينته الى درجة المرئي المشاهد فان عند الانتهاء
الى تلك الدرجه لايبقى للخشية فائدة والمشهور ان المراد من الغيب
ما غاب عنا وهو احوال القيامة وقيل بان الوحدانية تدخل
فيه وقوله فبشره فيه اشارة الى الامر الثاني من اي الرسالة وان
النبي بشير ونذير وقد ذكر انه ارسل لينذر وذكر الانذار النافع
عند اتباع الذكر فقال بشر كما انذرت ونفعت وقوله بمغفرة على
التنكير اي بمغفرة واسعة تستر من جميع الجوانب حتى لا يرى
عليه اثر من اثار النفس الاماره ويظهر عليه انوار الروح الزكيه
واجر كريم اي ذا كرم وقد ذكرنا ما في الكريم في قوله ورزق
كريم وقوله ورزقا كريما ثم قال تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب
ما قدموا واثارهم في الترتيب وجوه احدها ان الله تعالى لما بين الرساله
وهو اصل من الاصول الثلاثه التي بها يصير المكلف مومنا مسلما
ذكر

ذكر اصلا اخر وهو الحشر وثانيها وهو ان الله تعالى لما ذكر الانذار
والبشارة بقوله فبشره بمغفرة واجر كريم ولم يظهر ذلك بكماله في
الدنيا فقال ان لم ترى في الدنيا فالله يحيي الموتى ويجزي المنذرين
ويجزي المبشرين وثالثها انه تعالى ذكر خشية الرحمن بالغيب
ذكر ما يوكده وهو احيا الموتى وفي التفسير مسايل الاولى انا
نحن يحتمل وجهين احدهما ان يكون مبتدا وخبر كقول الشاعر

انا ابو النجم وشعري شعري

ومثل هذا يقال عند الشهرة العظيمة وذلك لان من لا يعرف
يقال له من انت فيقول انا ابن فلان فيعرف ومن يكون مشهورا
اذا قيل له من انت يقول انا اي لا معرف لي اظهر من نفسي فقال
انا نحن معروفون باوصاف الكمال واذا عرفنا بانفسنا ولا تنكر
قدرتنا على احياء الموتى وثانيهما ان يكون الخبر نحيي كانه قال انا
نحيي الموتى ونحن يكون تاكيدا والاول اولى المسلة الثانيه
انا نحن فيه اشارة الى التوحيد لان الاشراك يوجب التمييز بغير
النفس فان زيدا اذا شاركه غيره في الاسم فلو قال انا زيد
لا يحصل التعريف التام لان للسامع ان يقول انا زيد فيقول
ابن عمرو ولو كان هناك زيدا اخر ابوه عمرو لا يكفي قوله ابن عمرو
فلما قال الله انا نحن اي ليس غيرنا احد يشاركنا حتى يقول انا
كذا فهمان وحينيذ تصير الاصول الثلاثه مذكورة للرسالة
والتوحيد والحشر المسلة الثالثه قوله عز وجل ونكتب ما قدموا
فيه وجوه احدها المراد ما قدموا واخروا فاكتفى باحدهما كما في

قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمراد والبرد ايضا وثانيها المعنى
ما اسلفوا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وهو كما قال تعالى
بما قدمت ايديهم اي بما قدمته في الوجود على غيره واوجدته وثالثها
نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال واثارهم اي اعمالهم على هذا الوجه
المسئلة الرابعة واثارهم فيه وجوه الاول اثارهم اقدامهم
فان جماعة من الصحابه تقرب دورهم من المساجد وارادوا
النقلة فقال عليه السلم ان الله يكتب خطواتكم وصلى عليه فالزموا
بيوتكم والثاني هي السنن الحسنه كالكتب المصنفة والقناطر
المبنية والثالث الدار والسنن السيئه كالظلامات المستمرة التي
وضعها ظالم والكتب المضلة والات الملاهي وادوات المناهي المعموله
الباقية وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شي
ومن سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها فما قدموا هو افعالهم
واثارهم افعال الشايرين بسيرهم حيث يواخذون بها ويوجرون
عليها الثالث ما ذكرنا ان الاثار الاعمال وما قدموا النيات فان
النية قبل العمل المسئلة الخامسة الكتابه قبل الاحياء وكيف
اخر في الذكر حيث قال نحي ونكتب بل نكتب ما قدموا ونحيهم
نقول الكتابه معظمة لامر الاحياء لان الاحياء ان لم يكن للحساب
لا يعظم والكتابة في نفسها ان لم تكن معظمة احياء واعادة لا يبقى لها
اثر اصلا فالاحيا هو المعتبر والكتابه موكدة معظمة لامره ولهذا
قدم الاحيا ولانه تعالى لما قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت

والاحيا عظيم يختص بالله والكتابة دونه فقرن بالتعريف الامر
العظيم وذكر ما يعظم ذلك الامر العظيم وقوله وكل شي احصيناه
في امام مبين يحتمل وجوه احدها ان يكون ذلك بيانا لكون
ما قدموا واثارهم امرا مكتوبا عليهم لا يبدل فان القلم جف بما هو
كاين فلما قال ونكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة اخرى
فان الله كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب
عليهم انهم فعلوه وثانيها ان يكون ذلك موكدا المعنى قوله ونكتب لان
من يكتب شيا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه لم يكتب فقال
نكتب ونحفظ ذلك في امام مبين وهذا كقوله تعالى علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وثالثها ان يكون ذلك تعميما بعد التخصيص
كانه تعالى يكتب ما قدموا واثارهم وليست الكتابة منحصرة عليه بل
كل شي محصى في امام مبين وهذا يفيد ان شيا من الافعال والاقوال
لا يعزب عن علم الله ولا يفوته وهذا كقوله عز وجل وكل شي فعلوه
في الزبر وكل صغير وكبير يعني ليس ما في الزبر منحصرا فيما فعلوه بل
كل شي مكتوب وقوله احصيناه ابلغ من قوله كتبناه لان كتب شيا
مفرقا يحتاج الى جميع عدده فقال هو محصى فيه وسمى الكتاب
اماما لان الملايكة يتبعونه فيما كتب فيه من اجل ورزق واحياء
واماته اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ واما ما جمع في قوله تعالى
يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي بائمتهم وحينيذ فامام اذا كان فردا فهو
ككتاب وحجاب واذا كان جمعا فهو كجبال وحبال والمبين هو
المظهر الامور لكونه مظهرا للملايكه ما يفعلون وللناس ما يفعل بهم

اوهو الفارق يفرق بين احوال الخلق فيجعل فريقًا في الجنة وفريقًا
في السعير ثم قال تعالى واضرب لهم مثلًا اصحاب القرية فيه
وجهان والترتيب ظاهر على الوجهين الوجه الاول هو ان يكون
المعنى واضرب لاجلهم مثلا والثاني ان يكون المعنى واضرب لاجل
نفسك اصحاب القرية لهم مثلا اي مثلهم عند نفسك باصحاب القريه
وعلى الاول نقول لما قال الله تعالى انك لمن المرسلين وقال
لينذر قومًا قال قل لهم ما انا بدعًا من الرسل بل قبلي بقليل جاء اصحاب
القرية مرسلون وانذروهم بما انذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا
بالقيامة وبشروا بنعيم دار الاقامة وعلى الثاني نقول لما قال تعالى
ان الانذار لا ينفع من اضله الله وكتب عليه انه لا يومن قال
النبي صلى الله عليه وسلم فلا ياس واضرب لنفسك مثلا اي مثل لهم لقومك
عند نفسك مثلا حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يومنوا وصبر الرسل
على القتل والايذاء وانت جيتهم واحدًا وقومك اكثر من قوم الثلاثة
فانهم جاؤا قرية وانت بعثت الى العالم وفي التفسير مسايل الاولى
مع ان الضرب في اللغة اما الامساس جسم جسمًا بعنف واما التسير
اذا قرن به حرف في كقوله تعالى اذا ضربتم في الارض نقول قوله
ضرب مثلا معناه مثل مثلا وذلك لان الضرب اسم للنوع تقال
هذه الاشيا من ضرب واحد اي جعل هذا وذاك من ضرب واحد
الثانية اصحاب القرية معناه واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية
فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله واسال القرية
هذا قول الزمخشري في الكشاف ويحتمل ان يقال لا حاجة الى

الاضمار بل المعنى اجعل اصحاب القرية لهم مثلا او مثل اصحاب
بهم الثالثة اذ جاءها المرسلون اذ منصوبة لانها بدل عن
اصحاب القرية كانه قال تعالى واضرب لهم وقت مجي المرسلين
ومثل ذلك الوقت بوقت مجيك وهذا ايضا قول الزمخشري
وعلى هذا ان هذا المثل مضروب لنفس محمد صلى الله عليه وسلم
تسليه فمحل اذ ظرف منصوب بقوله اضرب اي اجعل الضرب
كانه حين مجيهم وواقع فيه والقرية انطاكيه والمرسلون من قوم
عيسى وهم اقرب مرسل ارسل الى قوم الى زمان محمد صلى الله عليه
وسلم وهم ثلاثة كما بين الله تعالى وقوله اذ ارسلنا يحتمل وجهين
احدهما ان يكون اذ ارسلنا بدلا عن اذ جاءها كانه قال اضرب
لهم مثلا اذ ارسلنا الى اصحاب القريه اثنين وثانيهما وهو الاصح
ان يكون اذ ظرفًا والفعل الواقع فيه جاءها اي جاءها المرسلون
حين ارسلناهم اليهم اي لم يكن مجيهم من تلقاء انفسهم وانما جاؤهم
حيث امروا وهذا فيه لطيفة وهي ان في الحكاية ان الرسل
كانوا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلم ارسلهم الى انطاكيه فقال
تعالى ارسل عيسى عليه السلم هو ارسالنا ورسول رسول الله
باذن الله فلا يقع لك يا محمد ان اوليك كانوا رسل الرسول
وانا رسول الله فان تكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية
بقوله اذ ارسلنا وهذا يويد مسئلة فقهية وهي ان وكيل الوكيل
باذن الموكل وكيل الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل
اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول وعلى هذا قولنا واضرب

لهم مثلاً ضرب المثل لاجل محمد صلى الله عليه وسلم ظاهر وقوله اذ
ارسلنا اليهم اثنين في حكمة الاثنين لعنه بالعه وهى انهما كانا
مبعوثين من جهة عيسى عليه السلم وكان عليهما انها الامر الى عيسى
عليه السلم والاتيان بما امر الله والله عالم بكل شئ لا يحتاج الى
تشهيد عبد واما عيسى فهو بشر فامره الله بارسال النبيين
ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة ثابتة وقوله فعززنا بثالث
اى قوينا وقرئ فعززنا بثالث مخففاً من عز اذا غلب فكانه قال
فغلبنا نحن وقهرنا بثالث والاول اظهر واشهر وترك المفعول
حيث لم يقل فعززناهما لمعنى لطيف وهى ان المقصود من بعثه
نصرة الحق لا نصرتهما والكل كانوا مقوين للدين المبين بالبرهان
المبين وفيه مسايل الاولى النبى صلى الله عليه وسلم بعث رسله
الى الاطراف واكتفى بواحد وعيسى عليه السلم بعث اثنين نقول
النبى بعث لتقرير الفروع وهى دون الاصول فاكتفى بواحد فان
خبر الواحد فى الفروع حجة مقبول واما هما فبعثا وجعلا لهما
معجزة تفيد اليقين والا لما كفى ارسال اثنين ايضا ولا ثلثه
المسلة الثانية قال الله تعالى لموسى عليه السلم سنشد
عضدك ذكر المفعول ولم يذكرها هنا مع ان المقصود هناك
ايضا نصرة الحق نقول موسى عليه السلم كان افضل من هرون
وهرون بعث معه بطلبه حيث قال فارسله معى فكان هرون
عليه السلم مبعوثا يصدق موسى فيما يقول ويقوم بما يامر واما
هما والثالث فكل واحد مستقل بالحق فكان هناك المقصود تقوية

موسى عليه السلم وارسال من يونس معه وهو هرون عليه
السلم وههنا المقصود تقوية الحق وظهر الفرق ثم بين الله تعالى
ماجرى منهم وعليهم مثل ماجرى من محمد صلى الله عليه وسلم وعليه
فقالوا انا اليكم مرسلون كما قال تعالى انك لمن المرسلين
وبين ما قال القوم بقوله ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل
الرحمن من شئ جعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلاً على عدم الارسا ل
وهذا عام من المشركين قالوا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم انزل
عليه الذكر وانما ظنوه دليلاً بناءً على انهم لم يعتقدوا فى الله
الاختيار وانما قالوا فيه انه موجب بالذات وقد استوينا فى البشرية
ولا يمكن الرجحان والله تعالى يرد عليهم قولهم بقوله الله اعلم حيث
يجعل رسالاته وبقوله الله يجتبى اليه من يشا الى غير ذلك وقولهم
وما انزل الرحمن من شئ يحتمل وجهين ان يكون متمما لما ذكروه فيكون
الكل شبهة واحدة ووجهه هو انهم قالوا انتم بشر فما نزلتم من
الله وما انزل اليكم احدا وكيف رسل الله وثانيهما ان يكون هذه
شبهة اخرى مستقلة ووجهه وهو انهم لما قالوا انتم بشر مثلنا
فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا شبهة اخرى من جهة المرسل وهى
انه تعالى ليس ينزل شيا فى هذا العالم فان تصرفه فى العالم العلو ي
وللعلويات التصرف فى السفليات على مذهبهم فالله لم ينزل
شيا من الاشياء فى الدنيا فكيف انزل اليكم وقوله تعالى
الرحمن اشارة الى الرد عليهم لان الله لما كان رحمان الدنيا ن
والارسال رحمه فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمان فقال انهم

قالوا ما انزل شيئًا وكيف لا ينزل الرحمن مع كونه رحمان شيا هو
الرحمة الكاملة ثم قالوا ان انتم الا تكذبون اى ما انتم الا
كاذبين قالوا ربنا يعلم اشارة الى انهم بمجرد التكذيب لم ساموا
ولم يتركوا بل عادوا ذلك لهم وكرروا القول عليهم واكدوا اليمين
وقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون واكده باللام لان يعلم الله يجرى
مجرى القسم لان من يقول يعلم الله فيما لا يكون قد نسب الله الى
الجهل وهو العقاب كما ان الحسب سبب وفى قوله ربنا يعلم اشارة
الى الرد عليهم حيث قالوا انتم بشر وذلك لان الله اذا كان يعلم
انهم مرسلون يكون كقوله تعالى الله يعلم حيث يجعل رسالاته
يعنى هو عالم بالامور وقادر فاختار واعلمه لرسالته ثم قال
تعالى وما علينا الا البلاغ المبين تسلية لانفسهم اى نحن خرجنا عن
عهدة البلاغ ما علينا وحالهم على النظر فانهم لما قالوا ما علينا الا
البلاغ كان ذلك يوجب تفكرهم فى امرهم حيث لم يطلبوا منهم
اجرًا ولا قصدوا رياسة وانما كان شغلهم للتبليغ والذكر وذلك
مما يحمل العاقل على النظر والمبين يحتمل امورًا احدها البلاغ
المبين الحق عن الباطل اى الفارق بالمعجزة والبرهان
وثانيهما البلاغ المظهر لما ارسلنا للكل اى لا يكفى ان يبلغ
الرسالة الى شخص او شخصين ثالثها البلاغ المظهر للحق بكل
ما يمكن فاذا لم يقبلوا الحق هناك العذاب ثم كان جوابهم بعد
هذا قولهم انا تطيرنا بكم وذلك على ما ظهر من الرسل البالغة
فى البلاغ ظهر منهم الغلو فى التكذيب فلما قال المرسلون انا

اليكم مرسلون قالوا ان انتم الا تكذبون ولما اكد الرسل قولهم
باليمين حيث قالوا ربنا يعلم اكدوا قولهم بالتطير بهم فكانهم قالوا
فى الاول كنتم كاذبين وفى الثانى صرتم مصرين على التكذيب
حالفين مقسمين عليه واليمين الحانثة تدع الديار بلاقع فتشاءمنا
بكم وفى الاول كانا تركناكم لكن الشوم تداركنا بسببكم فقالوا لئن
لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم وقوله لنرجمنكم يحتمل
وجهين احدهما لنمسنكم من الرجم بالقول وعلى هذا فقوله
وليمسنكم فرق كانهم قالوا ولا نكتفى بالشتم يؤدى الضرب والايلام
الحسى وثانيهما ان يكون المراد الرجم بالحجارة وحينئذ فقوله وليمسنكم
بيان للرجم يعنى ولا يكون الرجم رجمًا قليلا نرجمكم بحجر وحجرين بل
ندوم عليكم ذلك الى الموت وهو عذاب اليم ويكون المراد لنرجمنكم
وليمسنكم بسبب الرجم عذاب منا اليم وقد ذكرنا فى الاليم
انه بمعنى المولم والفعيل بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من
باب قوله عيشة راضية اى ذات رضى ان العذاب اليم اى ذو
الم وحينئذ يكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم اجابهم المرسلون
بقولهم طائركم اى شومكم معكم وهو الكفر ثم قالوا ائن ذكرتم
جوابا عن قولهم لنرجمنكم يعنى اتفعلون هذا ذلك وان ذكرتم اى
بين لكم الامر بالمعجز والبرهان بل انتم قوم مسرفون حيث تجعلون
من يتبرك به ممن يتشام به وان تقصدون ايلام من يجب فى حقه الاكرام
او مسرفون حيث تكفرون ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجز والبرهان
فان الكافر مسيء فاذا تم عليه الدليل واوضح له السبيل ويصر يكون

مُسرفًا والمسرف هو المجاوز للحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا
كذلك في كثير من الاشياء اما في الشرك والقسم فقد علم وكذلك
في الايلام والاكرام واما في الكفر فلان الواجب اتباع الدليل
وان لم يوجد فلا اقل من ان لا يحكم بنقيضه وهم جزموا بالكفر
بعد البرهان على الايمان فان قيل بل للاضراب فما الامر
المضروب عنه نقول يحتمل ان يقال قوله ان ذكرتم وارد على تكذيبهم
ونسبتهم الرسل الكذب فقولهم ان انتم الا تكذبون فكانهم قالوا انحن الى
كاذبون وان جينا بالبرهان لا بل انتم قوم مسرفون ويحتمل ان يقال
انتم مشؤمون وان جينا ببيان صحة ما نحن عليه لا بل انتم قوم مسرفون
ويحتمل ان يقال انحن مستحقون الرجم والايلام وان بينا صحته ما اتينا
به لا بل انتم مسرفون واما الحكاية مشهورة وهي ان عيسى عليه السلم
بعث رجلين الى انطاكية فدعيا الى التوحيد واظهرا المعجزة من ابراء
الاكمه والابرص واحيا الميت فحبسهما الملك فارسل بعدهما
سمعون فاتى الملك ولم يدع الرسالة وقرب نفسه الى الملك وقال
بحسن التدبير ثم قال له اني اسمع ان في الحبس رجلين يدعيان
امرا بديعا افلا نحضر ان نسمع كلامهما قال الملك بلى فاحضرا وذكر
مقالتهم الحمه فقال لهما سمعون وهل لكما بينة قالا نعم ابرا الاكمه
والابرص واحيا الميت فقال سمعون يا ايها الملك ان شئت ان
تغلبهم فقل للالهة التي تعبدونها تفعل شيا من ذلك قال
الملك انت لا يخفى عليك انها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم فقال
سمعون فاذا ظهر الحق من جانبهم فامن الملك وقوم وكفر اخرون وكانت
العلمه

العلمه للمكذبين ثم قال تعالى وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى وفي فايدته وتعلقه بما قبله وجهان احدهما انه
بيان لكونهم اتوا بالبلاغ المبين حيث امن بهم الرجل الساعي وعلى هذا
فقوله من اقصى المدينة فيه بلاغة باهرة وذلك لانه لما جاء من اقصى
المدينة رجل وهو قد امن دل على ان انذارهم واظهارهم بلغ الى اقصى
المدينة وثانيهما ان ضرب المثل لما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم تسلية لقلبه
ذكر بعد الفراغ عن ذكر الرسل سعي المومنين في تصديق رسلهم ن
وصبرهم على ما اوذوا ووصول الجزء الاوفى اليهم ليكون ذلك تسلية
لقلب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما ان ذكر المرسلين تسلية
لقلب محمد صلى الله عليه وسلم وفي التفسير مسايل **الاولى** قوله
وجاء من اقصى المدينة في تنكير الرجل مع انه كان معروفا معلوما
عند الله فايدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه اي رجل كامل في
الرجولية الثانية ان يكون مفيدا لظهور الحق من جانب المرسلين
امن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطوا في
الرجل هو حبيب النجار كان ينحت الاصنام وقد امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم قبل وجوده حيث صار من العلماء بكتاب الله وراى فيه
نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثه **المسئلة الثانية**
وقوله يسعى تبصر للمومنين وهداية لهم ليكونوا في النصح باذلين
جهدهم وقد ذكرنا فايده قوله من اقصى المدينة وهو تبليغهم
الرسالة بحيث انتهى الى من في اقصى المدينة والمدينة هي انطاكيه
وهي كانت كبيرة شاسعة والان دون ذلك ومع هذا فهي كبيرة

وقوله يا قوم اتبعوا المرسلين فيه معان لطيفة الاول في قوله
يا قوم فانه ينبئ عن اشفاق عليهم وشفقة فان اضافته الى نفسه بقوله
يا قوم يفيد انه لا يريد بهم الا خيرا ومثل هذا قول مومن ال فرعون
يا قوم اتبعوني فان قيل هذا الرجل اتبعوا المرسلين وقال
ذلك اتبعوني فما الفرق نقول هذا الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم
وما دروا سيرته فقال اتبعوا المرسلين هولاء الذين اظهروا لكم الدليل
واوضحوا لكم السبل واما مومن ال فرعون فكان فيهم واتبع موسى
ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلم
واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي وانتم تعلمون اني اخترته
ولم يكن الرجل الذي جاء من اقصى المدينة ان يقول انتم تعلمون اتباعي
لهم الثاني جمع بين اظهار النصيحة واظهار ايمانه فقوله اتبعوا نصيحه
وقوله المرسلين اظهار انه امن الثالث قدم اظهار النصيحة على اظهار
الايمان لانه كان ساعيا في النصح واما الايمان فكان قد امن من قبل وقوله
رجل يسعى يدل على كونه مريدا للنصح وما ذكر في حكايته انه كان يقتل ويقول
اللهم اهد قومي ثم انه قال اتبعوا المرسلين كانهم منعهم كونهم مرسلين
نزل درجه وقال لا شك ان في الخلق في الدنيا لكون طريقه
وطالبون الاستقامة والطريق اذا حصل فيه دليل يدل يجب
اتباعه والامتناع من الاتباع لا يحسن الا عند احد امرين اما
مغالاة الدليل في طلب الاجر واما عدم الاعتماد على اهتدايه
ومعرفته الطريق لكن هولاء لا يطلبون اجرا وهم مهتدون
عالمون بالطريقة المستقيمة الموصلة الى الحق فهب انهم ليسوا المرسلين
هادين

هادين اليسوا بمهتدين فتتبعونهم ثم قال تعالى وما لي لا
اعبد الذي فطرني لما قال وهم مهتدون بين ظهور اهتدايهم
بانهم تدعون من عبادة الجمادات الى عبادة الحي القيوم ومن عبادة
ما لا ينفع الى عبادة من منه كل نفع وفيه لطايف الاولى وما لي
اي مانع من جانبي اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء
فيه فمن يمنع من عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع ايضا من
جانبي اشارة الى ان الامر من جهة المعبود ظاهر لا خفا فيه فمن يمنع من
عبادته يكون من جانبه مانع ولا مانع ايضا من جانبي فلا جرم عبدته
عبدته وفي العدول من مخاطبة القوم الى حال نفسه حكمة اخرى
ولطيفة ثانية وهي انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم
لم يكن في البيان مثل قوله ما لي لانه لما قال ما لي واحد لا يخفى
عليه حال نفسه علم كل احد انه لا يطلب العلة وبيانها من احد
لانه اعلم بحال نفسه فهو مبين عدم المانع واما لو قال ما لكم
جاز ان يفهم منه انه يطلب بيان العلة لكون غيره اعلم بحال نفسه
فان قيل قال الله ما لكم لا ترجون لله وقارا نقول القايل هناك
غير مدعو وانما هو داع وهاهنا الرجل يدعوا الى الايمان
فقال وما لي لا اعبد وقد طلب مني ذلك الثانية قوله
عز وجل الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي فان قوله ما لي
اشارة الى المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل ما لم يوجد
المقتضي فقوله الذي فطرني ينبئ عن الاقتضاء فان الخالق ابدا
مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنعم بالايجاد

والمنعم يجب على المنعم عليه شكر نعمته الثالثه قدم بيان عدم المانع
على بيان وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم المقتضي حيث وجد
المقتضي ولا مانع فيوجد لان المقتضي لوجوده لظهوره كان مستغنيا
عن البيان راسا فلا اقل من تقديم ما هو اولى بالبيان لوجود الحاجه
اليه الرابعة اختار من الايات فطرني نفسه لانه لما قال ومالي
لا اعبد الذي باسناد العبادة الى نفسه اختار ما هو اقرب الى
ايجاب العباده على نفسه وبيان ذلك هو ان خالق عمرو يجب على زيد
عبادته لان من خلق عمرا لا يكون الا كامل القدره شامل واجب
الوجود وهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف ولكن
العبادة على زيد بخلق زيد اظهر ايجابا واعلم ان المشهور في قوله
فطرني خلقني اختراعا ابتداء والقريب فيه ان يقال فطرني
اي جعلني على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
وعلى هذا فقوله تعالى لا اعبد اي لم يوجد لي مانع واما بالي على ما
فطرني ربي والفطرة كافيه في الشهادة والعبادة فان قيل
فعلى هذا اختلف معنى الفطرة في قوله فاطر السموات فيقول قد
قيل بان فاطر السموات من الفطر الذي هو الشق فالمحذور لازم
او يقول المعنى فيهما واحد كانه قال فطر المكلف على فطرته وفطر
السموات على فطرتها والاول من التفسير اظهر وقوله واليه ترجعون
اشارة الى الخوف والرجا كما قال وادعوه خوفا وطمعا وذلك لان
من يكون اليه المرجع يخاف منه ويرجى وفيه ايضا معنى لطيف وهو
ان العابد على اقسام ثلثه ذكرها مرارا فالاول يعبد الله لكونه الها
مالكا

مالكا سوا انعم بعد ذلك او لم ينعم كالعبد الذي يجب عليه خدمة
سيده سوا احسن اليه او اسا والثاني عابد يعبد الله للنعمة
الواصلة اليه والثالث يعبد خوفا مثال الثاني من يخدم العالم
ليجعل القائل نفسه من العمل الاعلى وقال ومالي لا اعبد الذي فطرني
اي هو مالكي اعبده لا انظر الى ما سيعطيني ولا انظر الى ان يعذبني ه
وجعلهم دون ذلك فقال واليه ترجعون اي خوفكم منه ورجاكم فيه
فكيف لا تعبدونه ولهذا لم يقل واليه ارجع كما قال فطرني لانه صار
عابدا من القسم الاول فرجوعه الى الله لا يكون الا للاكرام وليس
سبب عبادته ذلك بل غيره ثم قال تعالى أأتخذ من دونه الهة
لتتميم التوحيد كان التوحيد بين التعطيل والاشراك فقال ومالي لا
اعبد اشارة الى وجود الاله وقال أأتخذ من دونه اشارة الى
نفي غيره معنى لا اله الا الله وفي الاية ايضا لطايف ذكره على طريق
الاستفهام فيه معنى وضوح الامر وذلك لان من اخبر عن شيء فقال
مثلا لا اتخذ يصح من السامع ان يقول له لم لا تتخذ فيساله عن
السبب واذا قال أتخذ يكون في كلامه انه مستغن عن بيان السبب
الذي يطالب به عند الاخبار كانه يقول استشرك فدلني والمستشار د
يتفكر فكانه يقول تفكر في الامر تفهم من غير اخبار مني الثانيه قوله
من دونه وهي لطيفة عجيبة وبيانها هو انه لما بين انه يعبد بقوله
الذي فطرني تبين ان من دونه لا يجوز عبادته فان عبد غير
الله وجب عبادة كل شيء مشارك للمعبود الذي اتخذه غير الله لان
الكل محتاج مفتقر حادث فلو قال أأتخذ الهة لقيل له ذلك

يختلف ان اتخذت الهًا غير الله الذي فطرك بل يمنعك عقلاً ان تتخذ
آلهةً لا حصر لها وان كان الهك ربك وخالقك لا يجوز ان تتخذ الهه
الثالثة قوله اتخذ اشارة الى ان غيره ليس باله لان المتخذ لا يكون
الهًا ولهذا قال تعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا لانه تعالى لا يكون
له ولد حقيقة ولا يجوز وانما النصارى قالوا نبي الله عيسى عليه السلام
وسماه ولدًا فقال ولم يتخذ ولدًا لا يقال قال تعالى فاتخذه وكيلا
في حق الله تعالى حيث قال رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه
وكيلاً نقول ذلك امر محدود وذلك لان الانسان في اول الامر يكون
قليل الصبر ضعيف القوة فلا يجوز ان يترك اسباب الدنيا ويقول
الى الوكيل ولا يحسن من الواحد منا ان لا يشتغل بامر اصلا ويترك
اطفاله في ورطة الحاجة ولا يوصل الى اهله نفقتهم ويجلس في مسجد
وقلبه متعلق بعطاء زيد وعمرو واذا قوي بالعبادة قلبه ونسي نفسه
فضلاً عن غيره واقبل على عبادة ربه بقلبه وترك الدنيا واسبابها
وفوض امره الى الله فحينئذ يكون من الابرار الاخيار فقال الله لرسوله
انت علمت ان الامور بيد الله وعرفت الله حق المعرفة وتيقن ان
المشرق والمغرب وما فيهما وما يقع بينهما بامر الله ولا اله يطلب
الحوائج الا هو فاتخذه وكيلا وفوض جميع امورك اليه فقد ارتقيت منه
عن درجة من يومن بالكسب الحلال وكنت من قبل تتجر في الحلال
ومعنى قوله فاتخذه وكيلا اي في جميع امورك وقوله تعالى ان يردن
الرحمن بضر لا تغني عني يحتمل وجهين احدهما ان يكون كالوصف كانه
قال أأتخذ الهه غير معينة عند ارادة الرحمن في ضرار ثانيهما ان يكون
كلامًا

كلامًا مستانفًا كانه قال لا اتخذ من دونه الهة ثم قال
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم وفيه مسايل الاولى
قال ان يردن الرحمن ولم يقل ان يرد الرحمن بي ضرًا وكذلك
قال تعالى ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ولم يقل
ان اراد الله بي ضرًا نقول الفعل اذا كان متعديًا الى مفعول
واحد تعدى الى مفعولين بحرف كاللازم تعدى بحرف في
قولهم ذهب به وخرج به ثم ان المتكلم البليغ يجعل المفعول
بغير حرف ما هو اول مفعول بوقوع الفعل عليه ويجعل
الاخر مفعولًا بحرف فاذا قال القايل مثلًا كيف حال فلان
نقول اختصه الملك بالكرامة والنعمة فاذا قال كيف كرامة الملك
نقول اختصها زيد فيجعل المدرك مفعولا بغير حرف لانه هو
المقصود فيما نحن فيه بيان كون العبد تحت تصرف الله يقلبه
كيف يشاء في البوس والرخاء وليس الضر مقصود بيانه كيف
والقايل مومن يرجو رحمته والنعمة بناء على ايمانه يحكم وعد الله
ويويد هذا من قبل الذي فطرني حيث جعل نفسه مفعول الفطرة
فكذلك جعلها مفعول الارادة وذكر الضر وقع تبعًا وكذا القول
في قوله تعالى ان ارادني الله بضر المقصود بيان انه يكون كما
يريد الله وليس الضر بخصوصه مقصودًا بالذكر ويويد
ما تقدم حيث قال تعالى اليس الله بكاف عبده يعني هو تحت
ارادته ويتايد ما ذكرناه بالنظر في قوله تعالى قل من ذا الذي
يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءًا حيث خالف هذا النظم وجعل

المفعول من غير حرف السوء وهو كالضر والمفعول بحرف هو المكلف
وذلك لان المقصود ذكر الضر للتخويف وكونهم محلا لهم وكيف لا هم
كفروا استحقوا العذاب بكفرهم فجعل الضر مقصودا بالذكر لوصرهم فان
قيل فقد ذكر الله الرحمة ايضا حيث قال او اراد بكم رحمة نقول
المقصود ذلك يدل عليه قوله تعالى من بعده ولا تجدون لهم
وليا ولا نصيرا وانما ذكر الرحمة تتمة للامر بالقسم الحاصر وكذلك
اذا تاملت في قوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل
فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم نفعا فان الكلام ايضا مع الكفار
وذكر النفع وقع تبعا لحصر الامر بالتقسيم يدل عليه قوله تعالى بل كان
الله بما تعملون بصيرا فانه للتخويف وهذا كقوله تعالى وانا واياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين والمقصود اني على هدى وانتم في ضلال
ولو قال هكذا لمنع مانع بالتقسيم كذلك هاهنا المقصود الضر واقع
بكم ولاجل دفع الملال قال الضر او النفع

المسئلة الثامنة

قال هاهنا ان يردن الرحمن وقال في الزمر ان ارادني الله فما الحكمة
في اختيار صيغة الماضي هناك واختيار صيغة المضارع هاهنا وذكر
المريد باسم الرحمن وذكر المريد باسم الله هناك نقول اما الماضي
مع المستقبل مع ان في الشرط يصير الماضي مستقبلا فذلك لان
المذكور هاهنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله ااتخذ وقوله
وما لي لا اعبد والمذكور هنالك من قبل بصيغة الماضي في قوله
افرايتم وكذلك في قوله ان يمسسك الله بضر المتقدم مذكور
بصيغة المستقبل وهو قوله من يصرف عنه وقوله اني اخاف
ان

ان عصيت والحكمة فيه هو ان الكفار كانوا يخوفون النبي صلى
الله عليه وسلم بضر يصيبه من الهتهم فكانه قال صدر منكم
التخويف وهذا ما سبق منكم وهاهنا ابتدا كلام صدر من المومن
للتقرير ولجواز ما كان يمكن صدوره منهم فافترق الامران
واما قوله هناك ان ارادني الله فنقول قد ذكرنا ان
الاسمين المختصين بواجب الوجود هو الله والرحمن كما قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ولله الهيبة والعظمة والرحمن
للرافة والرحمة وهناك وصف الله بالعزة والانتقام في قوله
اليس الله بعزيز ذي انتقام وذكر ما يدل على العظمة بقوله ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض فذكر الاسم الدال على العظمة
وقال هاهنا ما يدل على الرحمة بقوله الذي فطرني فانه نعمه
هي شرط ساير النعم فقال ان يردن الرحمن بضر ثم قال تعالى اني اذا
لفي ضلال مبين يعني ان فعلت ذلك فانا ضال ضلالا لا تغن عني
شفاعتهم شيئا ولا ينقذون على ترتيب ما يقع من العقلاء وذلك لان
من يريد دفع الضر عن شخص اضر به شخص يدفع بالوجه الاحسن
فيشفع اولا فان قبله والا يدفع فقال لا تغن عني شفاعتهم ولا
ينقذون على التعادي بوجه من الوجوه وفي هذه الايات حصل
بيان ان الله معبود من كل وجه ان كان نظرا الى جانبه فهو
فاطر ورب ومالك يستحق العبادة سوا احسن بعد ذلك او لم يحسن
وان كان نظرا الى احسانه فهو رحمان وان كان وان كان نظرا
الى الخوف فهو لا يدفع ضره وحصل بيان ان غيره لا يصلح لان يعبد

بوجه من الوجوه فان اراد مراسه ان يعد ليوم كربهة وغير الله لا يدفع
شيئًا اذا اراد الله وان لم يرد فلا حاجة الى دافع ثم قال تعالى
اني اذًا لفي ضلال مبين يعني ان فعلت ذلك فانا في ضلال مبين ضال ضلالًا
مبينًا والمبين مفعل بمعنى فعيل كما جا عكسه فعيل بمعنى مفعل في قوله اليم
اي مؤلم ويمكن ضلال مبين اي مظهر للامر الباطن والاول هو الصحيح ٥
ثم قال تعالى اني امنت بربكم فاسمعون المخاطب بقوله بربكم وجوه
احدها هم المرسلون قال المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله
فاقبل هو على المرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعون قولي لتشهدوا
لي وثانيها هم الكفار كانه لما نصحهم وما نفعهم قال فانا امنت فاسمعون
وثالثها بربكم ايها السامعون فاسمعون على العموم كما قلنا في قول
الواعظ حيث قال يا مسكين ما اكثر املك وما ابرز عملك يريد
به كل سامع يسمعه في قوله فاسمعون منها انه كلام مترو متفكر حيث
قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة سامعين
يتفكر ومنها ان ينبه القوم ويقول اني اخبرتكم بما فعلت حتى
لا تقولوا لما اخفيت عنا امرك ولو اظهرت لامنا معك وثالثها ان
يكون المراد السماع الذي بمعنى القبول يقول القايل نصحته فسمع
قولي اي قبله قلت قال من قبل ما لي لا اعبد الذي فطرني وقال فان
هاهنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربي يقول على قولنا الخطاب مع
الرسول الامر ظاهر لانه لما قال امنت بربكم ظهر عند الرسل انه
قبل قولهم وامن بالرب الذي دعوه اليه ولو قال بربي لعلهم كانوا
يقولون كل كافر يقول لي رب وانا كافر مومن بربي واما على قولنا
الخطاب

الخطاب مع الكفار فيه بيان للتوحيد وذلك لانه لما قال
اعبد الذي فطرني ثم قال امنت بربكم فهم منه يقول ربي وربكم
واحد وهو الذي فطرني وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال
امنت فيقول الكافر وانا ايضًا امنت بربي ومثل هذا قوله تعالى
الله ربنا وربكم ثم قال تعالى قيل ادخل الجنة فيه
وجهان احدهما انه قيل ادخل الجنة بعد القتل وثانيهما قيل ادخل
الجنة عقيب قوله امنت وعلى الاول فقوله يا ليت قومي يعلمون
يكون بعد موته والله اخبر بقوله وعلى الثاني ذلك في حياته كما
سمع الرسل انه من الداخلين الجنة وصدقهم وقطع به وعلمه فقال
يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيومنون كما امنت وفي غير معنى قوله
تعالى قيل وجهان كما ان في وقت ذلك وجهان احدهما قيل من
القول في الثاني ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد
شيئًا ان يقول له كن ليس المراد القول في وجه بل هو الفعل الذي
يفعله في حينه من غير تاخير وتراخ وكذلك في قوله تعالى وقيل
يا ارض ابلعي ماك في وجه جعل الارض بالعة ماها وفي قوله تعالى
بما غفر لي ربي وجوه احدها ان ما استفهامية كانه قال
يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي حتى يشتغلوا به وهو ضعيف
والا لكان الاحسن ان يكون ما محذوفة الالف بعاتبم وفيم وعم ولم
وثانيها خبريه كانه قال يا ليت قومي يعلمون بالذي غفر لي ربي
وثالثها مصدرية كانه قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي
لي والوجهان الاخران هما المختاران ثم قال تعالى وجعلني من

المكرمين قد ذكرنا ان الايمان والعمل الصالح يوجبان امرين هما الغفران
والاكرام كما في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة ورزق كريم والرجل كان من المومنين الصلحا
والمكرم على ضد المهان والاهانه بالحاجة فالاكرام الاستغنا
يعني الله الصالح عن كل احد ويرفع جميع حاجاته بنفسه الكريم
انه تعالى لما بين حاله بين المتخلفين المخالفين له من قومه بقوله
وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء اشارة الى اهلاكهم
بعده سريعا على اهمل وجه فانه لم يحتج الى ارسال جند يهلكهم
وفيه مسايل **الاولى** قال ههنا وما انزلنا باسناد الفعل الى
النفس وقال في بيان حال المومن قيل ادخل الجنه باسناد القول
الى غير مذكور وذلك لان العذاب من باب الهيبه فقال بلفظ
التعظيم واما ادخال الجنة فقال قيل ليكون هو كالمهنا يقول الملايكه
حيث يقول له كل ملك وكل صالح يراه ادخل الجنة خالدا فيها
وكثيرا ما ورد في القران قوله وقيل ادخلوا اشارة الى ان الدخول
يكون دخولا باكرام كما يدخل العريس البيت المزين على رؤس
الاشهاد يهنيه كل احد **المسألة الثانية** لم اضاف القوم اليه
من ان الرسل اولى بكون الجمع قوما لهم فان الواحد يكون له قوم
هم اله واصحابه والرسول لكونه مرسلا يكون جميع الخلق او جميع
من ارسل اليهم قوما له نقول لوجهين احدهما ليبين الفرق بين
اثنين هما من قبيلة واحدة لزم احدهما عليه الاكرام بسبب الايمان
والاخر غاية الاهانة بسبب الكفر وهذا من قوم ذلك في النسب

وثانيهما ان العذاب كان مختصا باقارب ذلك لان غيرهم من قوم
الرسل امنوا بهم فلم يصبهم العذاب **المسله الثالثه** خصص عدم
الانزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جندا قبله ايضا فما فايدة
التخصيص نقول استحقاقهم العذاب كان بعده حيث اصروا واستكبروا
فتبين حال الهلاك انه لم يكن بجند **المسألة الرابعة** قال من السماء
وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا ارسل اليهم جندا من الارض فما فايدة
التقييد فنقول الجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون
المراد وما انزلنا عليهم جندا بامر من السماء فيكون للعموم وثانيهما
ان العذاب ينزل عليهم من السماء فيتبين ان النازل لم يكن جندهم
وانما كان ذلك نصيحة اخمدت نارهم وخربت ديارهم **المسله الخامسة**
وما كنا منزلين اية فايدة فيه مع ان قوله وما انزلنا يستلزم ان لا يكون
من المشركين نقول قوله وما ذا اي ما كان ينبغي لنا ان ننزل لان الامر
كان يتم بدون ذلك مما انزلنا وما كنا محتاجين الى الانزال او نقول
وما انزلنا وما كنا منزلين في مثل تلك الواقعة فان قيل فكيف انزل
الله جنودا في يوم بدر وفي غير ذلك حيث قال تعالى فارسلنا عليهم
ريحا وجنودا لم تروها نقول ذلك تعظيما لمحمد صلى الله عليه وسلم
والا كان تحريك ريشة من جناح ملك كافيه في استيصالهم وما كان
رسل عيسى عليه السلم في درجة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين تعالى
ما كان بقوله ان كانت اي كانت الواقعة الا صيحة وقال الزمخشري
اصله ان كان شي الا صيحة فكان الاصل ان يذكر لكنه تعالى انث لما
بعده من المفسر وهي الصيحة وهي واحدة تاكيد لكون الامر هينا عند الله

وقوله فاذا هم اشارة الى سرعة الهلاك فان خمودهم كان مع الصيحة
وفي وتهالم يتاخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن وذلك لان الحي
فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت وكلما كانت اوفر كانت القوة الغضبية
والشهوانية اتم وهم كانوا كذلك اما الغضب فانهم كانوا قتلوا مومنا
كان ينصحهم واما الشهوة فلانهم احتملوا العذاب الدايم بسبب استيفاء
اللذات الحاليه فاذا كانوا كالنار الموقده ولانهم كانوا جبابرين مستكبرين
كالنار ومن خلق منها فقال فاذا هم خامدون وفيه وجه اخر
وهو ان العناصر الاربعة يخرج بعضها عن الطبيعة التي خلقها الله
عليها ويصير العنصر الاخر بارادة الله والاحجار يصير مياها
والمياه تصير احجارا وكذلك الما يصير هوا عند الغليان والسخونة
والهوا يصير ما عند البرد ولكن ذلك في العادة بزمان واما
الهوا يصير نارا والنار تصير هواء فالاشتعال والخمود في اسرع
زمان فقال خامدون تشبيها لخمود النار في السرعة كاطفاء سراج
او شعله ثم قال تعالى يا حسرة اي هذا وقت الحسرة
فاحضري يا حسرة والتكثير كالتكثير وفيه مسايل **الاولى** الالف
واللام في العباد يحتمل وجهين احدها للمعهود وهم الذين اخذتهم
الصيحة فيا حسرة على اولئك وثانيهما لتعريف الجنس جنس الكفار
المسلة الثانيه من المتحسر نقول فيه وجوه الاول لا يتحسر
اصلا في الحقيقة اذ المقصود بيان ان ذلك وقت طلب الحسرة حيث
تحققت الندامة عند تحقق العذاب وهاهنا بحث لغوي وهو ان
المفعول قد يترك راسا اذا كان الغرض غير متعلق به فيقال

ان فلانا يعطي ويمنع ولا يكون هناك شي معطى ولا شخص معطى اذ
المقصود ان له المنع والاعطا ورفض المفاعيل وهو قليل والوجه
فيه ما ذكرنا ان ذكر المتحسر غير مقصود وانما المقصود ان
الحسرة في ذلك الوقت الثاني ان قال قايل يا حسرة هو الله على
الاستعارة تعظيما للامر وتهويلا له وحينيذ يكون كالالفاظ التي
وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمني
او نقول ليس معنى قولنا يا حسرة او يا ندامة ان القايل متحسر او
نادم بل المعنى انه مخبر عن وقوع الندامة ولا يحتاج الى تجوز في بيان
كونه تعالى قايلا يا حسرة بل يجريه على حقيقته الا في الندا فان الندا
مجاز والاخبار الثالث المتلهفون من المسلمين والملايكة الى ما حكي
عن حبيب انه حين القتل كان يقول اللهم اهد قومي وبعد ما قتلوه
وادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون فيجوز ان يتحسر المسلم للكافر
ويتندم له وعليه **المسئلة الثالثه** قرى يا حسرة على العباد بالهاء
اجرا الوصل مجرى الوقف **المسلة الرابعة** من المراد بالعباد
نقول فيه وجوه احدها الرسل الثلاثه كان الكافرين يقولون
عند ظهور الناس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا حاضرين وقيل ايمانا
ليومن بهم باسهام قوم حبيب قالها كل من كفر واصروا واستكبروا
على الاول فاطلاق العباد على المومنين كما في قوله عز وجل ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقوله يا عبادي الذين اسرفوا وعلى الثاني
فاطلاق العباد على الكفار وفرق بين العبد مطلقا وبين العبد المضاف
الى الله فان الاضافة الى الشريف تكسوا المضاف شرفا تقول بيت الله

فيكون فيه من الشرف ما لا يكون في قولك البيت وعلى هذا فقوله
تعالى وعباد الرحمن من قبل وقوله تعالى ان عبادي وكذلك
عباد الله ثم بين الله تعالى سبب الحسرة بقوله ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن وهذا سبب الندامة وذلك لان من جاءه
ملك في باديه وعرفه نفسه وطلب منه امرا هينا فلم يجبه
الى ما دعاه ثم وقف بين يديه وهو على سرير ملكه فعرفه انه
ذلك يكون عنده من الندامة ما لا مزيد عليه فكذلك الرسل هم
ملوك واعظم منهم فاعزا الله اياهم وجعلهم نوابه كما قال
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وجاوا وعرفوا انفسهم ولم يكن
لهم عظمة ظاهرة في الحس ثم يوم القيامة او عند ظهور الناس
ظهرت عظمتهم عند الله لهم وكان ما يدعون اليه امرا هينا ينفعه عايد
اليهم من عبادة الله وما كان يسلون عنه اجرا فعند ذلك تكون الندامة
الشديدة وكيف يتبعوا بالاعراض حتى ادوا واستهزؤا واسحعوا واستهانوا
وقوله ما ياتيهم الضمير يجوز ان يكون عايدا الى قوم حبيب اي ما ياتيهم
من رسول من الرسل الثلاثة الا كانوا به يستهزؤن على قولنا الحسرة
عليهم ويجوز ان يكون عايدا الى الكفار المصرين ثم ان الله لما بين حال
الاولين قال للحاضرين الم يروا كم اهلكنا اي الباقون لا يرون ما جرى
على من تقدمهم ويحتمل ان يقال ان الذين قيل في حقهم يا حسرة هم الذين
قال في حقهم الم يروا ومعناه ان كل مهلك تقدمه قوم كذبوا واهلكوا
الى قوم نوح وقبله وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل في المعنى عن قوله
كم اهلكنا وذلك لان معنى كم اهلكنا الم يروا كثرة اهلاكنا وفيه

معنى الم يروا المهلكين الكثيرين انهم اليهم لا يرجعون وحينيذ يكون
كبدل الاشتمال لان قوله انهم اليهم لا يرجعون حال من احوال المهلكين
اي اهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم فيصير كقوله الا ترى زيدا ادبه وعلى
هذا فقوله انهم اليهم لا يرجعون فيه وجهان احدهما اهلكوا اهلاكا
لا رجوع لهم الى الدنيا وثانيهما وهو انهم لا يرجعون اليهم اي الباقون
لا يرجعون الى المهلكين نسب ولا ولادة يعني اهلكناهم وقطعنا
نسلهم ولا شك في ان الاهلاك الذي يكون مع قطع النسل اتم واعم
والوجه الاول اشهر نقلا واظهر عقلا ثم قال تعالى
وان كل لما جميع لدينا محضرون لما بين الاهلاك بين انه ليس من اهلكه
تركه بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك
لكان الموت راحة ونعم ما قال القايل شعر

فلو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شي

وقوله وان كل لما في ان وجهان احدهما مخففة من المثقلة واللام في
لما فارقة بينها وبين النافية وما زايدة موكدة في المعنى والقراء وجد
التخفيف في ما وثانيهما انها نافية ولما بمعنى الا قال سيبويه يقال
نشدتك الله لما فعلت بمعنى الا فعلت والقراءة حينيذ التشديد فيما
ويويد هذا ما روي ان ابيا قرا وما كل الا جميع وفي قول سيبويه لما
بمعنى الا وزاد معنى مناسب وهو ان لما كانها حرفا نفي جمعا وهما لم
وما ما كدا معنى ولهذا يقال في جواب من قال قد فعل لما يفعل وفي
جواب من قال فعل لم يفعل كانها حرفا نفي ان ولا لتعمل احدهما مكان

الاخر قال الزمخشري ان قال قايل كل وجميع بمعنى واحد فكيف
جعل جميعًا جزآ للكل حيث دخلت اللام عليه اذا لتقدير وان كل
لجميع نقول معنى جميع مجموع ومعنى كل كل فرد بحيث لا يخرج عن
الحكم احد فصار المعنى كل فرد مجموع مع الاخر مضموم اليه
ويمكن ان يقال محضرون بمعنى عما ذكره وذلك لانه لو قال
وان جميع محضرون بمعنى عما ذكره لكان كلامًا صحيحًا ولم يوجد
ما ذكره من الجواب بل الصحيح ان محضرون كالصفة للجميع
وكانه قال جميع جمع محضرون كما يقال الرجل رجل عالم والنبي
من مرسل والواو في وان كل لعطف الحكاية على الحكاية كانه
يقول يثبت لك ما وكذب واثبت ان كلا لدينا محضرون وكذلك
الواو في وآية لهم الارض الميتة وفيه مسايل **الاولى**
ما وجه تعلق هذا بما قبله نقول مناسب لما قبله من
وجهين احدهما انه لما قال وان كل لما جميع كان ذلك اشارة
الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا لانكارهم واستكبارهم
واصرارهم وعنادهم فقال وآية لهم الارض الميتة احييناها
كذلك يحيى الموتى وثانيهما انه لما ذكر حال المرسلين واهلاك
المكذبين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه وبدا بالارض
بكونها مكانهم لا مفارقة لهم منها عند الحركة والسكون **المسلة**
الثانية الارض اية مطلقا فلم خصصها بهم حيث قال واية لهم نقول
الاية تعدد سرد لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه واما من عرف الشي
بطريق الروية لا يذكر له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله

المخلصين عرفوا الله قبل الارض والسما فليست الارض معرفة لهم
وهذا كما قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم وقال اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد يعني
انت كفاك الله بعرفانه عرفت كل شيء فهو شهيد لك على كل شي
واما هولا يتبين لهم الحق بالافاق والايتين وكذلك ههنا
اية لهم **المسلة الثالثة** ان قلنا ان الاية مذكورة للاستدلال
على جواز احياء الموتى فيكفي فيه احييناها ولا حاجة الى قوله
واخرجنا منها حبًا وغير ذلك وان قلنا انها للاستدلال على وجود
الاله ووحدته فلا فايدة في قوله الارض الميتة احييناها لان
نفس الارض دليل ظاهر وبرهان باهر ثم هب انها غير كافية
فقوله الميتة احييناها فما فايدة قوله واخرجنا منها حبًا نقول
هي مذكورة للاستدلال عليهما ولكل ما ذكر الله فايدة اما قوله
واخرجنا منها فله فايدة بالنسبة الى بيان احيا الموتى وذلك
لانه لما احيا الارض واخرج منها حبًا كان ذلك احيا تامًا لان
الارض المخضرة التي لا تنبت الزرع ولا تخرج الحب دون ما تنبته
في الحيوة فكانه قال تعالى الذي احيا الارض احيًا كاملًا
منبتًا للزرع يحيى الموتى احيًا كاملًا بحيث تدرك الامور واما بالنسبة
الى التوحيد فلان فيه تعدد النعم كانه يقول لهم الارض وكانها مكانهم
ومهدهم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عند
وجودهم وامكانهم وسوا كانت ميتة او لم تكن فهي مكان لهم لابد لهم منها
هي نعمة ثم احياها بحيث تخضر نعمة ثانية فانها تصير احسن وانزه ثم اخراج

الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم بصير مكانهم وكان يمكن ان يجعل الله
رزقهم في السماء واما الهوا فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الحباب
فيها نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة واما الاشجار
حيث يوجد منه الثمار فيكون بعد الحب وجودهم يحرفها العيون
يحصل لهم الاعتماد بالحصول ولو كان ما هامن السماء يحصل ولكن
لم يعلم انها اين يغرس واين يقع المطر وينزل القطر

المسلة الثانية الضمير في قوله عز وجل من ثمره عايد الى اي شي
نقول المشهور انه عايد الى الله اي لياكلوا من ثمر الله وفيه لطيفه
وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار لم يوجد الا بالله
ولولا خلق الله ذلك لم يوجد فالثمرة بعد جميع ما يظن الظان انه سبب
وجوده ليس الا بالله وارادته فهي ثمره ويحتمل ان يعود الى النخيل وترك
الاعناب لحصول العلم فانها في حكم النخيل ويحتمل ان يكون راجع الى
المذكور اي من ثمر ما ذكرنا وهاذان الوجهان نقلهما الزمخشري
ويحتمل وجها اغرب واقرب وهو ان يقال المراد من الثمر الفوايد يقال
ثمرة

ثمرة التجارة الربح ويقال ثمرة العباده الثواب وحينيذ الضمير عايد
الى التفجير المدلول عليه بقوله وفجرنا كانه قال وفجرنا فيها من العيون
تفجيرا لياكلوا من فوايد ذلك التفجير وفوايده اكثر من الثمار بل يدخل فيها
ما قال الله تعالى انا صببنا الماء صبا الى ان قال فاخرجنا فانبتنا فيها
حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا التفجير اقرب
في الذكر من النخيل ولو كان عايدا الى الله تعالى من ثمرنا كما قال وجعلنا
وفجرنا المسلة الثالثه ما في قوله وما عملته ايديهم من اي المات هي
نقول فيها وجوه احدها نافيه كانه قال وما عملت التفجير ايديهم
بل الله فجر وثانيها انها موصوله بمعنى الذي كانه قال والذي عملته
ايديهم من الغراس بعد التفجر ياكلون منه ايضا وياكلون من ثمر الله
الذي اخرجها من غير سعي من الناس فعطف الذي عملته الايدي
على ما خلقه الله من غير مدخل الانسان فيه وثالثها هي مصدريه على
قراة من قرا وما عملت من غير ضمير عايد معناه لياكلوا ثمره وعمل
ايديهم يعني يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها فياكلون مجموع عمل
ايديهم وخلق الله الوجه لا يمكن على قراة من قرا مع الضمير المسله
الرابعة على قولنا ما موصوله يحتمل ان يكون وما عملته اي بالتجارة
كانه ذكر نوعي ما ياكل الانسان به وهما الزراعة والتجارة ومن النبات
ما يوكل من غير عمل الايدي كالعنب والتمر وغيرهما ومنه ما يعمل فيه
عمل موكل كالاشيا التي لا توكل الا مطبوخا كالزيتون الذي لا يوكل الا
بعد اصلاح ثم لما عدد النعم اشار الى الشكر بقوله افلا يشكرون
وذكره بصيغة الاستفهام لما بينا من فوايد الاستفهام فيما تقدم ،،

ثم قال تعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض وقد
ذكرنا ان لفظة سبحان علم دال على التسبيح وتقديره سبح تسبيح الذي
خلق الازواج ومعنى سبح نزه ووجه تعلق الاية بما قبلها هو انه تعالى
لما قال افلا تشكرون وشكر الله بالعبادة وهم تركوها ولم يقنعوا
بالترك بل عبدوا غيره واتوا بالشرك فقال سبحان الذى خلق الازواج كلها
وغيره لم يخلق شيا او يقول لما بين انهم انكروا الايات ولم يشكروا بين
ما ينبغي ان يكون عليه العاقل فقال سبحان الذى خلق الازواج او نقول
لما بين الايات قال سبحان الذي خلق ما ذكره عن ان يكون له شريك او
يكون عاجزا عن احياء الموتى وفيه مسايل الاولى قوله كلها يدل
على افعال العباد مخلوقة لله لان الزوج هو الصنف وافعال العباد ان
اصناف ولها اشباه وهى واقعة تحت اجناس الاعراض فيكون الكل
الذي قال الله فيها انه خلق الازواج كلها لا يقال مما تنبت الارض
يخرج الكلام عن العموم لان من قال اعطيت زيدا كل ما كان لي
يكون للعموم ان اقتصر عليه فاذا قال بعده من الثياب لا يبقى الكلام
على عمومه لانا نقول ذلك اذا كان من باب التخصيص اما اذا كان
لتاكيد العموم فلا بدليل ان من قال اعطيته كل شيء من الدواب
والثياب والعبيد والجواري يفهم منه انه يعدد الاصناف لتاكيد العموم
ويويد هذا قوله تعالى في حم الذى خلق الازواج كلها وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون من غير تقييد الثانية ذكر الله
تعالى امورا لله تحصر فيها المخلوقات بقوله مما تنبت الارض يدخل فيه ما
في الارض من الامور الظاهرة كالنبات والثمار وقوله ومن انفسهم
يدخل

يدخل فيها الدلايل النفيسة وقوله ومما لا يعلمون يدخل ما في اقطار السموات
وتخوم الارض وهذا دليل على انه لم يذكر ذلك للتخصيص بدليل ان الانعام
مما خلقها الله والمعادن ولم يذكرها وانما ذكر الاشيا لتاكيد معنى العموم
كما ذكرنا في المثال الثالثة قوله ومما لا يعلمون فيه معنى لطيف
وهو انه تعالى انما ذكر كون الكل مخلوقا لينزه الله عن الشرك فان
المخلوقات لا يصلح شريكا للخالق لكن التوحيد الحقيقي لا يحصل الا بالاعتراف
بان لا اله الا الله اعلموا ان المانع من التشريك مما تعلمون ومما لا تعلمون
لان الخلق عام والمانع من الشركة الخلق ولا تشركوا بالله مما تعلمون فانكم
تعلمون انه مخلوق ومما لا تعلمون كان ما عدا الله كله مخلوق
لكونه كله ممكنا ثم قال تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار
لما استدل الله باحوال الارض وهي المكان الكلي استدل بالليل والنهار
وهو الزمان الكلي دلالة المكان والزمان مناسبة لان المكان لا تستغني
عنه الجواهر والزمان لا تستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في
زمان ومثله تركيبه في قوله تعالى ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر
ثم قال بعده ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت حيث استدل بالزمان والمكان هناك ايضا لكن المقصود
اولا هناك اثبات الوحدانية بدليل قوله تعالى ان الذى احياها لمحي الموتى
وههنا المقصود اولا اثبات الحشر لان السورة سورة فيها ذكر التوحيد
اكثر بدليل قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى
غيره واخر سورتين تبين الامر فيه مسايل الاولى المكان يرفع
عن اهل السنة شبه الفلاسفة والزمان يدفع عنهم شبه المشبهة

امابيان الاول وذلك لان الفلسفي يقول لوكان عدم العالم قبل وجوده
لكان عند فرض وجود عدم قبل وقبل وبعد لا يحقق الا بالزمان فقبل
العالم زمان والزمان من جملة العالم فيلزم وجوده الى عند عدمه وهو
محال يقول لهم قد وافقتمونا على ان الامكنة متناهيه لان الابعاد متناهيه
بالاتفاق فاذن فوق السطح الاعلى من العالم يكون عدم وهو موصوف
بالفوقية وفوق وتحت لا يحقق الا بالمكان ففوق العالم مكان
والمكان من العالم فيلزم وجود الشي من عدمه فان اجابوا بان فوق السطح
الاعلى لا خلا ولا ملا نقول قبل وجود العالم لا ان ولا زمان موجود عنده
واما بيان الثاني فلان المشبهي يقول لا يمكن وجود موجود لا في مكان
فالله في مكان فيلزمكم ان يقولوا الله في زمان لان الوهم كما لا يمكنه ان
يقول هو موجود ولا مكان لا يمكنه ان يقول هو موجودا ولا زمان
فهو حادث وقد اجمعنا على ان الله قديم **المسالة الثانية** لو قال
قايل اذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل حيث
قال وايه لهم الليل يقول لما استدل بالمكان الذي هو المظلم وهو
الارض وقال وايه لهم الارض استدل بالزمان الذي فيه الظلمه وهو
الليل ووجه اخر وهو ان الليل فيه سكون الناس وفيه النوم وهو كالموت
ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ في الصور يحرك الناس فذكر الموت
كما قال تعالى وايه لهم الارض الميته فذكر من الزمانين اشبههما بالموت
كما ذكر من المكانين اشبههما بالموت **المسالة الثالثه**
ما معنى سلخ النهار من الليل نقول معناه تميز عنه تعالى سلخ النهار
من الليل اذا اتى اخر النهار ودخل اول الليل وسلخه الله منه
ما

ما سلخه هو منه واما اذا بغير كلمة من قيل سلخت النهار والنهر
بمعناه دخلت في اخره فان قيل فالليل في نفسه ايه فايه حاجه الى
قوله نسلخ منه النهار نقول الشي تتبين بضده منافعه ومحاسنه
ولهذا لم يجعل الله الليل وحده ايه في موضع من المواضع الا وذكر ايه
النهار معها وقوله فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام واذا
للمفاجاه اي ليس بيدهم بعد ذلك امر ولا بد لهم من الدخول
فيه وقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
يحتمل ان يكون الواو للعطف على الليل تقديره وايه لهم الليل نسلخ
والشمس تجري والقمر قدرنا فهي كلها ايه وقوله والشمس تجري
اشارة الى سبب سلخ النهار فانها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب
فينسلخ النهار وفايده ذكر السبب هو ان الله لما قال نسلخ منه
النهار كان غير بعيد من الجهال ان يقول قايل منهم سلخ النهار ليس من
الله انما ينسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى والشمس تجري
لمستقر لها بامر الله فتغرب الشمس سالخ النهار فبذكر السبب
تتبين صحة الدعوي ويحتمل ان يقال بان قوله والشمس تجري لمستقر
لها اشاره الى نعمة النهار بعد الليل كانه تعالى لما قال وايه لهم
الليل نسلخ منه النهار ذكر ان الشمس تجري فتطلع عند انقضاء الليل
فيعود النهار بمنافعه وقوله لمستقر اللام يحتمل ان يكون للوقت
كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن ووجه استعمال اللام للوقت هو ان اللام المكسوره في
الاسما لتحقيق معنى الاضافه بالمضاف اليه كما في قوله دار زيد لكن

الفعل يعرف بسببه فوجب ان يعرف بسببه تعالى اتجر للربح واشترى
للاكل واعلم ان اللام يستعمل للتعليل ويقول وقت الشئ بشبيه سبب
الشئ لان الوقت ياتي بالامر الكاين فيه والامور متعلقة باوقاتها
تعالى خرج لعشر من كذا واقم الصلوة لدلوك الشمس لان الوقت معرف
كالسبب وعلى هذا معناه تجرى الشمس وقت استقرارها اى كلما استقر
زمانا امرنا جرى تجرى ويحتمل ان يكون بمعنى الي اى الى مستقرها
وتقديره هو ان اللام تذكر للوقت والوقت طرفان ابتدا وانتها
تقال سرت من يوم الجمعة الى يوم الخميس فجاز استعمال ما يستعمل
فيه في احد طرفيه لما بينهما من الاتصال ويويد هذا قراة من قرا
والشمس تجرى الى مستقرلها وعلى هذا ومن ذلك المستقر وجوه
الاول يوم القيامة وعند يستقر ولا يبقى لها حركة الثاني لسنة
الثالث الليل اى تجرى الى الليل الرابع ان ذلك المستقر ليس بالنسبة
الى الزمان بل هو للمكان وحينئذ ففيه وجوه الاول هو غاية
ارتفاعها في الصيف وغاية انخفاضها في الشتا اى تجرى الى ان تبلغ
ذلك الموضع فترجع الثاني هو غاية مشارقها فان في كل يوم لها مشرق
الى ستة اشهر ثم تعود على تلك المقنطرات وهذا هو القول الذي تقدم
في الارتفاع فان اختلاف المشارق بسبب اختلاف الارتفاع الثالث
هو وصولها الى بيتها في الاسد الرابع هو الداير التي عليها حركتها حيث
لا تميل عن منطقة البروج على مرور البروج وسنذكرها ويحتمل ان يقال
المستقر لها اى تجرى مستقرها فان اصحاب الهيئة قالوا الشمس في فلك
والفلك يدور فيدور الشمس فالشمس تجرى مجرى مستقرها وقالت

الفلاسفة تجرى لمستقرها اي لامر لو وجدها لاستقر وهو استخراج
الاوضاع الممكنة وهي في غاية السقوط واجاب الله عنه بقوله
ذلك تقدير العزيز العليم اى ليس لارادتها وانما ذلك بارادة الله
وتقديره وتسييره اياها وتدويره فان قيل عددت الوجوه الكثيرة
وما ذكرت المختار فما الوجه المختار عندك فنقول المختار هو ان
المراد من المستقر المكان اي تجرى لمكان لبلوغ مستقرلها وهو غاية
الارتفاع والانخفاض فان ذلك يشمل المشارق والمغارب والمر
الذي لا يختلف والزمان وهو السنة والليل فهو اتم فاين وقوله
ذلك اشاره الى جرى الشمس اى ذلك الجرى تقدير الله ويحتمل ان
يكون اشارة الى المستقر اى يستقر لها ذلك المستقر ذلك تقدير
الله والعزيز الغالب وهو بكمال القدرة يغلب والعليم كامل العلم
اي قدر على اجراها على الوجه الانفع وعلم الانفع فاجراها على ذلك
وبيانه من وجوه الاول هو ان الشمس تمر على مسامته شئ لم تمر من
امسها على تلك المسامته ولو قدر الله مرورها على سامته واحدة
لاحرقت الارض التي سامتها لمرها وبقي المجمود مستولنا على الاماكن
الاخر فقدر الله لها بعدا لتجميع الرطوبات لتخرج النبات والثمار من
الارض والشجر وتنضج وتجف ثم تبعد لئلا تحترق وجه الارض
واغصان الاشجار الثاني هو ان الله تعالي قدر لها في كل يوم
طلوعا وفي كل ليله غروبا لئلا تكل القوى والابصار بالسهر
والتعب ولا تخرب العالم بترك العمارة لسبب الظلمة الدايمة الثالث
جعل سيرها ابطا من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة النور

ولو كان بطى السير لدام زمانا كثيرا فى مسافته شى واحد فحرفه ولو
كان سريع السير لما حصل لها لبث بقدر ما تنضج الثمار فى بقعة واحدة
ثم قال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى قال الزمخشرى
لابد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام لان القمر لم يجعل نفسه منازل
فالمعنى اذا قدرنا مسيره منازل وعلى ما ذكره يحتمل ان يقال المراد منه
والقمر قدرناه ذا منازل لان ذا الشى منازل قريب من الشى ولهذا
جاز قول القايل عيشة راضية لان ذا الشى كالقايم به للشى فاتوا
بلفظ الوصف وقوله حتى عاد كالعرجون القديم اى رجع فى الدقة
الى حالته التى كان عليها من قبل والعرجون من الانعراج يقال العود
العذق عرجون والقديم المتقادم الزمان قيل بان ما عبر عليه
سنة فهو قديم والصحيح ان مدة بعينها لا تشترط فى جواز اطلاق
القديم عليه وانما تعتبر العادة حتى لا يقال لمدينة بنيت من سنة
وسنتين لبنائها قديم او هى مدينة قديمة ويقال لبعض الاشياء انه
قديم وان لم يكن له سنة ولهذا جاز ان يقال ترتيب قديم وان لم يجز
ان يقال فى العالم انه قديم لان القدم فى البيت البنائيت بحكم تقادم
العهد ومرور والله اعلم ثم قال تعالى لا الشمس ينبغى لها
ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اشارة الى ان كل شى من الاشيا
المذكورة خلقها على وفق الحكمة والشمس لم يكن يصلح لها سرعة الحركة
بحيث تدرك القمر والا لكان فى شهر واحد صيف وشتا ولا تدرك
الثمار وقوله ولا الليل سابق النهار وقيل فى تفسيره لان سلطان
الليل وهو القمر ليس يسبق الشمس وهو سلطان النهار وقيل معناه ولا
الليل

الليل سابق النهار اى الليل لا يدخل وقت النهار والثانى بعيد لان ذلك
يقع ايضا ظاهرا لواضح والاصح ان اريد به ماهيته وهو ان معنى قوله تعالى
ولا الليل سابق النهار ان القمر اذا كان على افق المشرق ايام الاستقبال
يكون الشمس فى مقابلته على افق المغرب ثم عند غروب الشمس يطلع
القمر وعند طلوعها يغرب القمر كان لهما حركة واحدة مع ان الشمس
متاخر عن القمر فى كل ليلة مقدارا ظاهرا فى الحس فلو كان القمر حركة
واحدة بها يسبق الشمس ولا يدركه الشمس والشمس حركة واحدة بها
يتاخر عن القمر ولا يدرك القمر لبقى القمر والشمس مدة مديدة فى مكان
واحد لان حركة الشمس كل يوم درجة فخلق الله فى جميع الكواكب
حركة اخرى غير حركة الشمس والسنة وهى الدورة اليومية وبهذه
الدورة لا يسبق كوكب كوكبا اصلا لان كل كوكب من الكواكب اذا
طلع عرف مقابله وكلما تقدم كوكب الى الموضع الذى فيه الكواكب
الاخر بالنسبة الينا تقدم ذلك الكوكب فبهذه الحركة لا يسبق
القمر الشمس فتبين ان سلطان الليل القمر لا يسبق سلطان النهار
فالمراد من الليل القمر ومن النهار الشمس فقوله لا الشمس ينبغى لها اشارة
الى حركتها البطيئة التى تتم الدور فى سنة وقوله ولا الليل سابق
اشارة الى حركتها اليومية التى بها يعود من المشرق الى المشرق مرة
اخرى فى يوم وليلة وعلى هذا فيه مسايل الاولى ما الحكمة
فى اطلاق الليل وارادة سلطانه وهو القمر وماذا يكون لو قال ولا القمر
سابق الليل ما كان يفهم ان الاشارة الى الحركة اليومية وكان يتوهم
التناقض فان الشمس اذا كان لا تدرك القمر فالقمر اسرع ظاهرا فاذا قال

ولا القمر سابق يظن ان القمر لا يسبق فليس باسرع فقال الليل والنهار ليعلم
ان الاشارة الى الحركة التي بها يتم الدوره في مدة يوم وليله ويكون
لجميع الكواكب عليها طلوع وغروب في الليل والنهار **الثانيه** اولاء
ما الفايدة في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك بصيغة اسم الفاعل
ولم يقل ولا الليل يسبق ولا قال لا تدركه القمر نقول الحركة الاولى
التي للشمس ولا تدرك لها القمر مختصة بالشمس فجعلها كالصادره منها وذكر
بصيغة الفعل وصيغة الفاعل لا تطلق على من لا يصدر منه الفعل الحاله
والحركة الثانيه ليست مختصة بكوكب من الكواكب بل الكل فيها مشتركة
بسبب حركة فلك ليس كذلك كالكواكب من الكواكب فالحركة ليست
كالصادرة منه فاطلق اسم الفاعل لانه لا يستلزم صدور الفعل ولان
خياط وان لم يكن يخيط فان قيل قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه
حثيثا يدل على خلاف ما ذكرتم لان النهار اذا كان يطلب الليل فالليل
سابقه وقلتم ان قوله ولا الليل سابق النهار معناه ما ذكرتم فيكون
الليل سابقا ولا يكون سابقا نقول قد ذكرنا ان المراد هاهنا سلطان
الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد
من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الاخر بالحركة
فكانه طالبه فان قيل قد ذكرها هنا سابق النهار وقال هناك يطلبه
ولم يقل طالبه نقول ذلك لما بينا من ان المراد في هذه الحركة كانها لا حركة
لها ولا تسبق ولا من شانها انها سابقه والمراد هناك انها نفس الليل والنهار
وهما زمانان والزمان لا قرار له فهو يطلب حثيثا لصدور المقتضى منه ٥
وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون تقرر ما ذكرنا اى للكل طلوع وغروب
في

في يوم وليلة لا يسبق بعضها بعضا بالنسبة الى هذه الحركة ولكل حركة
في فلك تخصه وفيه مسايل الاولى التنوين في قوله كل عوض
عن الاضافة معناه كل واحد واسقاط التنوين للاضافة حتى لا تجمع التعريف
والتنكير في شيء واحد فلما اسقط المضاف اليه لفظا رد التنوين
عليه لفظا وفي المعنى معرف بالاضافة فان قيل فهل يختلف الامر
عند الاضافة لفظا وتركها نقول نعم وذلك لان قول القايل كل واحد
من الناس كذا لا يذهب الفهم الى غيرهم مفيد اقتصار الفهم عليه
فاذا قال كل كذا يدخل في الفهم عموم اكثر من العموم عند الاضافة
وهكذا كما قيل وبعد اذا قلت افعل قبل كذا فاذا حذفت المضاف
وقلت افعل قبل اذا دنهم الفعل قبل كل شيء فان قيل فهل بين
قولنا كل منهم وبين كلهم وبين كل فرق نقول نعم عند قولك كل منهم
يثبت الامر للاقتصار عليهم وعند قولك كل منهم يثبت الامر للعموم اولاء
ثم استدركت بالتخصيص فقلت منهم وعند قولك كل يثبت الامر
على العموم وترك عليه **المسئلة الثانية** اذا كان معنى
كل واحد منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون نقول
الجواب عنه من وجوه احدها ما بينا ان قوله كل للعموم فكانه اخبر
عن كل كوكب في السماء وثانيها لفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الى كونه
لفظا موحدا غير مثنى ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما
التثنيه فلا يدل عليه اللفظ ولا المعنى فعلى هذا يحسن ان يقول القايل
زيد وعمرو كل جاء او كل جاؤا ولا يقول كل جا بالتثنية ثانيها لما قال
ولا الليل سابق النهار فالمراد ما في الليل من الكواكب قال يسبحون ٥

المسئلة الثالثة الفلك ماذا نقول الجسم المستدير او
السطح المستدير او الدايره لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل
سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة
المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة وهي
صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون السما مستديرة وقد اتفق
اكثر المفسرين على ان السما مبسوطة لها اطواق على حال وهي كالسقف
المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع نقول ليس
في النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السما مبسوطة غير مستديرة
والدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه اما الاول دل
فظاهر لان السقف المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك كونها
على جبال واما الدليل الحسي فوجوه احدها ان من امعن في السير في
جانب الجنوب يظهر له كوكب مثل سهيل وغيره ظهورا ابديا حتى ان
من رصد يراه دايما ويخفى عنه بنات نعش وغيرها خفا ابديا ولو
كان السما سطحا مستويا لبان الكل للكل بخلاف ما اذا كان مستديرا
فان بعضه حد ليس باطراف الارض ولا يرى الثاني هو ان الشمس اذا
كانت مفارقة للحمل مثلا فاذا غربت ظهر لنا كوكب في منطقة البروج
من الحمل الى الميزان ثم في كل قليل يستتر الكوكب الذي كان غروبه
بعد غروب الشمس ويظهر الكوكب الذي كان طلوعه بعد طلوع
الشمس وبالعكس وهو دليل ظاهر وان بحث فيه يصير قطعيا الثالث
هو ان الشمس قبل طلوعها وبعد غروبها يظهر ضوها ويستنير الجو
بعض الاستنارة ثم يطلع ولولا ان بعض السماء مستتر بالارض وهو

محل الشمس فلا يرى جرمها وينتشر نورها والا لما كان كذا بل كان
عند اعادتها الى السماء يظهر لكل احد جرمها ونورها معا لكون
الشمس مستويه وحينيذ مكشوفه كلها لكل احد الرابع القمر
اذا انكسف في ساعة من الليل في جانب الشرق ثم سيل ان الغرب
عن وقت الخسوف واخبروا عن الخسوف في ساعة اخرى قبل
تلك الساعة التي راي اهل الشرق فيها الخسوف لكن الخسوف
في وقت واحد في جميع نواحي العالم والليل مختلف فدل على ان
الليل في جانب الشرق قبل الليل في جانب الغرب فالشمس غربت
من عند اهل الشرق وهي بعد في السماء ظاهرة لاهل الغرب
نعلم ان استتارها بالارض ولو كانت مستوية لما كان كذلك
الخامس لو كان السما مستوية لكان القمر عندما يكون فوق
السماء على رووسنا على المسامتة اقرب الينا وعندما يكون على الافق
ابعد منا لان العمود من القطر والوتر وكذلك في الشمس والكواكب
وكان يحادس ري اكبر لان القريب يرى اكبر وليس كذلك فان
قيل جاز ان يكون وهو على الافق على سطح السماء وعندما
يكون على مسامتة رووسنا في خسن السما عابر امنها لان الخرق جايز
على السماء نقول لا ننازع في جواز الخرق لكن القمر حينيذ يكون حركته
في دايرة الا على خط مستقيم وهو غرضنا ولانا نقول لو كان كذلك
لكان القمر عند اهل الشرق وهو منتصف نهارهم اكثر مقدارا لكونه
قريبا من رووسهم ضرورة فرضه على سطح السماء الادنا وعندنا في خرق السما
وبالجملة الدلايل كثيره الا كان منها يليق بكتب الالهيه التي الغرض

منها بيان ذلك العلم وليس الغرض في التفسير بيان ذلك غير ان القدر
الذي اوردناه يكفي في بيان كونه فلكا مستديرا **المسئلة**
الرابعة هذا يدل على ان لكل كوكب فلكا فاقول لك فيه نقول
اما السبعة السيارة فلكل فلك واما الكواكب الاخر فقيل لكل
فلك واحد ولنذكر كلاما مختصرا في هذا الباب من الهيئة
حيث وجب الشروع بسبب تفسير الفلك فنقول قيل ان للقمر
فلكا لان حركته من حركة السنة التامة وكذلك لكل فلك كوكب
لاختلاف سيرها بالسرعة والبطوء والمر فان بعضها يمر في داير
وبعضها في داير اخرى حتى في بعض الاوقات يمر بعضها ببعض
ولا تكسفه وفي بعض الاوقات تكسفه فلكل كوكب فلك ثم ان
اهل الهيئة قالوا فلكل فلك هو جسم كرة وذلك غير لازم بل اللازم
ان نقول لكل فلك هو كرة او صفحة او دايرة يجعلها الكوكب
بحركته والله تعالى قادر على ان يخلق الكوكب في كرة يكون وجوده
فيه كوجود مسمار معرق في حركة مجوفة ويدير الكرة فتدور
الكوكب بدوران الكوكب وعلى مذهب ارباب الهيئة حركة الكواكب
السيارة على هذا الوجه وكذلك قادر على ان يخلق حلقة يحيط بها
اربعة سطوح متوازية ساماها اربع دواير متوازية كحجر الرحا
اذا قورناه واخرجنا من وسطه طاحونة من طواحن اليد وبقي منها
حلقة يحيط بها سطوح ودواير كما ذكرنا ويكون الكوكب فيه
وهو فلكه فيدور تلك الحلقة ويدور الكوكب والحركة على هذا
الوجه وان كانت مقدورة لكن لم يذهب اليه احد ممن يعتبر

وكذلك قادر على ان يجعل الكوكب بحيث يشق السما فيجعل دايرته
متوهمة كما لو فرضت سمكة في الما على وجهه وينزل من جانب
ويصعد الى موضعه من الجانب الاخر على استدارة وهذا هو
المفهوم من قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والظاهر ان حركة
الكوكب على هذا الوجه وارباب الهيئة انكروا ذلك وقالوا
لا يجوز الحركة على هذا الوجه لان الكوكب جرم فاذا شق السما
وتحرك فاما ان يكون موضع دورانه ينشق ويلتئم كالما تحركه
السمكة ولا ينشق ولا يلتئم بل هناك خلا يدور الكوكب فيه لكن
الخلا محال والسما لا يقبل الشق والالتيام وهذا اما اعتمدوا
عليه ونحن نقول كلاهما جايز اما الخلا فلا نحتاج اليه ها هنا لان
قوله تعالى يسبحون يفهم منه انه يشق والالتيام فلا دليل لهم عليه
وشبههم في المحدد الجهات وهي هناك ضعيفة ثم انهم قالوا على
ما بينا بخرج الحركات وبه علمنا الكسوفات ولو كان لها حركات
مختلفة لما وجب الكسوف في الوقت الذي يحكم فيه بالكسوف
والخسوف وذلك لانا نقول للشمس فلكان احدهما مركزه
مركز العالم وثانيهما مركزه فوق مركز العالم وهو مثل بياض
البيض من صفرته وبين السمو والشمس كرة في الفلك الخارج
المركز يدور بدورانه في السنة مرة فاذا حصلت في الجانب
الاعلى تكون بعيدة عن الارض فيقال انها في الاوج واذا حصلت
في الجانب الاسفل تكون قريبة من الارض فيكون في الحضيض
واما القمر فله فلك شامل لجميع اجزايه واثلاكه فلك احر

هو بعض من الفلك الاول محيط به كالقشرة الفوقانية من البصله
وفلك ثالث في الفلك التحتاني كما ان الفلك الخارج المركز في فلك
الشمس وفي الفلك الخارج المركز كره مثل جرم الشمس وفي الكره الجرم
مركوز كمسمار في كره معرف فيها ويسمى الفلك الفوقاني الجوزهر والخارج زهره
المركز الفلك الحامل والفلك التحتاني الفلك المايل والكره التي
في الحامل سمي فلك التدوير وكذلك قالوا في الكواكب الخمسة من
السيارات غير ان الفلك الفوقاني الذي سموه الجوزهر لم يثبتوا لها
فاثبتوا اربعه وعشرين فلكا الفلك الاعلى فلك البروج ولزحل
ثلاثه افلاك الممثل والحامل وفلك التدوير وللمشتري ثلاثه
كما لزحل وللمريخ كذلك ثلاثه وللشمس فلكان الممثل والخارج
المركز وللزهره ثلاثه افلاك كما للعلويات ولعطارد اربعة
افلاك الثلاثه التي ذكرنا في العلويات وفلك اخر يسمونه المدير
وللقمر اربعة افلاك والرابع يسمونه فلك الجوزهر والمدير ليس
كالجوزهر لان المدير غير محيط بافلاك عطارد وفلك الجوزهر
محيط ومنهم من زاد في الخمسة في كل فلك فلكين اخرين وجعل تدويراتها
مركبة من ثلاثه افلاك وقالوا بان سبب هذه الاجرام تخلف حركات
الكواكب ويكون لها عروض ورجوع واستقامة وبطوء وسرعة
هذا كلام على سبيل الاقتصاص والاقتصار ونحن نقول لا يبعد من قدرته
الله خلق مثل ذلك واما على سبيل الوجوب فلا نسلم ورجوعها واستقامتها
بارادة الله وكذلك عرضها وطولها وبطوءها وسرعتها وبعدها هذا
تمام الكلام **المسألة الخامسة** قال المنجمون الكواكب

احيا بدليل قوله تعالى قوله تعالى يسبحون وذلك لا يطلق الا
على العاقل نقول ان اردتم القدر الذي يصح منها التسبيح فيقول
به لان ما من شيء من هذه الاشيا الا يسبح بحمد الله وان اردت وهو
شيا اخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى
في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله الا تاكلون ن
ثم قال تعالى واية لهم انا حملنا ذرياتهم في الفلك
المشحون ولها مناسبة مع ما تقدم من وجهين احدهما انه تعالى
لما من باحيا الارض وهي مكان الحيوانات بين انه لم يقصر بل جعل
للانسان طريقا يتخذ من البحر جسرا يتوسطها ويسير فيها كما يسير
في البر وهذا حينئذ كقوله تعالى وحملناهم في البر والبحر ويؤيد
هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسرناه ان المراد
الابل فانها كسفن البراري وثانيهما انه تعالى لما بين سباحه
الكواكب في الافلاك ذكر ما هو مثله وهو سباحة الفلك في
البحار وله وجه ثالث وهو ان الامور التي انعم الله فيها على
عباده منها ضرورية ومنها نافعة والاول للحاجة والثاني
للزينة فخلق الارض واحياها من القبيل الاول فانها المكان الذي
لولاه لما وجد الانسان ولولا احياها لما عاش والليل والنهار في
قوله واية لهم الليل ايضا من القبيل الاول لانه الزمان الذي
لولاه لما حدث الانسان والشمس والقمر وحركتهما لو لم تكن لما عاش
ثم انه تعالى لما ذكر من القبيل الاول اثنين ذكر من القبيل الثاني
وهو الزينه اثنين احدهما الفلك الذي يجري في البحر فيستخرج من

ما تتزين به كما قال تعالى ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية
تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر وثانيهما الدواب التي في
البر كالفلك في البحر في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فان
الدواب مرتبة كما قال تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وقال لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فيكون
استدلالا عليهم بالضروري والتابع لا يقال بان التابع ذكره
في قوله جنات من نخيل واعناب فانها للزينة لانا نقول
ذلك حصل تبعا للضروري لان الله تعالى لما خلق الارض مبنية لدفع
الضروره وانزل الما عليها كذلك لزم ان يخرج من الجنة النخيل والاعناب
بقدرة الله واما الفلك فمقصود لا تبع ثم اذا علمت المناسبة ففي
الايات ابحاث لغوية ومعنوية اما اللغوية قال المفسرون
الذريات هم الابا اى حملنا اباهم في الفلك والالف واللام للتعريف
اى فلك نوح وهو قوله واصنع الفلك ومعلوم عند العرب
فقال الفلك هذا قول بعضهم واما الاكثرون فقال ان الذرية
لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فلا بد من بيان المعنى فنقول الفلك
اما ان يكون المراد الفلك المعين الذي كان لنوح واما ان يكون المراد
الجنس كما قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون وقال
تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى
غير ذلك من استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس فان كان
المراد سفينة نوح ففيه وجوه الاول ان المراد اذا حملنا اولادكم
الى يوم القيامة في ذلك الفعل ولولا ذلك لما بقي للادمي نسل ولا عقب

وعلى هذا فقوله حملناهم اشارة الى كمال النعمة اي لم تكن مقتصرة
عليكم بل متعدية الى اعقابكم الى يوم القيامة هذا ما قاله الزمخشري
وعندي ان يقال على هذا انما خص الذريات بالذكر لان
الموجودين كانوا كفارا لا فايدة في وجودهم فقال حملنا ذرياتهم
اى لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في اصلابهم من المومنين كما ان
من حمل صندوقا لا قيمة له وفيه جواهر اذا قيل له لم تحمل هذا الصندوق
وتتعب في حمله هو لا يشتري شيء يقول لا احمل الصندوق وانما
احمل ما فيه الثاني هو ان المراد بالذرية الجنس معناه حملنا اجناسهم سهم
وذلك لان ولد الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق
على الجنس ولهذا يطلق على النسا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
قتل الذراري اي النسا وذلك ان المراة فان كان صنفا غير صنف
الرجل لكنها من جنسه ونوعه فقال ذرياتنا امثالنا فقوله انا
حملنا ذرياتهم اى امثالهم واباهم حينيذ يدخل فيهم الثالث هو
ان الضمير في قوله واية لهم عايد على العباد حيث قال يا حسرة على
العباد وقال بعد ذلك واية لهم الارض وقال واية لهم الليل
نسلخ وقال واية لهم انا حملنا ذرياتهم اذا علم هذا فكانه تعالى
قال واية للعباد انا حملنا ذريات العباد ولا يلزم ان
يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين كما تقول
لا تقتلوا انفسكم وتريد بعضكم بعضا وكذلك اذا تقاتل قوم ومات
الكل في القتال فقال القوم هم قتلوا انفسهم فهم في الموضعين
يكون عايدا الى القوم ولا يكون المراد اشخاصا معينين بل المراد ان

ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية لهم اى اية لكل بعض
منهم انا حملنا ذريةِ كل بعض منهم او ذريةِ بعض منهم واما ان قلنا
ان المراد جنس الفلك وهو اظهر لان سفينة نوح لم تكن بحضرتهم
ولم يعلموا من حمل فيها فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد
وقوله تعالى في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين اى بوجود
جنسها ومثلها ويويده قوله تعالى الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة اللهِ ليريكم من اياتهِ ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
فنقول قوله تعالى حملنا ذرياتهم اى ذريات العباد ولم يقل حملناهم
لان سكون الارض عام كل احد يسكنها فقال واية لهم الارض
الميتة الى قوله فمنه ياكلون لان الاكل عام واما الحمل في السفينة
فمن الناس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها ولكن ذريةِ العباد لابد لهم
من ذلك قال فمنهم من يحتاج اليها فيحمل فيها **المسئلة الثانية**
جعل الفلك تارة جمعًا حيث قال وترى الفلك فيه مواخر جمع
ماخرة واخرى فردًا حيث قال الفلك المشحون نقول فيه تدقيق
مليح من علم اللغة وهو ان الكلمة قد يكون حركتها مثل حركة تلك
الكلمة في الصورة والحركتان مختلفتان في المعنى مثالها قولك
سجد يسجد سجودًا للمصدر وهم قوم سجود في جمع ساجد يظن انهما
كلمة واحدة لمعنيين وليس كذلك بل السجود عند كونه مصدرًا
حركته اصلية اذا قلنا ان الفعل مشتق من المصدر وحركة السجود
عند كونه للجمع حركة متغيرة من حيث ان الجمع يشتق من الواحد وشأن
تلخيص المشتق بتغير في حرف او حركة او في مجموعهما ساجد لما اردنا
ان

ان نشتق منهُ لفظ جمع غيرناه وجينا بلفظ السجود فاذا السجود للمصدر
والجمع ليس من قبيل الالفاظ المشتركة التي وضعت لحركة واحدة
لمعنيين اذا عرفت هذا نقول الفلك عند كونهِ واحدًا مثل قفل وبرد
وعند كونها جمعًا مثل خشب او مردا وغيرهما فان قلت فاذا جعلته جمعًا
ماذا يكون واحدها نقول جاز ان يكون واحدها فلكة او غيرها كما لم يستعمل
لواحد النساءِ حيث لم يستعمل وكذلك القول في امام مبين وفي قوله
ندعوا كل اناس بامامهم اي بايمتهم عند قوله تعالى امام مبين كزمام
وكتاب وعند قوله تعالى كل اناس بامامهم امام كرام وحمام
وهذا من دقيق التصريف واما المعنوية فنذكرها في مسايل
الاولى قال هاهنا حملنا ذرياتهم من علمتم نحمل ذرياتهم وقال
انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية من هناك عليهم بحمل انفسهم نقول
لان من نفع المتعلق بالغير قد نفع ذلك للغير ومن يدفع الضر عن
المتعلق بالغير لا يكون قد دفع الضر عن ذلك الغير بل يكون قد نفعه
مثاله من احسن الى ولد انسان وفرحه فرح بفرحهِ ابوه واذا دفع
واحد الالم عن ولد الانسان يكون قد فرح اباه ولا يكون في الحقيقة ازال
الالم عن راسه فعند طغيان الماء كان الضرر يلحقهم فقال دفعت عنكم الضرر
ولو قال دفعت عن اولادكم الضرر لما حصل بيان دفع الضرر عنهم
وهاهنا اراد بيان المنافع فقال حملنا ذرياتهم لان النفع حاصل بنفع الذرية
ويدلك على هذا ان هاهنا قال في الفلك المشحون كان امتلاء الفلك من الاموال
يحصل بذكره بيان المنفعة واما دفع المضرة لا لان الفلك كلما كان اثقل
كان الخلاص به ابطا وهناك السلامة فاختار هناك ما يدل على الخلاص

من الضرر وهو الجرى وهاهنا ما دل على كمال المنفعة وهو المشحون
فان قيل قال تعالى وحملناكم فى البر والبحر ولم يقل وحملنا ذرياتكم
مع ان المقصود فى الموضعين بيان النعمة لا دفع النعمة نقول
لما قال فى البر والبحر ولم يقل وحملنا ذرياتكم مع ان المقصود في
الموضعين بيان النعمة لا دفع النعمة عم الخلق لان ما من احد الا ان حمل
فى البر والبحر واما الحمل فى البحر فلم يعم فقال انا لما حملناكم بانفسكم
فقد حملنا من يهمكم امره من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا
المسأله الثانية قوله المشحون يفيد فايدة اخرى غير
غير ما ذكرنا وهو ان الادمي يرسب فى الماء ويغرق فحمله
فى الفلك واقع بقدرته لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف
لا يرسب فى الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك
المشحون اثقل من الثقال التى ترسب ومع هذا حمل الله الانسان
فيه مع ثقله فان قالوا ذلك لامتناع الخلا نقول قد ذكر الدلايل
الدالة على جواز الخلا فى الكتب العقليه فاذا ليس حفظ الثقيل
فوق الما الا بارادة الله المسألة الثالثة قال تعالى واية
لهم الارض الميته وقال واية لهم الليل ولم يقل لهم الفلك
جعلناها حيث حملهم وذلك لان حملهم فى الفلك هو العجب اما
نفس الفلك فليس بعجب كبيت مبنى من خشب واما نفس الارض
عجب وليس الليل عجب لا قدرة لاحد عليهما الا الله ثم قال
تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وفيه مسايل من حيث
اللغة والمعنى اما اللغة فقوله لهم يحتمل ان يكون عايدا الى الذرية
اي

اى حملنا ذرياتهم وخلقنا للمحمولين ما يركبون ويحتمل ان يكون
العباد الذين عاد اليهم قوله واية لهم وهو الحق لان الظاهر
عود الضمير الى شيء واحد المسألة الرابعه من
يحتمل وجهين احدهما ان يكون صلة خلقنا لهم مثله وهذا على
راي الاخفش وسيبويه يقول من صله لا يكون الا عند النفى
تقول ما جاءنى من احد كما قال تعالى وما مسنا من لغوب ثانيهما
هى مبينة كما قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم كانه قال خلقنا لهم
والمخلوق كان اشيا قال من مثل الفلك للبيان المسألة الخامسة
الضمير فى مثله على قول الاكثرين عايد الى الفلك فيكون هذا
كقوله تعالى واخر من شكله ازواج وعلى هذا فالاظهر ان
يكون المراد الفلك الاخر الموجودة فى زمانهم ويؤيد هذا
هو انه تعالى قال وان نشأ نغرقهم ولو كان المراد الابل
على ما قاله بعض المفسرين لكان قوله وخلقنا لهم من مثله ما
يركبون فاصلا بين متصلين ويحتمل ان يقال الضمير عايد الى معلوم م
غير مذكور وتقديره ان يقال وخلقنا لهم من مثل ما ذكرنا
من المخلوقات فى قوله خلق الازواج كلها مما تنبت الارض
وهذا كما قالوا فى قوله تعالى ليأكلوا من ثمره ان الها عايدة الى ما
ذكرنا اي من ثمر ما ذكرنا وعلى هذا فقوله خلقنا لهم فيه
لطيفة وهى ان ما من احد الا وله ركوب ومركوب من
الدواب وليس كل احد يركب الفلك فقال فى الفلك حملنا ذرياتهم
وان كان ما حملناهم واما الخلق فلهم عام وما يركبون فيه وجهان

احدهما هو الفلك الذي مثل فلك نوح وثانيهما هو الابل التي
هي سفن البر فان قيل ان كان المراد سفينة نوح فما وجه مناسبة
الكلام نقول ذكرهم بحال قوم نوح وان المكذبين هلكوا ٥
والمومنين فازوا وكذلك هم ان امنوا يفوزوا وان كذبوا هلكوا
ثم قال تعالى وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون
اشارة الى فائدتين احداهما ان في كمال النعمة ينبغي ان لا يامنوا عذاب
الله وثانيهما هي ان ذلك جواب سوال المعتقد وهو ان الطبيعي
يقول السفينه تحمل بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب
فقال ليس كذلك بل لو شا الله اغراقهم لاغرقهم وليس
ذلك بمقتضى للطبع ولو صح كلامه الفاسد لكان لقايل ان يقول
الست توافق ان من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ما يثقبه
ثاقب فير سبب وذلك بمشية الله فان شا اغراقهم اغرقهم من غير
شي من هذه الاشيا كما هو مذهب اهل السنة او بشي من تلك
الاشيا كما تسلم انت وقوله فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم يمنع عنهم
الغرق ولا هم ينقذون اذا ادركهم الغرق وذلك لان الخلاص
من العذاب اما ان يكون بدفع الغرق ولا هم اذا ادركهم الغرق
وذلك لان الخلاص من العذاب اما ان يكون بدفع العذاب
من اصله او برفعه بعد وقوعه وهذا مثل قوله تعالى لا
تغن عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون وقوله عز وجل فلا صريخ
لهم ولا هم ينقذون فيه فائدة اخرى غير الحصر وهو انه تعالى
قال لا صريخ لهم ولم يقل ولا منقذ لهم وذلك لان من يكون من شانه
ان

ان ينصر لا يشرع في النصر مخافة ان يغلب ويذهب ما وجهه واما
ينصر ويغيث من كان له ان يغيث فقال لا صريخ لهم واما من لا يكون من
شانه ان ينقذ اذا راى من يعز عليه في ضر يشرع في الانقاذ وان
لم يثق بنفسه في الانقاذ ولا يغلب على ظنه وانما يبذل المجهود
فقال عز وجل ولا هم ينقذون ولم يقل ولا منقذ لهم ثم استثنى
وقال الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهو يفيد امرين احدهما
انقسام الانقياد الى قسمين الرحمة والمتاع اي فمن علم منه
انه يومن فينقذه الله رحمة وفيمن علم انه لا يومن فيمتع زمانا
ويزداد اثمه وثانيهما انه بيان لكون الانقياد غير مفيد للدوا م
بل الزوال في الدنيا لا بد فينقذه الله رحمة ويمتعه الى حين ثم يميته
والزوال لازم ثم قال تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين
وجه تعلق الايه بما قبلها هو ان الله تعالى لما عد الايات
بقوله واية لهم الارض واية لهم الليل واية لهم انا حملنا ذريتهم
وكانت الايات تفيد اليقين وتوجب القطع بما قال تعالى
ولم يفدهم اليقين قال فلا اقل من ان يحترزوا عن العذاب فان اخبر
بوقوع عذاب يمنعه وان لم يقطع بصدق قول المخبر احتياطا
فقال تعالى اذا ذكرتم الدليل القاطع لا تعترفون به واذا قيل لهم
اتقوا لا تتقون فهم في غاية الجهل ونهاية الغفله لا مثل العلما الذين
يتبعون البرهان ولا مثل العامه الذين يبنون الامر على الاحوط
ويدل على ما ذكرنا قوله تعالى لعلكم ترحمون بحرف التمني اي في
ظنكم فان من يخفى عليه وجه البرهان ولا يترك طريقة الاحتراز

والاحتياط وجواب قوله واذا قيل لهم اتقوا محذوف معناه
واذا قيل ذلك لا يتقون او معرضون وانما حذف لدلالة ما
بعده عليه وهو قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم وفي
قوله تعالى ما بين ايديكم وما خلفكم وجوه احدها ما بين ايديكم الاخرة
فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانكم تاركون لها ثانيها ما بين
ايديكم من انواع العذاب مثل الغرق والحريق وغيرهما المدلول عليه
بقوله تعالى وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم وما خلفكم من الموت الطالب
لكم ان نجوتم من هذه الاشيا لا نجاة لكم منه يدل عليه قوله تعالى
ومتاعا الى حين ثالثها ما قيل بين ايديكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم
فانه حاضر عندكم وما خلفكم من امر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالحشر رحمكم الله وقوله تعالى
لعلكم ترحمون مع ان الرحمة واجبة وجوه ذكرناها مرارا ونزيد هاهنا
وجها اخر وهو انه تعالى لما قال اتقوا بمعنى انكم ان لم تقطعوا بنا
على البراهين فاتقوا احتياطا قال لعلكم ترحمون يعني ارباب اليقين
ترحمون جزما وارباب الاحتياط يرجى ان يرحموا والحق ما ذكرنا
من الوجهين احدهما اتقوا راجين الرحمة فان الله لا يجب عليه شي
وثانيهما هو ان لا تتقوا نظرا اليه امر يفيد الظن بالرحمة فان كان
يقطع به احد لامر خارج فذلك لا يمنع الرجا فان الملك اذا كان في
قلبه انه يعطي من خدمه اكثر من اجرته اضعافا مضاعفة لكن
الخدمة لا تقتضي ذلك يصح منه ان يقول افعل كذا ولا يبعد ان يصل
اليك اجرتك اكثر مما تستحق ثم قال تعالى وما تاتيهم من اية
من

من ايات ربهم وهذا متعلق مما تقدم من قوله يا حسرة على العباد ما
ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون وما تاتيهم من اية من ايات
ربهم الا كانوا عنها معرضين يعني اذا جاتهم الرسل كذبوهم فاذا
اتوا بالايات اعرضوا عنها وما التفتوا اليها وقوله الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من القرون الى قوله لعلكم كلام من كلامين
متصلين ويحتمل ان يقال هو متصل بما قبله من الاية وبيانه هو
انه تعالى لما قال لهم واذا قيل لهم اتقوا وكان فيه تقديرا اعرضوا
قال ليس اعراضهم مقتصرا على ذلك بل هم عن كل اية معرضون
او يقال اذا قيل لهم اتقوا اقترحوا ايات مثل انزال الملك وغيره
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وعلى
هذا كانوا في المعنى يكون زايدا معناه الا تعرضون عنها اي
لا ينفعهم الايات ومن كذب بالبعض هان عليه التكذيب بالكل
وقوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اشارة الى انهم
يخلون بجميع ما على المكلف عليه التعظيم لجانب الله والشفقة
على خلق الله وتركوا التعظيم حيث قيل اتقوا ولم ينفقوا وفيه لطايف
الاولى خوطبوا بادنى الدرجات في التعظيم والشفقة فلم ياتوا
بشي منه وعباد الله المخلصون خوطبوا بالادنى فاتوا بالاعلى
انما قلنا ذلك لانهم في التقوى امروا بان يتقوا ما بين ايديهم من
العذاب والاخرة وما خلفهم من الموت والعذاب وهو ادنى
ما يكون من الاتقاء واما الخاص فيتقي تغير قلب الملك عليه وان
لم يعاقبه ويتقي العذاب لا يكون الا البعد فهم لم يتقوا معصية

الله ولم يتقوا عذاب الله والمخلصون اتقوا الله واجتنبوا مخالفته
سوا كان يعاقبهم عليه او لا يعاقبهم واما في الشفقه فقيل لهم انفقوا
مما أي بعض ما هو لله في ايديكم فلم ينفقوا والمخلصون اثروا انفسهم
وبذلوا كل ما في ايديهم بل انفسهم صرفوه الى نفع عباد الله ودفع
الضرر عنهم **الثانيه** كما ان في جانب التعظيم ما كان فايدة
التعظيم راجعة الا اليهم فان الله مستغن عن تعظيمهم كذلك في
جانب الشفقة ما كان فايدة الشفقه راجعة الا اليهم فان
فان من لا يرزقه المتمول الا باجله ولا بد من وصول رزقه اليه
لكن السعيد من قدر الله ايصال الرزق على يديه الى غيره **ه**
الثالثة قوله عز وجل مما رزقكم الحل البخلا من بخل بمال الغير
وثانيهما انه لا ينبغي ان يمنعكم من ذلك مخافة الفقر فان الله
رزقكم فاذا انفقتم فهو يخلفكم ثانيا كما رزقكم اولا وفيه مسايل
الاولى عند قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا حذف الجواب
وههنا اجاب باكثر من الجواب وذلك لانه تعالى لو قال واذا قيل لهم
انفقوا قالوا انطعم من يشا الله اطعمه لكان كافيا فما الفايدة في قوله
تعالى قال الذين كفروا للذين امنوا نقول الكفار كانوا يقولون
بان الاطعام من الصفات الحميده وكانوا يفتخرون به وانما اوردوا
ذلك ردا على المومنين فقالوا نحن نطعم الضيوف معتقدين ان افعالنا
بنا لولا اطعامنا لما اندفع حاجة الضيف وانتم تقولون ان الهكم يرزق
من يشا فلم تقولون لنا انفقوا فلما كان غرضهم الرد على المومنين لا الامتناع
من الاطعام قال تعالى عنهم قال الذين كفروا للذين امنوا اشارة
يا

الى الرد واما قولهم اتقوا ما بين ايديكم فلم يكن الرد على المومنين ه
فاعرضوا او اعرض الله عن ذكر اعراضهم لحصول العلم به **المسلة
الثانيه** ما الفايدة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا انفق على
من يشا رزقه وذلك لانهم امروا بالانفاق في قوله واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم فكان جوابهم بان يقولوا انطعم يقول فيه
بيان غاية مخالفتهم وذلك لانهم اذا امروا بالانفاق ولا نا قل
منه وهو الاطعام وقالوا لا نطعم وهذا كما اذا قال القايل لغيره
اعط زيدا دينارا يقول لا اعطيه درهما مع ان المطابق هو
ان يقول لا اعطيه دينارا لكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك
هاهنا **المسأله الثالثه** كان كلامهم حقا فان الله لو
شا اطعمه فلما ذا ذكر في معرض الذم نقول لان مرادهم كان
الانكار لقدرة الله والعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله
وكلاهما فاسد بين الله ذلك في قوله مما رزقكم فانه يدل على قدرته
وصحح امره بالاعطاء لان من كان له في يد الغير مال وله في خزانته
مال فهو مخير ان اراد اعطا مما في خزانته وان اراد امر من عنده
المال بالاعطاء ولا يجوز ان يقول من سله ماله في خزانتك كان
اكثر مما في يدي اعطيه منه وقوله ان انتم الا في ضلال مبين
مبين اشارة الى اعتقادهم انهم قطعوا المومنين بهذا الكلام وان
امرهم بالانفاق مع قولهم بقدرة الله ظاهر الفساد واعتقادهم
هو الفاسد وفيه مباحث لغوية ومعنوية اما اللغوية فنقول
ان وردت للنفي بمعنى ما كان الاصل ان يكون للشرط والاصل في ما

ان يكون للنفي لكنهما اشتركا من بعض الوجوه تعارضا واستعمل ما في
الشرط واستعمل ان في النفي اما الوجه المشترك فهو ان كل واحد
منهما حرف مركب من حرفين متقاربين فان الهمزة تقرب من الالف
والميم من النون ولا بد ان يكون المعنى الذي يدخل عليه ما وان
لا يكون ثابتا اما في ما فظاهر واما في ان فلانك اذا قلت ان جاني
زيد اكرمه ينبغي ان لا يكون له في الحال مجي فاستعمل ان مكان ما وقيل
ان زيد قايم اي ما زيد بقايم واستعمل ما في للشرط تقول ما اصنع اصنع
والذي يدل على ما ذكرنا ان ما النافيه تستعمل حيث لا تستعمل ان
وذلك لانك اما ان تزيد فتجعل ان اصلا وما صلة فدلنا هذا على ان
ان في الشرط اصل وما دخيل وما في النفي بالعكس البحث الثاني قد
ذكرنا ان قوله ان انتم لا تفيد قوله انتم في ضلال لانه يوجب الحصر
وانهم ليسوا في غير الضلال البحث الثالث وصف الضلال
بالمبين قد ذكرنا معناه انه لظهوره يبين نفسه انه ضلال اي في
ضلال لا يخفى على احد البحث الرابع قد ذكرنا ان قوله في ضلال
يفيد كونهم مغمورين فيه غايصين وقوله في مواضع على بينه وعلى
هدى اشارة الى كونهم والمسلمين على الطريق المستقيم قادرين عليه واما
المعنوية فهي انهم اما وصفوا الذين امنوا بكونهم في ضلال مبين
لكونهم ظانين ان المومن كلامه متناقض ومن تناقض كلامه
يكون في غاية الضلال انما قلنا ذلك لانهم قالوا انطعم من لو يشا
الله اطعمه اشارة الى ان الله تعالى ان شا ان يطعم كان يطعمهم ولا
يقدروا على اطعامهم لانه يكون تحصيلا للحاصل وان لم يشا اطعامهم
لا

لا يقدر احد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشا ولا قدرة لنا على
الاطعام فكيف تامرونا بالاطعام ووجه اخر وهو انهم قالوا
اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيا في ابطال
فعل الله وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم فهو في ضلال مبين
ولم يكن في الضلال الاتم وحيث نظروا الى المراد ولم ينظروا
الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا امره سيده بامر
لا ينبغي ان يكشف سبب الامر والاطلاع على المقصود الذي امره
به لاجله مثاله الملك اذا اراد الركوب للهجوم على عدوه بحيث
لا يطلع عليه احد وقال لعبده احضر المركوب فلو تطلع واستكشف
المقصود الذي لاجله الركوب نسب الى انه يريد ان يطلع على عدوه
على الحذر منه وكشف سره فالادب في الطاعه وهو اتباع
الامر لا يتبع المراد فالله تعالى اذا قال انفقوا مما رزقناكم لا يجوز
ان تقولوا لم لم يطعمهم الله مما في خزاينه ثم قال تعالى
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهو اشارة الى ما
اعتقدوه ان التقوى المامور به في قوله واذا قيل لهم اتقوا
والانفاق في قوله عز وجل انفقوا لا فايدة فيه لان الوعد لا حقيقة
له وقوله متى هذا الوعد اي متى يقع الموعود به وفيه مسايل
الاولى للشرط وهي تستدعي جزا ومتى استفهام لا يصلح جزا
فما الجواب نقول هو في الصورة استفهام وفي المعنى انكار
كانهم كانوا ان كنتم صادقين في وقوع الحشر فقوله متى يكون
الثانية الخطاب مع من تقولهم كنتم الظاهر انه مع الانبيا

لانهم لما انكروا الرسالة قالوا ان كنتم يا ايها المدعون الرسالة صادقين
فاخبروا متى يكون **الثالثة** ليس في هذا الموضع وعد
فالاشارة بقوله هذا الوعد اى وعد يقول هو ما في قوله تعالى
واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من قيام الساعة تقول
هو معلوم وان لم يكن مذكورا لكن الانبيا مقيمين على تذكرهم بالساعة
والحساب والثواب والعقاب ثم قال تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة اى لا ينتظرون الا الصيحة المعلومة والتنكير
للتكثير فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمها
فنقول الانتظار فعل لانهم كانوا يفعلون ما يستحق فاعله البوار
وتعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حلم الله وقدرته وعلمه
فانهم لا يفوتون او نقول لما لم يكن قوله متى استفهام حقيقيا و
قال ينتظرون انتظارا غير حقيقي لان القايل متى يفهم منه
الانتظار نظرا الى قوله وقد ذكر في الصيحة امورا تدل على
هولها وعظمها احدها التنكير يقال لفلان مال اى كثير
وله قلب اى جرى ثانيها واحدة اى لا يحتاج معها الى ثانية ثالثها
تاخذهم اى تعمهم بالاخذ وتصل الى من في مشارق الارض ومغاربها
ولا شك ان مثلها لا يكون الا عظيما وقوله وهم يخصمون
بما يعظم به الامر لان الصيحة المعتادة اذا وردت على غافل يرجف
فان الغافل عليهم اذا صاح به صايح يرجف فواده بخلاف المنتظر
للصيحة فاذا كانت حال الصيحة ما ذكرناه من الشدة والقوة وترد
على الغافل هو مع خصمه مشغول يكون الارتجاف اتم والايجاب

اعم ويحتمل ان يقال يخصمون اى في البعث ويقولون لا يكون
ذلك اصلا فيكونون غافلين عنه بخلاف من يعتقد انه يكون متهيئا
له وينتظر وقوعه فانه لا يرتجف وهذا هو المراد بقوله تعالى
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ممن اعتقد
وقوعها فاستعد لها وقد مثلنا ذلك فيمن شام برقا وعلم ان
سيكون رعد ومن لم يشمه ولم يعلم ثم رعد الرعد يرى الشايم
العالم ثابتا والغافل الذاهل مغشيا عليه ثم بين شدة الاخذ
وهي بحيث لا يمهلهم الى ان يوصوا وفيه امور مثبتة للشدة
احدها عدم الاستطاعة فان قول القايل فلان في هذه الحالة
لا يوصي دون قوله لا يستطيع التوصية لان من لا يوصي قد
يستطيعها **الثانية** التوصية وهي بالقول والقول
يوجد اسرع مما يوجد الفعل فقال لا يستطيعون كلمة فكيف
فعلا يحتاج الى زمان طويل من اداء الواجبات ورد المظالم
الثالثة اختيار الوصية من بين ساير الكلمات يدل
على انه لا قدرة له على اهم الكلمات فان وقت الموت الحاجة
الى الوصية امس **الرابعة** التنكير في الوصية للتعميم
اى لا يقدر على توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة ولان التوصية
قد تحصل بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها **الخامسة**
ولا الى اهلهم يرجعون بيان لشدة الحاجة الى التوصية لان
من يرجو الوصول الى اهله قد يمسك عن الوصية لعدم
الحاجة اليها واما من يقطع بانه لا وصول له الى اهله فلا بد

له من التوصية فاذا لم يستطع مع الحاجة دل على غاية الشدة
وفي قوله ولا الى اهلهم يرجعون وجهان احدهما ما ذكرنا بانهم
يقطعون بانهم لا يمهلون الى ان يجتمعوا باهاليهم وذلك يوجب
الحاجة الى التوصية وثانيهما انهم الى اهلهم لا يرجعون يعني يموتون
ولا رجوع لهم الى الدنيا ومن يسافر سفرا ويعلم انه لا رجوع له من
ذلك السفر ولا اجتماع له باهله مرة اخرى ياتي بالوصية ثم بين ما بعد
الصيحة الاولى فقال ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى
ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقوله في الموضعين اذا
هم يقتضي ان يكونا في الموضعين معا نقول الجواب عنه من
وجهين احدهما ان القيام لا ينافي المشي المسرع لان الماشي
قايم ولا ينافي النظر وثانيهما ان سرعة الامور كان الكل في زمان
واحد كقول القائل مكر مفر مقبل مدبر معا **الثانيه**
كيف صارت النفختين موثرتين في امور متضادين الاحيا والاماته
نقول لا موثر غير الله والنفخ علامة ثم ان الصوت الهايل يزلزل
الاجسام فعند الحياة كانت اجزا الحي مجتمعة فزلزلها حصل منها تفرق
وحالة الموت كانت اجزاوه متفرقه فزلزلها حصل منها اجتماع
فالحاصل ان النفختين موثرتان تزلزلا للاجرام فعند الاجتماع تفرق
وعند الافتراق تجمع **المسئلة الثالثه** ما التحقيق
في اذا التي للمفاجاه نقول هي اذا التي للظرف معناه نفخ
في الصور فاذا نفخ فيه ينسلون لكن الشي قد يكون ظرفا للشي معلوما
كونه ظرفا وعند المشاهده لا يتجدد علم كقول القايل اذا طلعت

الشمس اضا الجو عند الطلوع لم يتجدد علم زايد واما اذا قلت خرجت
فاذا الاسد بالباب كان ذلك الوقت ظرف كون الاسد لكنه
لم يكن معلوما فاذا راه علمه فحصل العلم بكونه ظرفا له مفاجاة
عند الاحساس فقيل اذا للمفاجاة **المسئلة الرابعة**
اين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت الصيحه الجبال
نقول يجمع الله اجزا كل واحد في الموضع الذي اقبر فيخرج من
ذلك الموضع موضع ذكر الهيئه وتقدم ذكر الكافر ليغيظه
الرب يدل على الرحمة فلو قال بدل الرب المضاف اليهم لفظا
دالا على الهيبه فهل يكون اليق ام لا قلنا هذا اللفظ
احسن ما يكون لان من اساء واضطر الى التوجه الى من احسن
اليه يكون ذلك اشد الما واكثر ندما من غيره **المسئلة
السادسة** المشي اذا توجه الى المحسن يقدم رجلا ويوخر
اخرى والنسلان هو سرعة المشي فكيف يوجد منهم ذلك
نقول ينسلون من غير اختيارهم وقد ذكرنا في تفسير قوله عز
وجل فاذا هم قيام ينظرون اذا دان يتبين كمال قدرته ونفوذ
ارادته حيث ينفخ في الصور فيكون في وقت جمع وتركيب
واحيا وقيام وعدو في زمان واحد فقوله اذا هم ينسلون
يعني في زمان واحد ينتهون الى هذه الدرجه وهو النسلان
الذي لا يكون الا بعد مراتب **ثم قال** تعالى
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا يعني لما بعثوا قالوا ذلك لان
قوله ونفخ في الصور يدل على بعثهم وفيه مسايل **الاولى** لو قال

قايل لو قال الله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون على ما
ذكرنا اشارة الى انه تعالى في اسرع زمان يجمع اجزاءهم ويولفها
ويحييها ويحركها بحيث يقع نسلانهم وقت النفخ مع ان ذلك
لابد له من الجمع والتاليف فلو قال يقولون لكان ذلك قبل
الحال لينسلون اي ينسلون قايلين يا ويلنا وليس كذلك فان قولهم
يا ويلنا قبل ان ينسلوا وانما ذكر النسلان لما ذكرنا من الفايده ٥
المسله الثانيه لو قال قايل قد عرفنا معنى الندا في مثل
يا حسرة ويا حسرتنا ويا ويلنا ولكن الفرق بين قولهم وقول الله
حيث قال يا حسرة على العباد من غير اضافة وقالوا يا حسرتا ويا
حسرتنا ويا ويلنا نقول حيث كان القايل هو المكلف لم يكن
لاحد علم الا بحاله او بحال من قرب منه فكان كل واحد مشغولا
بنفسه وكان كل واحد يقول يا حسرتا ويا ويلتا فيقوله
يا ويلنا اي كل واحد قال يا ويلي واما من حيث قال الله قال
على سبيل العموم لشمول علمه بحالهم **المسله الثالثه**
ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا نقول لما
بعثوا تذكروا ما كانوا يسمعون من الرسل فقالوا يا ويلنا من
بعثنا ابعثنا الله البعث الموعود به ام كنا نياما فنبهنا وهذا كما اذا
كان انسان موعد بان ياتيه عدو ولا يطيقه ثم راى رجلا هايلا
مقبل عليه فيرجف في نفسه ويقول اهذا ذلك ام لا ويدل عليه
ما ذكرنا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور موضع الرقاد
اشارة الى انهم شكوا في انهم كانوا نياما فنبهوا وكانوا موتى بعثوا

وكان الغالب على ظنهم البعث فجمعوا بين الامرين وقالوا من بعثنا
من مرقدنا هذا اشارة الى ظنهم انه بعثهم الموعد به وقالوا
من مرقدنا اشارة الى توهمهم احتمال الانتباه **المسله
الرابعه** هذا اشاره الى ماذا فيه وجهان احدهما انها
اشارة الى المرقد كانهم قالوا من بعثنا من مرقدنا هذا فيكون
صفة للمرقد فقال كلامي هذا صدقنا ثانيهما اشارة الى
البعث اي هذا البعث ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون
المسله الخامسه اذا كان هذا صفه للمرقد فكيف
يصح قوله تعالى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقول
يكون ما وعد الرحمن مبتدا خبره محذوف تقديره ما وعد
الرحمن حق والمرسلون صدقوا وتقال ما وعد الرحمن
وصدق فيه المرسلون حق والاول اظهر لقلة الاضمار وتقال
ما وعد الرحمن خبر مبتدا محذوف تقديره هو ما وعد الرحمن
من البعث ليس تنبيها من النوم وصدق المرسلون فيما اخبروكم
به **المسله السادسه** ان قلنا هذا اشارة الى
المرقد او اليبيت فجواب الاستفهام بقولهم من بعثنا اين يكون
نقول لما كان غرضهم من قولهم من بعثنا حصول العلم بانه بعث
او تنبيه حصل الجواب بقوله هذا بعث وعد الرحمن به ليس
تنبيها كما ان الخايف اذا قال لغيره ماذا يقول ايقتلني فلان فله
ان يقول لا تخف ويسكت لعله ان غرضه ازاله الرعب منه
وبه يحصل ثم قال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة

فاذا هم جميع لدينا محضرون اي ما كانت الا النفخة الا صيحة واحدة
تدل على النفخة قوله تعالى ونفخ في الصور ويحتمل ان يقال
ان كانت الواقعة وقرى الصيحة مرفوعة على ان كان هي
التامة بمعنى ما وقعت الا صيحة وقال الزمخشري لو كان كذلك
لكان الاحسن ان يقال ان كان لان المعنى حينيذ ما وقع شي
الا صيحة لكن التانيث جايز احالة على الظاهر ويمكن ان يقول
الذي قرا بالرفع ان قوله اذا وقعت الواقعة تانيث تهويل
ومبالغة يدل عليه قوله ليس لوقعتها كاذبة فكذلك المبالغة
وكذلك هاهنا قال ان كانت الا موتا تانيث تهويل ولهذا جا
اسما يوم الحشر كلها مونثة كالقيامة والقارعة والحاقة
والطامة والصاخة الى غيرها والزمخشري يقول كاذبة
يعني ليس لوقعتها نفس كاذبة تانيث اسماء الحشر لكون الحشر
سمي بالقيامة وقوله محضرون دل على ان كونهم ينسلون
اجباري لا اختياري ثم بين ما يكون في ذلك اليوم بقوله فاليوم
لا تظلم نفس شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون لباس المجرم الكافر
وفيه مسايل الاولى ما الفايده في الخطاب عند الاشارة الى
ما بين المجرم بقوله ولا تجزون وترك الخطاب في الاشاره الى ما له
المومن من العذاب بقوله لا تظلم ولم يقل ولا تظلمون ايها المومنون
نقول لان قوله لا تظلم نفس شيا يفيد العموم وهو كذلك فانها
لا تظلم احدا واما ولا تجزون مختص بالكافر كان فان الله يجزي
المومن وان لم يفعل فان لله فضلا مختصا بالمومن وعدلا عاما فمنه

اشاره المسلة الثانية ما المقتضي لذكرنا التعقيب نقول لما قال
محضرون مجموعون والجمع للفصل والحساب فقال تعالى اذا جمعوا لم يجمعوا
الا للفصل بالعدل ولا ظلم عند الجمع للعدل فصار عدم الظلم مترتبا على
الاحضار للعدل ولهذا تقول القايل للوالي او القاضي جلست للعدل
ولا تظلم اي ذلك يقتضي هذا وسععه المسلة الثالثة ولا تجزون
غير ما كنتم تعملون يدل على الجزا بغير العمل لا يقال جزاه تعدى بنفسه
وبالبا تقال جزيته خيرا وجزيته بخير لان ذلك ليس من هذا لانك
اذا قلت جزيته بخير يكون الخير مفعولك بل يكون البا للمقابلة والسببية
كانك تقول جزيته خيرا بسبب ما فعل فنقول الجواب عنه من
وجهين احدهما ان يكون ذلك اشارة على وجه المبالغة الى عدم
الزيادة لان الشي لا يزيد على عينه فيقول تعالى يجزون بما كانوا في
المساواة وكانه عين ما عملوا يقال فلان يخاف من حرف الحدو اي
لا يترك شيا وهذا اوجب الياس العظيم الثاني هو ان ما غير راجع
الى الخصوص وانما هي للجنس تقديره لا تجزون الا جنس العمل اي ان
كان حسنة فحسنة وان كان سيئة فسيئة فيجزون ما يعملون من السيئة
والحسنة وهذا كله حينيذ كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة ثم بين حال
المحسن فقال ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وقوله في شغل
تحتمل وجوها احدها في شغل عن هول اليوم باخذ ما اتاهم الله من
الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله فاكهون يكون
متمما لسلامتهم فانه لو قال في شغل جاز ان يقال هم في شغل اعظم
من التفكر في اليوم واهواله فان من يصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه

امر من اموره وخبر بخسران وقع في ماله يقول انا مشغول عن هذا باهم منه فقال فاكهون اي شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور ثانيها ان يكون ذلك بيانا لحالهم ولا يريد انهم شغلوا عن شيء بل يكون معناه في عمل ثم تبين عملهم بانه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب ثالثها في شغل عما توهموه فانهم في الدنيا تصوروا امورا وقالوا نحن اذا دخلنا الجنة لا نطلب الا كذا وكذا واما ما لم يخطر ببالهم فاشتغلوا به وفيه وجوه غير هذه ضعيفة احدها قبل امتصاص الانكار وهذا مما ذكرناه في الوجه الثالث ان الانسان قد يترجح في نظره الان مداعبة الكواعب فيقول في الجنة التذ بها ثم ان الله عز وجل ربما يؤتيه ما يشغله عنها وثانيها قيل في ضرب الاوتار وهو من قبيل ما ذكرناه يوهم ثالثها في التزاور رابعها في ضيافة الله يكون بالذ ما يمكن وحينئذ تشغله تلك عما يوهمه في دنياه وقوله فاكهون خبران وفي شغل بيان ما فكاهتهم فيه يقال زيد على عمله مقبل وفي بيته جالس فلا يكون الجار والمجرور ولو نصب حالا لكان الجار والمجرور خبرا وكذلك لو قال في شغل فاكهين لكان معناه اصحاب الجنة مشغولون فاكهين على الحال وقرئ بالنصب والفاكهة الملتذ المتنعم ومنها الفاكهة لانها لا تؤكل في السعة الا للذة ولا تؤكل لدفع الم الجوع وفيه معنى لطيف وهو انه اشار بقوله في شغل عن عدمهم الالم ولا الم عندهم ثم بين بقوله فاكهين عن وجدانهم اللذة وعادم الالم قد لا يكون واجدا للذة فبين انهم على اتم حال ثم كمل البيان بقوله هم وازواجهم فبيت ايضا فلا يبقى لهم تعلق قلب واما من النار من اقاربهم واخوانهم فيكونون هم عنهم في

في شغل ولا يكون عندهم منهم الم ولا يشتهون حضورهم والازواج يحتمل وجهين احدهما اشكالهم في الاحسان وامثالهم في الايمان كما قال تعالى من شكله ازواج وثانيهما الازواج هم المفهومون من زوج المراة وزوجة الرجل كما في قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقوله تعالى ويذرون ازواجا فان المراد ليس هو الاشكال قوله في ظلل جمع ظلة وفي ظلال جمع ظل والمراد به الوقاية عن مظان الالم فان الجالس تحت كن لا يخشى المطر ولا حر الشمس فيكون به مستعدا لدفع الالم وكذلك لهم من ظل الله ما يقيهم الاسوا كما قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقال عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اشارة الى عدمهم الالام وفيه لطيفة ايضا وهو ان حال المكذب اما ان يكون اصلا لها بسبب ما فيه من الشغل وان كان في مكان عال كالفاعل في حر الشمس في البستان المنزه او يكون بسبب المكان وان كان الشغل مطلوبا كملاعبة الكواعب في المكان المكشوف واما ان يكون بسبب الماكل كالمفرح في البستان اذا اعوزه الطعام بسبب فقد الحبيب والى هذا يشير اهل الطلب في شرايط السماع بقولهم الزمان والمكان والاخوان فقال تعالى في شغل فاكهون اشارة الى انهم ليسوا في تعب وقال هم وازواجهم اشارة الى عدم الوحدة الموحشة وقال في ظلال على الارائك اشارة الى المكان وقال لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون الى دفع جميع حوائجهم متكئون اشارة الى ادل وضع على القوة والفراغة فان القائم يقوم لشغل والقاعد قد يقعد لمهم واما المتكئ فلا يتكئ الا عند الفراغة

الفراغة والقدرة لان المريض لا يقدر على الاتكا انما يكون مضطجعا او
مستلقيا والارائك جمع اريكة وهي السرير الذي عليه الفرش وهي تحت
الحجال فيكون مرتبا هو وما فوقه وقوله لهم فيها فاكهة ولهما اشارة
الى ان لا جوع هنا وليس الاكل لدفع الم الجوع وانما ياكلهم فاكهة ولو كان
لحما طريا لا يقال قوله تعالى ولحم طير مما يشتهون يدل على التغاير وصدق
الشهوة وهو الجوع لانا نقول قوله مما يشتهون يوكد معنى عدم الالم
لان اكل الشي قد يكون للتداوي من غير شهوة فقال مما يشتهون لان
لحم الطير في الدنيا يوكل في حالتين احداهما حالة النعم والثانية حالة
ضعف المعدة وحينئذ لا ياكل لحم طير يشتهيه وانما اكل ما يوافقه
ويامر به الطبيب واما انه يدل على التغاير فنقول مسلم وذلك
لان الخاص يخالف العام على ان ذلك لا يقدح في غرضنا لانا نقول
انما اختار من انواع الماكول الفاكهة في هذا الموضع لانها ادل على
التنعم والتلذذ وعدم الجوع والسكر لسان الكمال وقد ذكرناه
مرارا وقوله لهم فيها ولم يقل ياكلون اشارة الى كون زمام الاختيار
بايديهم وكونهم مالكين قادرين وقوله ولهم ما يدعون فيه وجوه
احدها لهم فيه ما يدعون لانفسهم اي دعاءهم مستجاب وحينئذ يكون
هذا افتعالا لا بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى
الرحل وعلى هذا فبين معناه انهم يدعون لانفسهم اي ذلك لهم ولا حاجة
لهم الى الدعاء والطلب كما ان الملك اذا طلب منه مملوكه شيا يقول
لك ذلك فيفهم منه تارة ان طلبك مجاب وان هذا امر هين بان
تعطى ما طلبت ويفهم منه تارة الرد وبيان ان ذلك حاصل فلم تطلبه
فقال

فقال تعالى ولهم ما يدعون ويطلبون تارة طلب لهم وتقريره هو ان
ما يدعون بمعنى ما يصح ويطلب ويدعى فهو حاصل لهم قبل الطلب او يقول
المراد اذا الطلب والاجابة وذلك لان الطلب من الله ايضا فيه لذة لهم
فلو قطع الله الاسباب منهم وبينه لكان يطيب لهم لما تبقى في اسا يعطيهم
عند الطلب ليكون لهم عند الطلب لذة وعند العطا فان كون المملوك
بحيث يتمكن ان يخاطب الملك في حوايجه منصب عظيم والملك الجبار قد
يدفع حوايج المماليك باسرها قصدا منه الى ان لا يخاطب الثاني
ما يدعون ما يتداعون وحينئذ يكون افتعالا بمعنى التفاعل كالاقتبال ل
بمعنى التقابل ومعناه ما ذكرنا ان كل ما يصح ان يدعوا احد صاحبه
اليه او يطلب احد من صاحبه فهو حاصل لهم الثالث ما يتمنون به الرابع
بمعنى الدعوى ومعناه حينئذ انهم كانوا يدعون النوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال فيدل على القول يوم القيامة لانا نقول
الجواب عنه من وجهين احدهما ان قوله هم وازواجهم عطف عليهم فيحتمل
ان يكون هذا الكلام في يومنا هذا يخبرنا ان المومنين وازواجه
في ظلال هذا وله ما يدعيه والجواب الثاني وهو اولى ان يقال
معناه لهم ما يدعون اي ما يدعون لا يقال بانه اضمار وحيث لا ضرورة
وانه غير جايز لانا نقول على ما ذكرنا يبقى الادعا مستعملا في معناه المشهور
لان الادعا هو الاتيان بالدعوى وانما قلنا ان هذا اولى لان قوله عز
وجل سلام قولا من رب رحيم في دار الاخرة وهو كالتفسير لقوله ما يدعون
ولان قوله ما يدعون مذكور بين جمل كلها في الاخرة بما يدعون ايضا ينبغي
ان يكون في الاخرة وفي الاخرة لا يبقى دعوى وبينه لظهور الامور ٥

والفصل بين اهل الثبور والحبور وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم هو
اكمل الاشياء وهو اخرها الذي لا شي فوقه ولنذكر في مسايل الاولى ما
الرافع لقوله سلام نقول يحتمل ذلك وجوها احدها هو بدل مما يدعون
كانه تعالى لما قال لهم ما يدعون بينه ببدله فقال لهم سلام فيكون
في المعنى كالمبتدا الذي خبره جار ومجرور كما يقال في الدار رجل ولزيد
مال وان كان في النحو ليس كذلك بل هو بدل وبدل النكرة من المعرفه
جايز فيكون ما بمعنى الذي معرفه ويكون سلام نكره ويحتمل على هذا ان
يقال ما في قوله تعالى ما يدعون لا موصوفه ولا موصوله بل هي نكره
تقديره لهم شي يدعون ثم بين بذكر البدل فقال سلام والاول هو
الصحيح ثانيها سلام خبر ما ولهم لبيان الجهة تقديره ما يدعون سالم لهم
اي خالص لهم والسلام بمعنى السالم او السليم يقال عبد سلام اي سليم
من العيوب كما يقال لزيد الشرف متوفر فالجار والمجرور يكون لبيان من
له ذلك الشرف وهو المبتدا ومتوفر خبره ثالثها قوله تعالى
سلام منقطع عما تقدم وسلام مبتدا وخبره محذوف تقديره سلام عليهم
فيكون ذلك اخبارا من الله تعالى في يوم شاهدا كانه تعالى حكى لنا وقال
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل ثم لما كمل بيان حالهم قال سلام عليهم وهذا
كما في قوله تعالى سلام على نوح وسلام على المرسلين فيكون الله احسن الى
عباده المومنين كما احسن الى عباده المرسلين وهذا وجه متكرر حدا ما
يدل عليه متقول او يقول تقديره سلام عليكم ويكون هذا نوعا من
الالتفات حيث قال لهم كذا وكذا ثم قال سلام عليكم **المسلة الثانية**
قولا منصوب بماذا نقول يحتمل وجوها احدها نصب على المصدر تقديره

على

على قولنا المراد لهم سلام هو ان يقال لهم سلام يقوله الله قولا او يقوله
الملايكة قولا وعلى قولنا ما يدعون سالم لهم تقديره قال الله عز وجل
ذلك قولا ووعدهم بان لهم ما يدعون سالم وعدا وعلى قولنا سلم عليهم
تقديره اقوله قولا وقوله من رب رحيم يكون لبيان ان السلام منه
اي سلم عليهم من رحيم قوله قولا يحتمل ان يقال على هذا مميز لان السلام
قد يكون قولا وقد يكون فعلا فان من دخل على الملك فطاطا راسه يقول
سلمت على الملك وهو حينيذ كقول القايل البيع موجود حكما لا حسا
وزيد ممنوع عنه قطعا لا ظنا **المسله الثالثة** قال في
السلام من رب رحيم وقال في غيره من انواع الاكرام نزلا من غفور
رحيم فهل بينهما فرق نقول نعم اما هناك فلان النزل ما يرزق النزيل
اولا وذلك فان كان يدل على ما تقدم فان النزيل اذا اكرم اولا يدل
على انه مكرم واذا اخل باكرامه في الاول يدل على انه مهان دايم الاهانه
غير ان ذلك غير مقطوع به لجواز ان يكون الملك واسع الرزق
فيرزق منزله اولا ولا يمنع منه الطعام والشراب وساهه في غيره
فقال غفورا امنا العبد ولا يقول بان الاطعام قد يوجد ممن يعاقب
بعده والسلام يظهر رتبة المسلم لا معرفته فقال رب لان رب الشي
مالكه الذي نظر الى علو مرتبته لا يرجى منه الالتفات اليه بالتعظيم
فاذا سلم عليه فتعجب منه وقيل انظر هو سيده ويسلم عليه ثم قال
تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون وفيه وجوه منها تبيين وجه
الترتيب ايضا الاول امتازوا في انفسكم وتفرقوا كما قال تعالى
تكاد تميز من الغيظ اي بعضه من بعض غيظا ان تميزهم من الحسرة

والندامة ووجه الترتيب حينيد ان المجرم يرى منزلة المومن ورفعته ونزول دركته وضيعته يتحسر فيقال لهم امتازوا اليوم اذ لا دوالملكم ولا شفا لغمتكم الثاني امتازوا عن المومنين وذلك لانهم يكونون شاهدين لما يصل الى المومن من الثواب والاكرام يقال لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فلم يبق لكم اجتماع بهم ابدًا الثالث امتازوا بعضكم عن بعض على خلاف ما للمومن من الاجتماع بالاخوان الذي اشار اليه بقوله تعالى هم وازواجهم واهل النار يكون لهم العذاب الاليم وعذاب الفرقة ايضًا ولا عذاب فوق الفرقة بل العقلا قالوا بان كل عذاب هو سبب تفرق اتصال فان من قطع يده او احرق جسده فالما يتالم بتفرق المتصلات بعضها عن بعض لكن التفرق الجسمي دون التفرق العقلي الرابع امتازوا عن شفعايكم وقربايكم ما لكم اليوم شفيع ولا حميم الخامس امتازوا عما ترجون واعتزلوا عن كل خير والمجرم هو الذي ياتي بالجريمه ويحتمل ان يقال بان المراد منه ان الله تعالى يقول امتازوا فيظهر عليهم سيما يعرفون به كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ وحينيذ يكون قوله تعالى وامتازوا امر تكوين كما انه يقول كن فيكون كذلك قوله وامتازوا فيمتازون بسيماهم ويظهر على جباههم او في وجوههم سواد ثم قال عز وجل الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان لما ذكر الله تعالى حال المومنين والمجرمين كان لقايل ان يقول ان الانسان كان ظلومًا جهولًا والجهل من الاعذار فقال الله لك عند علم الانذار وقد سبق ايضاح السبيل بايضاح الرسل وعهدنا اليكم وامرنا عليكم ما ينبغي ان تفعلوه وما لا ينبغي وفي الايه مسايل الاولى

بسبب

في

في اللغات التي في اعهد وهي كثيره الاولى كسر الهمزه اعهد وحروف الاستقبال كلها تكسر غير اليا فيقال نعلم وتعلم الثانيه كسر الها من باب ضرب يضرب الثالثه قلب العين حا احهد وذلك في كل عين بعدها ها الرابعه ادغام الحا بعد القلب فيقال الم احد وقد سمع قوم يقولون دحا محا اي دعها معها **المسله الثانيه** في معنى اعهد وجوه اقربها وافواها الم اوص لكم **المسله الثالثه** في هذا العهد وجوه الاول انه هو العهد الذي كان مع ابينا ادم بقوله وعهدنا الى ادم الثاني انه كان مع ذريه ادم بقوله الست بربكم قالوا بلى فان ذلك يعني ان لا يعبد غير الله الثالث وهو الاقرب ان ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول ولذلك اتفق العقلا على ان الشيطان يامر بالشر وان اختلفوا في حقيقته او كيفيته **المسله الرابعه** قوله لا تعبدوه معناه لا تطيعوه بدليل ان المنهي ليس هو السجود له فحسب بل الانقياد لامره والطاعة له فالطاعة عبادة لا يقال فنكون نحن مامورون بعبادة الامرا حيث امرنا بطاعتهم في قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم لانا نقول طاعتهم اذا كان بامر الله لا يكون الا عبادة لله وطاعة له وكيف لا ونفس السجود والركوع للغير اذا كان بامر الله لا يكون الا عبادة لله عز وجل الا ترى ان الملايكة سجدوا لادم ولم يكن ذلك الا عبادة لله وانما عبادة الامرا هو طاعتهم فيما لم ياذن الله فيه فان قيل بماذا يعلم طاعة الشيطان من طاعة الرحمن مع انا لا نسمع من الشيطان خبرًا ولا نرى منه اثرًا نقول عبادة الشيطان في مخالفة امر الله

الهامش

د

ن

والاتيان بما امره الله لا لانه امر به ففي بعض الاوقات يكون الشيطان
يامرك وهو في غيرك وهو بعض الاوقات يامرك وهو فيك فاذا جاءك
شخص يامرك بشي فانظر ان ذلك موافق لامر الله او ليس موافقا فان لم يكن
موافقا فذلك الشخص معه شيطان يامرك بما لا يامرك الله به فان اطعته
فقد عبدت الشيطان وان دعتك نفسك الى فعل ما فانظر ما دون فيه
من جهة الشرع او ليس كذلك فان لم يكن ماذونا فيه فنفسك هي الشيطان
او معها الشيطان يدعوك فان اتبعته فقد عبدته ثم ان الشيطان يامر
اولا بمخالفة الله ظاهرا فان اطيع فقد عبد وان لم يطع لا يرجع عنه بل يقول
له اعبد الله كيلا تهان وليرتفع عند الناس شانك وينتفع بك اخوانك
واعوانك فان اجيب اليه فقد عبد لكن عبادة الشيطان على تفاوت وذلك
لان الاعمال منها ما يقع والعامل موافق فيه جنانه ولسانه واركانه
ومنها ما يقع والجنان واللسان مخالف للجوارح والاركان فمن الناس من
يرتكب جريمة كارها بقلبه لما يفترق من دينه مستغفرا لربه معترفا
بسوء ما يقترف فهو عبادة للشيطان بالاعضاء الظاهرة ومنهم من
يرتكبها وقلبه طيب لسانه رطب كما انك تجد كثيرا من الناس يفرح بكونه
مترددا الى باب الظلمة للسعاية ويعد من المحاسن كونه ساريا مع الملوك
ويفتخر بلسانه وتجدهم يفرحون لكونهم امروا من الملك بالظلم والملك ينقاد
لهما ويفرحون بكونه يامرهم بالظلم فيظلمون فرحين بما ورد عليهم من الامر اذا
عرفت هذا فالطاعة التي بالاعضاء الظاهرة والبواطن طاهرة مكفرة بالاسقام
والالام كما ورد في الاخبار ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب
اي لمثل هذه الذنوب ويدل عليه ما قال عليه السلام في الحدود انها كفارات
وما

وما يكون بالقلوب فلا خلاص عنه الا بالتوبة والندم واقبال القلب على
الرب وما يكون باللسان فهو من قبيل ما يكون بالقلب في الظاهر والمثال يوضح
الحال فنقول اذا كان عند السلطان وله غلمان هم من خواص الامير واتباع
بعدا من عوام الناس فاذا صدر من الامير مخالفة ومشادة على مع عدو
السلطان ومصادقة بينهما لا يعفو عن ذلك الا اذا كان في غاية الصفح او
يكون للامير عنده يد سابقة او توبة لاحقة فان صدر من خواص الامير
مخالفة وهو به عالم ولم يزجره عرفت المخالفة موجودة وان كان كارها
ولظهر الانكار حسنت معاتبته دون معاقبته لان اقدام خواصه على المخالفة
دليل سوء التربية فان كان الصادر من الحواشي الاباعد وبلغ الامير
ولم يزجر عوتب الامير فان زجره استحق الامير بذلك الزجر الاكرام وحسن
من الامير ان يسدي الى المزجور بالاحسان والانعام ان علم حصول الانزجار
اذا علمت هذا فالقلب امير واللسان خاصته والاعضاء خدمه فما يصدر
من القلب فهو القلب من الذنوب فان اقبل على محبة غير الله فهو الويل
العظيم والضلال المبين المستعقب للعقاب الاليم والعذاب
المهين وما يصدر من اللسان فهو محسوب على القلب ولا يقبل قوله
ان لم ينكر فعله وما يصدر من الاعضاء والقلب قد اظهر عليه الانكار
وحصل له الانزجار فهو الذنب الذي حكى النبي صلى الله عليه وسلم عن
ربه انه قال لو لم تذنبوا لخلقت اقواما يذنبون ويستغفرون فاغفر
لهم وها هنا لطيفة وهو ان الشيطان قد يرجع عن عبد من عباد الله
فرحان يظن انه قد حصل مقصوده من الاغواء حيث يرى ذلك العبد
ارتكب الذنب ظاهرا ويكون بذلك رافعا الدرجة العبد فان بالذنب

بنكسر قلب العابد فيخلص من الاعجاب بنفسه وعبادته ويصير اقرب من المقربين
لان من لا يذنب مقرب عند الله كما قال عز وجل لهم درجات عند ربهم والمذنب
التايب النادم المنكسر القلب والله عنده كما قال عليه السلم انا عند المنكسرة
قلوبهم وفرق بين من يكون عند الله وفرق بين من يكون عند الله وبين من يكون
الله عنده ولعل ما حكى من الذنوب الصادرة من الانبيا من هذا القبيل ليحصل
لهم الفضيلة على الملايكة حيث تبجحوا بانفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك وقد يرجع الشيطان عن اخر قد امره بشى فلم يفعله والشخص يظن انه غلب
الشيطان ورده جانبا فيتبجح في نفسه وهو لا يعلم ان الشيطان رجع عنه
فيحصل المقصود مقبولا غير مردود ومن هذا تبين امر اصولي وهو ان الناس
اختلفوا في ان الذنب هل يخرج من الايمان ام لا وبيت الخلاف وقوع نظر
الخصمين على امرين متباينين فالذنب الذى بالجسد لا بالقلب لا يخرج بل قد
يزيد في الايمان والذى بالقلب معه الخروج عن ربقة الايمان وكذلك
اختلفوا في عصمة الانبيا عن الذنوب والاشبه ان الجسدي جايز عليهم
والقران دليل عليه والقلبي لا يجوز عليهم ثم انه تعالى لما نهى عباده عن عبادة
الشيطان ذكر ما يحملهم عن قبول ما امرهم به والانتها عما نهوا عنه بقوله انه
لكم عدو مبين وفيه مسايل الاولى من اين حصلت العداوة بين الشيطان
والانسان فنقول ابتداوها من الشيطان وسببه تكريم الله ابن ادم لما
راى ابليس رتبة كرم بنى ادم وبسببه عاداهم تعاداه الله تعالى والاول منه
لوم والثاني ومن الله كرم اما الاول فلان الملك اذا الزم شخصا ولم ينقص
من الاجر شى اذ لا يصل في الخزانه بعداوة من يعادى ذلك المكرم لا يكون
الا لوما واما الثاني فلان الملك اذا علم ان اكرامه ليس الا منه وذلك الضعيف
ما

ما كان يقدر ان يصل الى بعض تلك المنزلة لولا اكرام الملك يعلم ان
من يبغضه ينكر فعل الملك او ينسب الى خزاينه ضيقا وكلاهما يحسن
التعذيب فيعاديه اتماما للاكرام واكراما للافضال ثم ان اكثر الناس
الناس على مذهب ابليس اذا راوا احدا عند ملك محترما ابغضوه
وسعوا فيه اقامة لسنة ابليس فالملك ان لم يكن متخلقا باخلاق الله لا
يبعد الساعى ويسمع كلامه ويترك اكرام ذلك الشخص واحترامه
المسلة الثانية من ان ابليس عداوته نقول لما اكرم الله عز وجل
ادم عاداه ابليس وظن انه يبقى في منزلته وادم في منزلته مثل ما عصى
عند ملك والله تعالى كان عالما بالضماير فابعده واظهر امره واظهر
هو من نفسه ما كان خفية لزوال ما كان يحمله على الاخفاء فقال
لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقال لاحتنكن ذريته **المسلة
الثالثة** اذا كان الشيطان للانسان عدوا مبينا كما قال
الانسان يميل الى مراضيه من الشرب والزنا ويكره مساخطه
من المجاهدة والعبادة نقول سبب ذلك استعانة الشيطان
باعوان من عند الانسان وترك استعانة الانسان بالله فيستعين
شهوته التى خلقها الله فيه لمصالح بقايه وبقا نوعه ويجعلها سببا
لفساد حاله ويدعوه بها الى مسالك المهالك وكذلك يستعين
بغضبه الذى خلقه فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله
وفساد احواله وميل الانسان الى المعاصى كميل المريض الى المضار
وذلك حيث ينحرف المزاج عن الاعتدال فيرى المحموم يريد
الما البارد وهو يزيد في مرضه ومن به فساد المعده ولا يهضم القليل

من الغدا يميل الى الاكل الكثير ولا يشبع بشي وهو يزيد في معدته
فسادًا وصحيح المزاج لا يشتهي الا ما ينفعه فالدنيا كالهوا الذي
لا سعي فيه من استنشاق الهوي وهو المفسد لمساحه ولا طريق
له غير اصلاح الهوا بالروايح الطيبة والاشيا الذكية والرش
بالخل والماورد من جملة المصلحات وكذلك الانسان في الدنيا لا سعي
من امورها وهي المعساب للشيطان وطريقه ترك الهوا وتعليل النامل
وتحريف الهوا بالذكر الطيب والزهد واذا صح مزاج عقله ولا يميل الا
الى الحق ولا يبقى عليه في التكاليف كلفة ويحصل له مع الامور الالهية
الفة وهناك لعرب الشيطان بانه ليس عليه سلطان ثم قال
عز وجل وان اعبدوني هذا صراط مستقيم لما منع من عبادة
الشيطان حمل على عبادة الرحمن والشارع طبيب الارواح كما ان
الطبيب طبيب الاشباح وكما ان الطبيب يقول للمريض لا تفعل كذا
ولا تاكل من ذا وهي الحمية التي هي راس الدواء والبلا يزيد مرضه
ثم يقول له تناول الدوا الفلاني يقويه يقويه المقاومة للمرض كذلك
الشارع منع من المفسده وهو اتباع الشيطان وحمل على المصلح وهو عبادة
الرحمن وفيه مسايل الاولى عند المنع من عبادة الشيطان قال انه
لكم عدو مبين لان العداوه ابلغ الموانع من الاتباع وعند الامر بعبادة
الرحمن لم يقل انه لكم حبيب لان المحبة لا توجب متابعة المحبوب بل ربما يورث
ذلك الاتكال على المحبة فيقول انه يحبني ولا حاجة الى تحمل المشقة وتحصيل
تراضيه بل ذكر ما هو ابلغ الاشيا في الحمل على العبادة وذلك كونه طريقًا
مستقيما وذلك لان الانسان في دار الدنيا في منزل قفر مخوف وهو متوجه

الى دار اقامة فيها اخوانه والنازل في بادية خالية يخاف على روحه
وماله لا يكون عنده شي احب من طريق قريب فلما قال تعالى هذا صراط
مستقيم كان ذلك سببا حادثا على السلوك وفي ضمير قوله تعالى
هذا صراط مستقيم كان ذلك سببا حادثا على السلوك وفي ضمن قوله
تعالى هذا صراط اشارة الى ان الانسان مختار لانه لو كان في
دار اقامة فقوله هذا صراط لا يكون له معنى لان المقيم يقول وما
ذا افعل بالطريق وانا من المقيمين **المسئلة الثانية**
ماذا يدل على كونه طريقا مستقيما يقول الانسان مسافر اما مسافر
راجع الى وطنه او مسافر تاجر له متاع ويد يتجر فيه وعلى الوجهين
فالله هو المقصد اما الوطن فلانه لا يوطن الا في مامن ولا امن الا
بملك لا يزول ملكه لان عند زوال ملك الملوك لا يبقى الامن والراحة
والله هو الذي ملكه دايم وكل ما عداه فهو فان واما التجارة فان
التاجر لا يقصد الا الى موضع يبيع او يعلم ان لمتاعه هناك رواجا
والله تعالى يقول ان العمل الصالح عنده مثاب عليه مقابل باضعاف
ما يستحق فالله هو المقصد وعبادته توجه اليه ولا شك ان القاصد
لجهة اذا توجه اليها يكون على الطريق المستقيم **المسئله الثالثه**
العبادة تنبي عن معنى التذلل فلما قال لا تعبدوا الشيطان لزم ان
يتكبر الانسان على ما سوى الله تعالى ولما قال وان اعبدوني ينبغي ان
لا يتكبر على الله لكن التكبر على ما سوى الله ليس معناه ان يرى نفسه خيرا
من غيره فان نفسه من جمله ما سوى الله فينبغي ان لا يلتفت اليها ولو كانت
متجملة بعبادة الله بل معنى التكبر غاية التواضع فانه حينيذ لا

نيقاد لنفسه وحط نفسه فى التفرق على غيره فلا يتفرق فيحصل التواضع
التام فيرى نفسه هذا التكبر دون الفقير وفوق الامير ثم ان الله تعالى
ذكر ما بينه لعداوة الشيطان بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وفى
الاية مسايل الاولى فى الجبل ست لغات بكسر الجيم تشديد اللام
وضمها مع التشديد وكسرها مع الجيم لتخفيف وضمهما معه وتسكين البا
وتخفيف اللام مع ضم الجيم ومع كسرة الثانية فى معنى الجبل الجيم والبا
واللام لا تخلوا عن معنى الاجتماع الجبل فيه اجتماع اجزاء الماء والتراب
وشاة جبا اذا كانت مجتمعة اللبن الكثير لا يقال اللحه نقض على ما ذكرتم
فانها تبنى عن التفرق وان لا يلح خلاف المفرون لانا نقول هى لاجتماع الاماكن
الخالية التى تسع الممكنات فان اللجة والبلدة بمعنى والبلد سمى بلدا
للاجتماع لا للتفرق والجبل الجمع العظيم حتى قيل ان دون العشرة
الاف لا يكون لا يكون جبلا وان لم يكن صحيحا **المسئلة الثالثة**
كيف الاضلال نقول على وجهين لان الضلال على وجهين توليه على العمد
وخدعه بامر البعض بترك عبادة الله وبعبادة غيره فهو توليه فان
لم يعدف بامره بعبادة الله لامر غير الله من رياسة وجاه وغيرهما فهو جيد
وهو بعض الى التوليه لان مقصوده لو حصل لترك الله واقبل على ذلك
الغير فيحصل التولية ثم بين ما لاهل بقوله هذه جهنم التى كنتم توعدون
وحال الضال كحال شخص خرج من وطنه مخافة عدوه فوقع فى مسبعة
ولو اقام بوطنه لعل ذلك العدو كان لا يظفر به او يرحمه كذلك حال
من لم يتحرك بطاعة ولا عصيان كالمجانين وحال من استعمل عقله فاخطا
الطريق فان المجنون من اهل النجاه وان لم يكن من اهل الدرجات وقد

قيل بان البلاهة ادنى الى الخلاص من وطانه سر او ذلك ظاهر
فى المحسوس فان من لم يعرف الطريق اذا اقام بمكانه لا يبعد
عن الطريق كثيرا ومن حاف سار الى خلاف المقصد بعد عنه كثيرا
ثم بين انهم واصلون اليها ماصلون فيها بقوله اصلوها اليوم بما
كنتم تكفرون وفى هذا الكلام ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم
من ثلثه اوجه احدها اصلوها اليوم فانه امر تنكيل واهانة
كقوله ذق انك انت العزيز الثانى قوله اليوم يعنى العذاب
حاضر ولذاتها قد مضت واىامها قد انقضت وبقى اليوم العذاب
الثالث قوله بما كنتم تكفرون فان الكفر والكفران ينبى عن نعمة
كانت يكفر بها وحيا الكفور من المنعم اشد الالام ولهذا اكثر ما تقول
العبد المجرم افعلوا فى ما يامر به السيد ولا تحضروني بين يديه والى
هذا المعنى اشار القائل اليس كاف الذى ههنا المسى من المحسن
ثم قال تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
فى الترتيب وجوه الاول انهم حين سمعوا قوله تعالى بما كنتم تكفرون
يريدون تنكرون كفرهم كما قال تعالى عنهم ما اشركنا وقالوا امنا
به فيختم الله على افواههم فلا يقدرون على الانكار وينطق الله على لسانهم
من الجوارح فيعرفون بذنوبهم الثانى لما قال الله تعالى لهم الم اعهد
اليكم لم يكن لهم جواب فسكتوا وخرسوا وتكلمت اعضاؤهم غير اللسان
وفى الختم على الافواه وجوها افواها ان الله تعالى سكت السنتهم
فلا ينطقون بها وينطق جوارحهم فيشهدون عليهم وانه فى قدرة
الله يسر اما الاسكات فلا خفا فيه واما الانطاق فلان اللسان

عضو متحرك بحركة مخصوصة كما جاز تحريكه بها جاز تحريك غيره بمثلها والله
قادر على الممكنات والوجه الاخر انهم لا يتكلمون بشيء لانقطاع اعذارهم
وانهتاك استارهم فيقفون ناكسوا الرؤس وقوف القنوط اليوس
لا يجد عذرًا فيعتذر ولا مجال قدرة توبة فيستغفر وتكلم الايدي
ظهور الامور بحيث لا يسع معه الانكار حتى تنطق الايدي والابصار
كما يقول القايل الحيطان تبكي على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن
والاول الصحيح وفيه لطايف لفظية ومعنويه اما اللفظيه فالاولي
منها ان الله تعالى اسند فعل الختم الى نفسه وقال الختم واسند الكلام
والشهادة الى الايدي والارجل لانه قال تعالى نختم على افواههم وتنطق
ايديهم يكون فيه احتمال ان ذلك منهم كان جبرًا وقهرًا والاقرار
بالاجبار غير مقبول فقال تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم اي
باختيارها بعد ما يقدرها الله تعالى على الكلام ليكون ادل على
صدور الذنب منهم الثانيه منها هي ان الله تعالي قال تكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم جعل الشهاده للارجل والكلام للايدي لان الافعال
تسند الى الايدي قال تعالى وما عملته ايديهم اي ما عملوه وقال
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه اى ولا تلقوا بانفسكم الى التهلكه فاذا
الايدي كالعامله والشاهد على العامل ينبغي ان يكون غيره فجعل
الارجل والجلود من جملة الشهود لبعد اضافة الافعال اما المعنويه
فمنها ان يوم القيامة من تقبل شهادته من المقربين والصديقين
كلهم اعدا المجرمين وشهادة العدو على العدو غير مقبول الشهادة
فجعل الله الشاهد عليهم منهم لا يقال الايدي والارجل ايضا صدرت

الذنوب منها فهي فسقه فينبغي ان لا تقبل شهادتهما لانا نقول في
رد شهادتهما قبول شهادتهما لانها ان كذبت في مثل ذلك اليوم
فقد صدر الذنب منها في ذلك اليوم والمذنب في ذلك اليوم
في ظهور الامور لا بد من ان يكون مذنبا في الدنيا وهذا كمن قال
الفاسق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدي حر فقال الفاسق
كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدق في قوله كذبت
في نهار هذا اليوم فقد وجد الشرط وترك الجزا وان كذب
في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم فوجد الشرط ايضا
بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار اليوم الذي علقت
عتق عبدك على كذبك فيه الثانيه ليختم لازم الكفار في الدنيا على
قلوبهم وفي الاخرة على افواههم ففي الوقت الذي كان الختم على القلوب
كان قولهم بافواههم كما قال تعالى ذلك قولهم بافواههم فلما ختم على
افواههم ايضا لزم ان يكون قولهم باعضايهم لان الانسان لا يملك غير
القلب واللسان والاعضا فاذا لم يبق القلب والفم على بعين الجوارح
والاركان ثم انه تعالى قال ولو نشا لطمسنا على اعينهم فاستبقوا
الصراط فانى يبصرون وقد ذكرنا مرارًا ان الصراط المستقيم بين
الجبر والقدر وهي الطريقة الوسطى والله تعالى في كل موضع ذكر
عقيبه ما يتمسك به القدريه وبالعكس وهاهنا كذلك لما قال
الله تعالى وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقال اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون وكان ذلك متمسك القدريه حيث اسند الله
تعالى الكفر والكسب اليهم واحال الخير والشر عليهم ذكر عقيبه ما

يدلُّ على ان كفرهم وكسبهم بمشية الله وذلك لان الكفر بعمى البصيرة
وضعف القوه العقليه وعمى البصيرة بارادة الله ومشيته اذا شا
اعمى البصاير كما انهُ لوشا لطمس على اعينهم المبصره وسلب القوه العقليه
باختياره ومشيته كما انه لوشا لطمس على اعينهم المبصره وسلب القوه
العقلية باختياره ومشيته كما ان سلب القوة الجسمية بمشيته حتى لو
شا لمسخ المكلف على مكانته واقامه بحيث لا يتحرك يمنة ويسرة
ولا يقدر على المضى والرجوع فاعما البصاير عنده كاعما الابصار وسلب
القوة العقليه كسلب القوة الجسمية فقال ولو نشا لطمسنا على اعينهم
اشارة الى انهُ شا واراد اعما بصايرهم فضلوا وايته انه لو شا طمس
اعينهم لما اهتدوا الى طريقتهم الظاهره وشا واختار سلب قوة عقولهم
فزلوا وايته انهُ لو شا سلب قوة اجسامهم ومسخهم لما قدروا على تقدم
ولا تاخر وفي الايتين ابحاث لطيفة الاول في قوله فاستبقوا الصراط
قال الزمخشرى رحمه الله فيه وجوه الاول انه يكون فيه حذف الجار
وايصال من غير حرف واصله فاستبقوا الى الصراط الثانى ان يكون
المراد من الاستباق الابتدار فاعمله اعمال الابتدار الثالث ان يجعل
الصراط مستبقًا اليه يقال استبقا فسبقتهم وحينيذ يكون مبالغة
في اهتداء الطريق كانهُ يقول الصراط الذى هو معهم ولسوا طالبين
قاصدين اياه وانما هم عليه اذا طمس الله على اعينهم ولا يبصرونهُ وكيف
لم يكونوا على الصراط البحث الثانى قدم الطمس والاعما على المسخ
والاعمار ليكون الكلام مدرجًا كانه قال ان اعماهم لما راوا الطريق
الذى هم عليه وحينيذ لا يهتدون اليه فان قال قايل الاعما قد يهتدي

الى الطريق باشارات عقله او حسنه غير حس البصر كالاصوات
وكالمشى يحس اللمس فاربعى وقال فلو مسخهم وسلب قوتهم الكليه لا يهتدون
الى الصراط بوجه من الوجوه البحث الثالث قدم المضى على الرجوع
لان الرجوع اهون من المضى لانه عن سلوك الطريق نيل واما الرجوع
فيبنى عنهُ ولا شك ان سلوك طريق قد راى مرة اهون من سلوك
طريق لم ير فقال لا يستطيعون مضيا ولا يرجعون اقل من ذلك
وهو الرجوع الذي اهون من المضى ثم قال تعالى ومن نعمرهُ
ننكسه في الخلق افلا يعقلون قد ذكرنا ان قوله الم اعهد اليكم قطع
الاعذار بسبق الانذار لما ندر ذلك وانه شرع في قطع عذر اخر
وهو ان الكافر يقول لم يكن لبثنا في الدنيا الا يسيرا ولو عمرنا لما وجد
منا تقصيرًا فقال الله تعالى افلا يعقلون انكم كلما دخلتم في السن ضعفتم
وقد عمرناكم مقدارا ما تتمكنون من البحث بالادراك كما قال تعالى اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ثم انكم علمتم ان الزمان كلما يغير عليكم يزداد
ضعفكم فضيعتم زمان الامكان فلو عمرناكم اكثر من ذلك لكان مده زمان
الازمان ومن لم يات بالواجب زمان الامكان ما كان ياتى به زمان
الازمان ثم قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر
وقران مبين في الترتيب وجهان قد ذكرنا ان الله في كل موضع ذكر
اصلين من الاصول الثلثه وهى الوحدانية والرساله والحشر اما الو
ففى قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان
وفي قوله وان اعبدونى هذا صراط مستقيم واما الحشر ففى قوله
تعالى اصلوها اليوم وبقوله اليوم نختم الى غير ذلك فلا نذكرها

ومنهما ذكرا لاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر اشاره
الى انه معلم من عند الله نعلمه ما اراد ولم نعلمه ما لم يرد وفي تفسير الايه
مباحث الاول خص الشعر بنفي التعليم مع ان الكفار كانوا ينسبون
الى النبي صلى الله عليه وسلم اشيا من جملتها السحر ولم يقل وما علمناه السحر
وكذلك كانوا ينسبونه الى الكهانه ولم يقل وما علمناه الكهانه فنقول
اما الكهانه فكانوا ينسبون النبي صلى الله عليه وسلم اليه عندما كان يخبر
عن الغيوب ويكون كما يقول واما السحر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان
يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكلم الحصى والجذع وغير
ذلك واما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلوا القران عليهم
لكنه عليه السلم ما كان يتحدى الا بالقران كما قال تعالى وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى غير ذلك ولم يقل ان
كنتم في شك في رسالتي فانطقوا الجذوع او اشبعوا الخلق العظيم او
اخبروا بالغيوب فلما كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا
ينسبونه الى الشعر عند الكلام حصل للكلام بنفي التعليم المسئله
الثانية ما معنى قوله تعالى وما ينبغي له قلنا قال قوم ما كان
يتاتى له واخرون ما كان يتسهل له حتى انه ان تمثل ببيت شعر سمع منه مزحفا
يروى انه كان يقول صلى الله عليه وسلم ويأتيك من لم تزود بالاخبار
وفيه وجه احسن من ذلك وهو ان الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له وذلك
لان الشعر يدعوا الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن فالشاعر يكون
اللفظ منه تبعًا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعًا للفظ لانه يقصد
لفظًا به يصح لفظ الشعر او قافيه فيحتاج الى التحيل للمعنى بان ياتي به لاجل ذلك
اللفظ

اللفظ وعلى هذا نقول الشعر هو الكلام الموزون الذي قصد الى
وزنه قصدًا اوليًا واما من يقصد المعنى فيصدر موزونًا مقفى لا يكون
شاعرًا الا ترى ان قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليس
بشعر والشاعر اذا صدر منه كلام فيه متحركات وساكنات بعدد
ما في الايه تقطعه بفاعلات فاعلات ويكون شعرًا لانه قصدا لاتيان
بالفاظ حروفها متحركه وساكنه كذلك والمعنى تبعه والحكيم قصد المعنى
فجا على تلك الالفاظ وعلى هذا حصل الجواب عن قول من يقول ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر بيت شعر وهو قوله انا النبي
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
او يقال لانا نقول ذلك ليس بشعر لعدم قصده الى الوزن والقافيه
وعلى هذا لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم كلام كثير موزون مقفى لا
يكون شعرًا لعدم قصده اللفظ قصدًا اوليًا ويؤيد ما ذكرنا انك
اذا تتبعت كلام الناس في الاسواق تجد ما يكون موزونًا واقعًا في
بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم به شاعرًا ولا الكلام شعرًا لفقد
القصد الى اللفظ اولًا ثم قوله تعالى ان هو الا ذكر وقران مبين
يحقق ذلك المعنى اي هو ذكر وموعظة القصد الى المعنى والشعر
لفظ مزخرف بالقافيه والوزن وههنا لطيفة وهو ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكمه يعني قد يقصد الشاعر
اللفظ فيوافقه معنى حكمي كما ان الحكيم قد يقصد معنى فيوافقه
وزن شعري لكن الحكيم بسبب ذلك الوزن لا يصير شاعرًا والشاعر
بسبب ذلك الذكر يصير حكيمًا حيث سمى النبي صلى الله عليه وسلم شعره حكمه

ونفى الله كون النبي شاعرا وذلك اللفظ قالب المعنى والمعنى قلب اللفظ
وروحه فاذا وجد القلب لا نظر الى القالب فيكون الحكيم الموزون
كلامه حكيما ولا يخرجه عن الحكمة وزن كلامه فالشاعر الموعظي كلامه
حكما ثم قال تعالى لينذر من كان حيا قرئ بالياء والتاء خطابا
مع النبي صلى الله عليه وسلم وبالياء على وجهين احدهما ان يكون المنذر
هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث سبق ذكره في قوله وما علمناه
وقوله وما ينبغي له وثانيهما ان يكون المراد ان القران لينذر والاول
اقرب الى المعنى والثاني اقرب الى اللفظ اما اولا فلان المنذر صفة
الرسل اكثر ورودا من المنذر صفة الكتب واما ثانيا فلان القران
الى المذكورين الى قوله لينذر وقوله من كان حيا اي من كان حي القلب
ويحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من كان حيا في علم الله فينذر به فيؤمن
والثاني لينذر به من كان حيا في نفس الامر اي من امن بنذره بما
على المعاصي من العقاب وبما على الطاعة من الثواب ويحق القول على
الكافرين اما القول العذاب وكلمته كما قال تعالى ولكن حق القول
مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقوله تعالى وحقت
كلمة العذاب وذلك لان الله تعالى قال وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاذا جاء حق التعذيب على من وجد منه التكذيب واما القول
المنقول في الوحدانية والرسالة والحشر وسائر المسائل الاصولية الدينية
فان القران فيه ذكر الدلائل التي بها يثبت المطالب ثم انه تعالى اعاد الوحدانية
ودلائل دالة عليها وقال اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما
اي من جملة ما عملت ايدينا اي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه
بقدرتنا

بقدرتنا وارادتنا وقوله فهم لها مالكون اشارة الى اتمام الانعام في
خلق الانعام فانه تعالى لو خلقها ولم يملكها الانسان ما كان ينتفع بها
وقوله وذللناها لهم زيادة انعام فان المملوك اذا كان متمردا
لا ينتفع فلو كان الانسان يملك الانعام وهي نادة ضالة لما تم الانعام
الذي في الركوب وان كان تحصيل الاكل كما في الحيوانات الوحشية
لا بل ما كان يكمل نعمة الاكل ايضا الا بالبعث الذي في الاصطياد ولعل
ذلك لا يتهيأ وقوله فمنها ركوبهم ومنها يأكلون بيان لمنفعة
التذليل اذ لولا التذليل لما وجد احدى المنفعتين وكانت الاخرى
قليلة الوجود ثم بين غير الركوب والاكل من الفوائد بقوله ولهم
فيها منافع ومشارب وذلك لان من الحيوانات ما لا يركب كالغنم فقال
المنافع ليعمها والمشارب كذلك عامة ان قلنا بان المراد جمع مشرب وهو
الانية فان من الجلود تتخذ اواني الشرب والادوات من القرب
والادلاء وان قلنا ان المراد المشروب وهي الالبان والاسمان فهي
مختصة بالاناث ولكن بسبب الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو
بالذكور والاناث ثم قال تعالى افلا يشكرون هذه النعم
توجب العبادة شكرا ولو شكرتم لزادكم من فضله وان كفرتم سلبها
منكم بما قولكم افلا تشكرون استدامة لها واستزادة فيها ثم قال
تعالى واتخذوا من دونه الهة اشارة الى زيادة ضلالهم ونهايتها
فانهم كان الواجب عليهم عبادة الله شكرا لانعمه فتركوها واقبلوا على
عبادة من لا يضر ولا ينفع وتوقعوا منه النصرة مع انهم هم الناصرون
لهم كما قال عنهم حرقوه وانصروا الهتكم وفي الحقيقة لا هي ناصرة لهم ولا منتصرة

وقوله تعالى وهم لهم جند محضرون اشارة الى الحشر بعد تقرير التوحيد
وهذا لقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقوله اوليك فى العذاب محضرون وهو يحتمل معنيين
احدهما ان يكون العابدون جندا لما اتخذوه الهة كما ذكرنا الثاني
ان يكون الاصنام جندا للعابدين وعلى هذا ففيه معنى لطيف وهو
انه تعالى لما قال لا يستطيعون نصرهم حال ما يكون جندا لهم ويحضرون
لنصرتهم فان ذلك دال على عدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع
ثم عجز عن النصرة يكون فى غاية الضعف بخلاف من لم يكن متاهبا ولم
يجمع انصاره وقوله فلا يحزنك قولهم اشارة الى الرسالة لان الخطاب
معه بما يوجب تسلية قلبه دليل اجتبائه واحسان اياه وقوله
انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل وجوها احدها يكون ذلك تهديدا
للمنافقين والكافرين بقوله ما يسرون من النفاق وما يعلنون من الشرك
والثانى ما يسرون من العلم ويعلنون من الكفر الثالث ما يسرون
من العقايد الفاسدة وما يعلنون من الافعال القبيحة ثم انه تعالى
لما ذكر دليلا من الافاق على عبادته بقوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما ذكر دليلا من الانفس وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة قيل ان المراد بالانسان ابى بن خلف فان الايه وردت فيه حين اخذ
عظما باليا واتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال انك تقول ان الهك يحيى هذ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك جهنم وقد ثبت فى اصول الفقه
ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الا ترى ان قوله تعالى قد سمع
الله

الله قول التى تجادلك فى زوجها نزلت فى واحده واراد الكل فى
الحكم فكذلك كل انسان ينكر الله او الحشر هذه الايه رد عليه اذا علمت
عمومها فنقول فيها لطايف الاولى قال اولم يروا انا خلقنا لهم
مما عملت ايدينا معناه الكافرون المنكرون التاركون عبادة الله
المتخذون من دونه الهة اولم يروا خلق الانعام لهم وعلى هذا فقوله
تعالى اولم ير الانسان كلام اعم من قوله اولم يروا لانه من جنس الانسان
وهو مع جمع منهم فنقول سبب ذلك ان دليل الانفس اشمل واكمل
واتم والزم فان الانسان قد يغفل عن الانعام وخلقها عند غيبها
ولكن هو مع نفسه متى يكون واين يكون فقال ان غاب عن الحيوان
وخلقه فهو لا يغيب عن نفسه فما باله لم ير انا خلقناه من نطفه اشارة الى
وجه الدلالة وذلك لان خلقه لو كان من اشيا مختلفة الصور كان
يمكن ان يقال العظم خلق من جسم رخو وكذلك الحال فى كل عضو
ولما كان خلقه من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل
على الاختيار والقدرة والى هذا اشار بقوله تعالى يسقى بما واحد
وقوله فاذا هو خصيم مبين فيه لطيفة غريبه وهى انه تعالى قال
اختلاف صوره اعضايه تشابه اجزا ما خلق منه ايه ظاهرة ومع
ذلك فهنا لك ما هو اظهر وهو نطقه وفهمه وذلك لان النطفه جسم
فهب ان جاهلا يقول انه استحال وتكون جسما اخر لكن القوه الناطقة
والقوة الفاهمه من اين يقتضيها النطفة فابداع النطق والفهم اعجب
واغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الى ادراك القدرة والاختيار فيه
اقرب فقوله تعالى خصيم اى ناطق وانما ذكر الخصيم مكان الناطق

لانه اعلى احوال الناطق فان الناطق مع نفسه لا يتبين كلامه مثل ما
يبينه مع غيره اذا لم يكن خصما لا يتبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد اذا كان
كلامه مع خصمه وقوله مبين اشارة الى قوة عقله واختار الابانة
لان العاقل عند الافهام اعلى درجة منه عند عدمه لان المبين
بان عنده الشي ثم ابانه فقوله تعالى من نطفة اشارة الى ادنى ما كان
عليه وقوله خصيم مبين اشارة الى اعلى ما كان حصل عليه وهذا مثل قوله
تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الى ان قال
تعالى ثم انشاناه خلقا اخر مما تقدم من خلق النطفة علقة وخلق العلقة
مضغة وخلق المضغة عظاما اشارة الى التغيرات في الجسم وقوله
انشاناه خلقا اخر الى ما اشار اليه بقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين
اي ناطق عاقل ثم قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اشارة
الى بيان الحشر وفي هذه الايات الى اخر السورة غرايب وعجايب
نذكرها بقدر الامكان ان شا الله تعالى فنقول المنكرون للحشر منهم
من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة واكتفى بالاستبعاد وادعى الضرورة
وهم الاكثرون ويدل عليه قوله تعالى حكاية عنهم في كثير من المواضع بلفظ
الاستبعاد كما قالوا ءاذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد ءاذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون اءنك لمن المصدقين ءاذا كنا ترابا
وعظاما ءانا لمدينون الى غير ذلك وكذلك ههنا قال من يحيي العظام
وهي رميم على طريقة الاستبعاد فبدا اولا بابطال استبعادهم بقوله نسي
من الشي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزا ثم جعلنا لهم
من النواصي الى الاقدام اعضا مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا

من ذلك

بذلك حتى اودعناهم ما ليس لهم من قبل هذه الاجرام وهو النطق
والعقل الذي بهما استحقوا الاكرام وان كانوا يقنعون بمجرد
الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة
قذرة لم تكن محل الحياة اصلا ويستبعدون اعادة النطق والعقل
الى محل كانا فيه ثم ان استبعادهم كان من جهة ما في المعاد من التفرق
حيث قالوا من يحيي العظام وهي رميم اختاروا العظم للذكر لانه
ابعد من الحياة لعدم الاحساس ووصفوه بما يقوي جانب
الاستبعاد من البلا والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من
جهة ما في العبد من القدرة والعلم فقال وضرب لنا مثلا اي
جعل قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبداه العريب ومنهم من
ذكر شبهة وان كان في اخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على
وجهين احدهما انه بعد العدم لم يبق شيا فكيف يصح على العدم الحكم
بالوجود واجاب الله عن هذه الشبهة بقوله تعالى الذي انشاها
اول مرة يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيا مذكورا كذلك مرة يعني
يعيده ولم يبق شيا مذكورا وثانيهما ان من يعرف اجزاه في مشارق
العالم ومغاربه وصار بعضه في ابدان السباع وبعضها في جدران فيهم
الرباع كيف يجتمع هذا هو ان انسانا اذا اكل انسانا وصار اجزا الماكول
في اجزا الاكل فان اعيدا فاجزا الماكول اما ان يعاد الى الاكل فلا يبقى
للماكول اجزا يخلق منها اعضا واما ان يعاد الى بدن الماكول فلا يبقى
للاكل اجزا يخلق منها اعضا واما ان تعاد الى بدن الماكول منه فلا
يبقى للاكل اجزا فقال تعالى في ابطال هذه الشبهة وهو بكل خلق

عليم ووجهه ان في الاكل اجزا اصلية واجزا فضلية وفي الماكول
كذلك واذا اكل انسان انسانا صار الاصلي من الاجزا الماكول
فضلا من اجزا الاكل وقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقدم ذكر النار في الشجر على ذكر
الخلق الاكبر لان استبعادهم كان بالصريح واقعا على الاحيا حيث قالوا
من يحيي العظام ولم يقولوا من يجمعها ويولفها والنار في الشجر مناسب
للحياة وقوله وهو الخلاق اشارة الى انه في القدرة كامل وقوله
عالم العليم اشارة الى انه بعلمه شامل ثم اكد بيانه بقوله انما امره اذا
اراد شيا ان يقول له كن فيكون هذا اظهار فساد تمسكهم وتنبيههم
وضرب مثلهم حيث ضربوا لله مثلا وقالوا لا يقدر احد على مثل هذا
قياسا للغايب على الشاهد فقال في الشاهد الخلق يكون بالالات
البدنيه والانتقالات الكائنه ولا يقع الا في الازمنة الممتده والله
يخلق بكن فيكون فكيف يضربون المثل الادنى وله المثل الاعلى
من ان يدرك في الاية مباحث الاول قالت المعتزلة دالة على ان
المعدوم شي لانه يقول لما اراده كن فيكون فهو قبل المقول له كن
لا يكون وهو في تلك الحالة شي حيث قال انما امره اذا اراد شيا والجواب
ان هذا بيان لعدم تخلف الشي عن تعلق ارادته به فقوله اذا مفهومه
الحين والوقت والاية دالة على ان المراد شي حين تعلق الارادة ولا
دلالة لها فيها انه شي قبل ما اذا اراد وحينيذ لا يرد ما ذكروه لان الشي
حين تعلق الارادة به شي موجود لا يريده زمان ويكون في زمان اخر
بل يكون في زمان تعلق الارادة فاذا الشي هو الموجود لا المعدوم
لا

لا يقال كيف يريد الموجود وهو موجود فيكون ذلك ايجاد
نقول هذا الاشكال من باب المعقولات ونجيب عنه في موضعه بيانه
واعرضنا ابطال تمسككم باللفظ وقد ظهر ان المفهوم من هذا
الكلام انه يريد ما هو شي اذا اذا اراد وليس في الاية انه
اذا اراد ما كان شيا قبل تعلق الارادة الثاني قالت الكرامية
لله ارادة محدثة بدليل قوله تعالى اذا اراد ووجه دلالته
من امرين احدهما انه جعل الارادة زمانا فان اذا ظرف
زمان وكل ما هو زماني فهو حادث وثانيهما هو انه تعالى جعل
ارادته متصلة بقوله كن وقوله كن متصل بكون الشي ووقوعه
لانه تعالى قال فيكون بفاء التعقيب لكون الكون حادث وما
قبل الحادث متصل به حادث والفلاسفة وافقوهم في هذا الا شكال
من وجه اخر فقالوا ارادته متصلة بامره وامره متصل بالكون لكن
ارادته قديمه وجواب الضالين من التمسك باللفظ هو ان المفهوم
من قوله اذا اراد فعل ماض واذا دخلت كلمة اذا على الماضي يجعله
في معنى المستقبل ونحن نقول بان مفهوم قولنا اراد ويريد وعلم ويعلم
يجوز ان يدخله الحدوث وانما نقول لله تعالى صفة قديمة هي الارادة
وتلك الصفة اذا تعلقت بشي نقول اراد ويريد وقبل التعلق لا نقول
اراد فانا نقول له ارادة وهو بها مريد ولنضرب مثالا للافهام
الضعيفة ليزول ما يقع في الاوهام الضعيفه السخيفة فنقول قولنا
فلان خياط يراد به له صنعة الخياطة فلو لم يصح منا ان نقول
انه خاط ثوب زيد او يخيط ثوب زيد لا يلزم منه نفي صحة قولنا

انه خياط معنى ان له صنعة بها يطلق عليه عند استعماله تلك الصنعة
في ثوب زيد في زمان ماض خاط ثوبه وبها يطلق عند استعماله تلك
في ثوب في زمان مستقبل يخيط به ولله المثل الاعلى فافهم ان الارادة
امر ثابت ان تعلقت بوجود شيء يقول اراد وجوده او بعدم وجوده
واذا علمت هذا فهي المعنى من كلام اهل السنة تعلق الارادة حادث
وخرج بما ذكرنا جواب العزيمين الثالث قالت المعتزلة والكرامية
كلام الله حرف وصوت وحادث لان كن قوله وقوله كلام وكن
من حرفين والحرف من الصوت ويلزم من هذا ان كلامه من الحروف
والاصوات واما انه حادث فلما تقدم من الوجهين احدهما انه
زماني والثاني انه متصل بالكون حادث والجواب نعلم بما ذكرنا
وذلك لان الكلام صفة اذا تعلق بشيء يقول قال ويقول تعلق الخطاب
حادث والكلام قديم فقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيه تعلق واضافه لان قوله تعالى باللام للاضافه صريح في
التعلق ونحن نقول بان قوله للشيء الحادث حادث لانه مع التعلق
وانما القديم قوله وكلامه لا مع التعلق وكل قديم وحادث اذا نظرت
الى مجموعهما لا تجدهما في الازل وانما تجدهما جميعا في لايزال فله معنى
الحدوث ولكن الاطلاق يوهم شيئا كلوحدا ولا تقل المجموع حادث من
غير بيان مرادك فان ذلك يفهم منه ان الجميع حادث بل حق الاشارة
وجود العبارة وقل احد طرفي المجموع قديم والاخر حادث ولم يكن الاخر
حادث ولم يكن الاخر معه في الازل واما قوله كن من الحروف نقول
الكلام يطلق على معنيين احدهما ما عند المتكلم والثاني ما عند

السامع ثم ان احدهما يطلق عليه انه هو الاخر ومن هذا يظهر فوايد
انا بيان ما ذكرناه فلان الانسان اذا قال لغيره عندي كلام اريد
ان اقوله لك غدا ثم ان السامع اتاه غداه وساله عن الكلام الذي
كان عنده امس فيقول له اني اريد ان احضر عندك اليوم فهذا الكلام
اطلق عليه المتكلم انه كان عندي امس ولم يكن عند السامع
حرف وصوت ويطلق عليه ان هذا الذي سمعت هو الذي كان
عندي ويعلم كل عاقل ان الصوت لم يكن عند المتكلم امس ولا الحرف
لان الكلام الذي عنده جاز ان يذكره بالعربي فيكون له حروف
اخر وجاز ان يذكره بالفارسي فيكون له حروف اخر والكلام
الذي عنده وعده واحد والحروف مختلفة كثيرة فانا معنى قوله
ما كان عندي هو ان هذا يودي اليك ما كان عندي وهذا ايضا
مجاز لان الذي عنده هو علم مستفاد من السمع والبصر في القراءة
والكتابة والاشارة اذا علمت هذا فالكلام الذي عند الله وصفه
ليس حرف على ما كان والذي حصل عند السامع حرف وصوت واحدهما
الاخر بما ذكرنا من المعنى وبوسع الاطلاق واذا قال تعالى يقول له
حصل قايل وسامع فاعتبرنا من جانب السامع فذلك القول مع عنه
بالكاف والنون الذي يحدث عند السامع ويحدث به المطلوب ثم قال
تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء لما تقدرت الوحدانية والاعادة
وانكروها وقالوا بان غير الله الهة قال تعالى وتنزه عن الشرك الذي
بيده ملكوت كل شيء فكل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكا
وقالوا بان الاعادة لا يكون فقال واليه ترجعون ردا عليهم في

فى الامرين وقد ذكرنا ما يتعلق بالنحو فى قوله سبحان اي اسبحوا تسبيح الذى
سبح من في السموات والارض تسبيح الذي فسبحان علم التسبيح والتسبيح
هو التنزيه والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وهو
معلول او فعلوت فيه كلام ومن قال هو فعلول جعلوه ملحقا به ثم ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شى قلبا وقلب القران يس
فقال الغزالى فيه ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والحشر
مقرر فى هذه السورة بابلغ وجه فجعله قلب القران لذلك واستحسنه
فخر الدين الرازي رحمهما الله ورحم عليه بسبب هذا الكلام ويمكن ان
يقال بان هذه السوره ليس فيها الا تقرير الاصول الثلثة باقوى البراهين
فابتداها بيان الرسالة بقوله انك لمن المرسلين ودليلها ما قدمه عليها
بقوله والقران الحكيم وما اخره عليها بقوله لتنذر قوما وانتهاها
بيان الوحدانية والحشر فسبحان الذي بيده ملكوت كل شى اشارة الى التوحيد
وقوله واليه ترجعون اشارة الى الحشر وليس في هذه السورة الا هذه
الاصول الثلاثه ودلايله وتوابعه ومن حصل من القران هذا القدر
فقد حصل نصيب قلبه وهو التصديق الذي بالجنان واما وظيفه اللسان
التى هي القول وكما فى قوله تعالى يايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا وفى قوله تعالى ومن احسن قولا وقوله تعالى بالقول الثابت
والزمهم كلمة التقوى واليه يصعد الكلم الطيب الى غير هذه ففى غير هذه
السوره ووظيفة الاركان وهو العمل كما فى قوله اقيموا الصلاه واتوا الزكاه
وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس وقوله واعملوا صالحا
فايضا فى غير هذه السورة فلما كان فيه اعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد

فى الاخبار ان النبى عليه السلم ندب الى تلقين يس لمن ادنى منه
الموت وقراتها عند راسه لان فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف
القوة والاعضا الظاهره ساقطة المنة لكن القلب يكون قد اقبل
على الله ورجع بالاصول الثلثة وهو شغله واسرار كلام الله وكلام
رسوله لا يعلمه الا الله ورسوله وما ذكرنا ظن لا نقطع به ونرجوا
الله ان يرحمنا وهو ارحم الراحمين تم تفسير سورة يس
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة [illegible]
يس وهو في سكرات الموت او قرئت عنده جاء رضوان خازن الجنة بشربة من شراب
الجنة فسقاها اياه وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج
الى حوض من حياض الانبيا

قوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة [illegible]
[illegible]
فى الاخرة [illegible] الخلق [illegible]
[illegible]

